

أ.د. مرتضى حسن النقib

أصول النقد والتحليل في الكتابة التاريخية

مراجعة مقالات





أصول النقد

والتحليل في الكتابة التاريخية

الأستاذ الدكتور
مرتضى حسن النقيب
كلية الآداب - جامعة بغداد

أصول النقد

والتحليل في الكتابة التاريخية
(مجموعة مقالات)

2012



مكتبة لسان العرب

www.lisanarb.com

lisanerab.com رابط بديل

المحتويات

7	مقدمة الكتاب....
9	الادارة الابدية في حلب ايام الابوين (582-656هـ/1186-1258م)
9	مقدمة في الموضوع :.....
11	في طبيعة المصادر :.....
12	اولاً- بعض التعبير الادارية السائدة :
12	- أتباك :.....
14	- الصاحب :.....
14	- الطواشى والخدم :.....
15	- الصدور (ومفردها صدر) :.....
16	- المشد :.....
16	- كتاب الدرج :.....
17	- الكاتب، الكتاب :.....
17	- النظر، الناظر، وناظر الديوان :
17	- المنشور :.....
17	- المرسوم :.....
18	- الرقعة :
18	- الاخبار :
19	13- مقدمة في وزراء الظاهر :
20	1- وزارة القاضي المؤمن ابن كاسبيوبيه
21	2- وزارة العلم بن ماهان.....
22	3- وزارة جمال الدين ابو غالب عبد الواحد ابن الحسين البغدادي
22	4- وزارة نظام الدين ابو المؤيد محمد بن الحسين الكاتب
23	5- وزارة شمس الدين ابن ابي يعلى
24	طبيعة واسماء متولى الديوان ايام الظاهر غازي :
26	ديوان المال (ديوان الخزانة)
27	ديوان الجيش (الجيوش) او ناظر الجيوش.....
27	ديوان الاستيفاء
28	الوزير القاضي الاكرم جمال الدين ابن القفطي
30	وزارة الوزير زين الدين:.....

30	عزل الوزير ابن الفقطي (وزارته الاولى) :
31	وزارة القاضي ابن القفطي الثانية.....
32	وزراء الناصر يوسف الايوبي :
34	وزارة الوزير مؤيد الدين ابن القفطي
36	ديوان الانشاء :
37	ديوان الجيوش :
37	مشد الدواوين :
38	ومن كتاب الدولة الناصرية كل من :
39	في سياسة الوزير الايوبي - الحلبي.....
42	ما هي مصادر ثروة الوزير وموارده المالية؟.....
49	ابن الجوزي والسمعاني وحقيقة الخلاف المنهجي بينهما.....
3	نكت الوزراء التعريف بمؤلفه واهميته التاريخية.....
63	مقدمة في الموضوع :
65	حياته :
71	محتوى نكت الوزراء.....
73	مخطوطه نكت الوزراء :.....
74	متى انجز الجاجرمي نكت الوزراء؟.....
75	لماذا صنف الجاجرمي نكت الوزراء؟.....
79	لماذا ألف الجاجرمي نكت الوزراء بالعربية؟.....
81	محتوى الكتاب
86	اسلوب الجاجرمي في نكت الوزراء.....
89	اهمية الكتاب ومصادره.....
99	في النسب الفاطمي
102	اشكالات وملابسات النسب الفاطمي :.....
117	عماد الدين زنكي وسياسة الجهاد تجاه الصليبيين
143	"THE USE OF BIOGRAPHY " OR "BIOGRAPHICAL DICTIONARIES"
	SIYASAT - NAMA SOME NOTES ON ITS IMPORTANCE AS
153	A SOURCE FOR STUDYING NIZAM AL-MULK'S CAREER

مقدمة الكتاب...

هذا كتاب عن اشكالات النقد والتحليل في العمل الكتافي الأكاديمي من وجهة نظر كمنهجية، تتضمن مقالات تعود لحقول التاريخ السياسي والنظم وعلم التاريخ لدولة الخلافة والدول التي تفرعت عنها، كتبت بموضوعية تامة، بعيدة عن التحيز او أي هوى فكري او عقائدي، نفعها يعود للقارئ المتخصص وطلبة الدراسات العليا أكثر مما تخدم اهتمامات وعنية القارئ العام. والأهم ان الكتاب ليس بنظرية إفتراضية في رؤية وكتابات المؤرخ بقدر ما هو تحصيل معرفي لأقوال المؤرخين عن المشكلات المنهجية والتاريخية الواردة في المصادر والمراجع واستخداماتها في العمل الكتافي الناجح. وحقيقة الأمر الواقع ان كل ما جاء في مقالات الكتاب من أقوال وملحوظات تظل في جوهرها عاكسة لطبيعة المادة المتوفرة في المصادر، وايضاً الآراء التي توردها تلك الدراسات قيد المراجعة او الاستشارة. أما الافتراضات والاستنتاجات المتوفرة في المراجع وما تذهب اليها من تصريحات (ان توفرت مثل نوعياتها) فلم نعول عليها هنا في المحتوى. وحقيقة بقينا نتحفظ على اقوال وادعاءاتها كقاعدة منهجية للالتزاماتنا في القواعد الكتابية الأكاديمية، الا بذلك المقدار الذي يدلل على صحتها ومصادقيتها. ان هذا الدراسات التي في متناول ايديكم تقوم على التفكيك المنهجي للوقائع والحوادث التاريخية المستخدمة في تطوير مشكلات موضوع الدراسات وتعتمد بكل دقة جوانب الوصف الموضوعي أثناء سرد خصوصياتها ونقدها وتحليلها ومعرفة مسبباتها.

مخطوطة الكتاب تتكون من سبع مقالات متداخلة منهجياً، كلها اعتمدت التوثيق الدقيق وأحياناً التزمتن كذلك في النقل للأفكار والنصوص المستخدمة وまさواها من ادعاءات غير معتمدة، الأولى تدور حول مصنف نكت الوزراء للجاجرمي، احد الصدور الكبير أيام السلاجق الاواخر والفرع الفغوري الحاكم في باميان، والثانية تناولت تطاولات

الواعظ والمصنف البغدادي الشهير ابن الجوزي على مؤرخ مرو وكبير بيت السمعاني ابو سعد المروزى، والثالثة في النسب الفاطمي واشكالاته المنهجية، فيما تناولت الرابعة حالة الادارة الحلبية وتطورت الوزارة الأيوانية المحلية ايام مملكة الظاهر غازي والعزيز محمد وحفيده الناصر يوسف، سلطان الشام في تسميته اللاحقة، والخامسة تعالج الجهد الذى تبناه الاتابك عماد الدين زنكي من اجل إنجاجه في التغلب على اولى الإمارات الصليبية الأربع التي قامت في بلاد الشام أيام الحملة الصليبية الأولى في 490هـ وهناك مقالتان في الإنكليزية عن أهمية وأصالة السياسة- نامه كمصدر لدراسة وعمل الوزير الكبير نظام الملك الطوسي، وعن تنوع واستخدامات كتب التراجم في العمل الكتائبي.

بلا مبالغة ان الفوائد في محتوى المخطوطه كثيرة : فمن خلالها مثلاً يمكن للباحث - المبتدئ، الذي احتراف المهنة كمؤرخ، في تعلم كيفية معالجة مشكلة تاريخية معينة على قدر منتظم من الحوادث والواقع، كيفية تفكيك النصوص والوثائق وتحليل عناصرها الأساسية بالنظر اليها من خلال ما يقوم على توارد الخبر وروايته والاحداث المكونة للحادثة الواحدة وكل ما يروج لها من قصص وحكايات متناقلة، وبطبيعة الحال في كيفية توظيف هذه المعلومات والحقائق المستخرجة في اعمالنا الكتائية. والأهم تعلم كيفية تعامل المبتدئ مع التعبير **Terminology** المستخدمة في هذه النصوص واستقراء دلالاتها المنهجية- التاريخية، فضلاً عن تقرير خصوصيات هذه التعبير واستخداماتها، وكذلك في تعلمه طرح وتوظيف السؤال المنهجي أثناء تطوير نصوص كتاباته واستخراج ما يجap منها بخطى موضوعية ثابتة، وأخيراً في كيفية تفسير تلك المعلومات التي تراكمت لديه من خلال عملية البحث ولمتابعة وبناء شيء من نظرية أو تفسير لهذا الغرض مما يعزز من مقدار قدرته في العمل الكتائي ومن قيمته العلمية الواudedة.

نضع الكتاب بتناول ايادي أبناؤنا الطلبة، ومتناول كل قارئ متبصر يهوى المعرفة والتعلم وحرفة التاريخ، وأملنا بأن تعم الفائدة منه جميع المعنيين بالشأن الكتائي - التاريخي.

والله من وراء القصد...

المؤلف

بغداد - 2010

الادارة الايوية في حلب ايام الايوبيين

(م 582-1186هـ/ 1258 م)

مقدمة في الموضوع :

الادارة الايوية في حلب موضوع مهم رغم اهميته في التعرف على المكنته الادارية التي تولت مسؤولية العمل الاداري واماليي والسياسي في حلب خلال حكم الايوبيين من اولاد صلاح الدين للمملكة. من هنا جاء البحث ليغطي الاحوال الادارية الايوية في حلب 596هـ/1199م-1258هـ/1216م خلال حكم ثلاثة ملوك ايوبيين تولوا حكم المملكة الحلبية هم بالتابع كل من الظاهر غازي بن صلاح الدين (596هـ/1199م-613هـ/1216م)، الذي حكم قرابة ثلاثة عقود منذ عقدت عليه حلب في 582هـ/1186م، ثم ابنه الاصغر الملك العزيز محمد لعقدين من السنوات بين (613هـ/1216م-634هـ/1236م)، واخيراً ابن الملك العزيز الناصر يوسف بين وراثة مملكة حلب وحكم سلطنة الشام للسنوات (634هـ/1236م-658هـ/1258م)، وقد عاصر هؤلاء الملوك الثلاث خمسة سلاطين من ابناء البيت الايوبي بقاعدتهم في مصر، كل من السلطان الملك العادل سيف الدين ابو بكر (596هـ/1199م-615هـ/1218م)، عم الظاهر غازي في النسب وقرابة الزواج، والذي استحوذ على سلطنة الايوية من اولاد أخيه صلاح الدين كل من الملك العزيز عثمان (589هـ/1193م-648هـ/1249م) والافضل نور الدين علي (ت 622هـ/1225م)، وخلفه السلطان الملك الكامل محمد (615هـ/1218م-635هـ/1237م) وابنه الصغير العادل الثاني (635هـ/1237م-647هـ/1249م) لستين، ثم أخيه السلطان الملك الصالح نجم الدين ايوب لعقد من سنوات السلطنة (637هـ/1237م-647هـ/1249م)، واخيراً ابنه الملك المعظم توران شاه (647هـ/1249م-658هـ/1258م). وكانت حلب واعمالها تكون احد الاقاليم الاربعة من

السلطنة الايوبيّة في الشام كل من الكرك في شرق الأردن، ودمشق واعمالها، ثم مملكة حلب واقليم الجزيرة وتوابعه.

كان على رأس الوزارة الايوبيّة ايام السلطان العادل الوزير ابن النخال⁽¹⁾ ، وخلفه الوزير البارع ابن شكر⁽²⁾ (ت 1225هـ/1225م)، وزير للملك العادل اولاً والسلطان الملك الكامل ثانياً⁽³⁾ ، الذي امتنع من بعد وفاة الاخير من استئزار الوزراء، رغم استعاضته في استنهاض من يقع اختياره عليه لتدبير الأعمال السلطانية، على نحو توكيل اولاد شيخ الشیوخ في المهمة وغيرهم من اصحاب الديوان⁽⁴⁾ ، وكذلك ايام السلطان الصالح نجم الدين ايوب مثل وزير الصحبة معين الدين حسن بن شيخ الشیوخ (ت 1244هـ/643م) او الصاحب جمال الدين يحيى بن مطروح (ت 1251هـ/649م)⁽⁵⁾ ، فيما ظلت وزارة المملكة الحلبية غير ثابتة تنتقل بين شخصي الصاحب والاتابك، مثلاً في البداية كان وزير الملك الظاهر هو ابن اي يعلى (ت 1216هـ/613م) الذي صرفت عنه الوزارة وعزل في شباط 1216هـ/613م، بعد ان اخذ موقفاً معادياً من مسألة ولية العهد لبناء الملك الراحل الظاهر غازي⁽⁶⁾. حيث استقل منذ حينئذ الاتابك شهاب الدين طغرييل في جميع الامور⁽⁷⁾ ، او الاتابك شمس الدين لؤلؤ (ت 1250هـ/648م) ايام سلطنة الناصر يوسف، فضلاً عن جمال الدين ابن القبطي (ت 1248هـ/646م) الصاحب الكبير، والزين الحافظي (ت 1263هـ/662م) وزير الناصر يوسف الايوبي مدة. ومثلكما سنا لاحظ، لم يكن دور الوزير الحلبية واضحاً في الشؤون السياسية للبلاد على امتداد حكم هؤلاء الملوك، مع انه كان قد اخذ في جوهره

(1) يسمى الصنيعة ابن النخال، احد الكتاب النصارى واسلم، انظر ابن العديم، زبدة الذهب، م، 3، ص 75، وأدین للمدرس المساعد آلة حماد رجه بجانب من جمع معلومات البحث.

(2) هو صفي الدين عبد الله بن علي بن شكر احد الوزراء الكبار ايام السلطنة الايوبيّة، كان خليقاً بالوزارة لم يأت بعده فيها مثله، انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، م، 8، ص 677 (ضمن حوادث سنة 630هـ) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص 15؛ وخلفه الاشرف ابن القاضي الفاضل (ت 1245هـ/643م) انظر الصفدي، الواقي بالوفيات، (فيسبادن، 1969)، م، 7، ص 57.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، م، 3، ص 129.

(4) جرجيس ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص 144.

(5) ذاته، ص 157 : تولى له وهو بولاية الشرق نظر الجيش، ثم استعمله على دمشق ثم عزله بخلفه يغمور، وانظر ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، م، 2، ص 182.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، م، 3، ص 251.

(7) ذاته.

شكلًا ماليًا-اداريًاً منذ ايام الظاهر غازي، وسيلاحظ ايضاً ان حلب تميزت بخصوصياتها السياسية والدينية وحتى الادارية مقارنة بالاقاليم الاربعة الاخرى المكونة للسلطنة الايوبية وخير ما يمثل الادارة الايو比ة في حلب هو الديوان الذي يتولى اموره اداري ايوي محترف يشتغل في ديوان الانشاء والمراسلات.

وسوف نقوم بتطوير هذا البحث عن طريق رسم الادارات التي تشكل المكننة الادارية لدولة الملك الظاهر وخلفائه اولاً والتشكيلات التي يتكون منها الديوان، ثم نتعرف على السياسة المالية لهؤلاء الوزراء وكتاب الديوان في الكلف والنفقات والاقطاعات وفي ترتيب الولاة والنواب والدواوين بالتتابع.

في طبيعة المصادر :

رغم المرفقات الكثيرة التي تركها الاداريين الايوبيين في شتى صنوف المعرفة، الا اننا لا نمتلك حتى مصنفاً واحداً يتناول شؤون الادارة الايو比ة وتشكيلاتها الديوانية، مثلًا القاضي الاكرم الصاحب ابن القسطي، والاسعد ابن مماتي او الوزير ابن شكر وغيرهم لا يعرف ما يرد في سيرتهم انهم تصدوا للكتابة في الشؤون الادارية وتنظيماتها وترجم من تولاهما.

اما المصنفات المتوفرة فان احسن كتاب يخص طبيعة الموضوع، ومشكلة التعبير والمؤسسات الادارية الحلبية هو مؤرخ حلب وابنها البار، واحد الموظفين الكبار في المملكة الحلبية كمال الدين ابن العديم (660هـ/1261م)، ليس كونه معاصرًا لاحداث المملكة خلال حكم الملوك الحلبين الثلاث الظاهر غازي والعزيز محمد وولده الناصر يوسف الايوبيين، بل لانه ايضاً كان احد عناصر تلك المكننة الادارية بمنزلة صاحب او وزير، بل ويتميز في تغطيته ترجم لرجال شاركوا في الادارات الحلبية المتتالية واثروا في تقرير اوضاعها السياسية، وذلك من خلال مصنفه مختصر الحوليات زبدة الذهب في تاريخ حلب⁽¹⁾، ومصنف ترجم الرجال الحلبين بغية الطلب في تاريخ حلب⁽²⁾، ثم بدرجات متقاربة كل

(1) تحقيق المرحوم سامي الدهان ثلاثة مجلدات، (بيروت : المطبعة الكاثوليكية، 1951-1968).

(2) تحقيق سهيل زكار في عشرة مجلدات وفهارس بـمجلدين، (بيروت : دار الفكر، بلا ت).

من المكين ابن العميد⁽¹⁾ الموظف في ديوان الجيش، والوزير الصاحب جمال الدين ابن القبطي متولى عدة وظائف ادارية ومالية في ادارة الظاهر غازي، بما فيها الوزارة الحلبية، ايام خلفاء الظاهر لدفعتين وابن واصل⁽²⁾ (ت697هـ/1299م) بمفرج الكروب في تغطية المملكة الحلبية اثناء حكم ملوكيها الثالث، الصقاعي(ت725هـ/1324م) في تالي وفيات الاعيان، وابن اييك الدوادار (ت والده 713هـ/1313م) في كنز الدرر.

اما المصادر الاخرى فأهميتها تتفاوت حسب التراث التي تربط بالادارة الحلبية او احداثها، مثل صلاح الدين الصفدي⁽³⁾ (ت764هـ/1363م)، في الوافي بالوفيات وابن شاكر الكتبى (ت764هـ/1363م)، في فوات الوفيات. والاثنان ينتميان نسبياً وولادة الى بلاد الشام، وكذلك ابو شامة المقدسي (ت665هـ/1266م) في ذيل الروضتين⁽⁴⁾.

اولاً- بعض التعابير الادارية السائدة :

-1- أتابك :-

تعبير يرجع الى فترة السلاجقة العظام ثم شاع بشكل واسع في الفترات اللاحقة باقليمي الخلافة بالشرق والمغرب سويةً خلال الفترة الايوبيّة، واصبح شائع الاستعمال جداً بسبب طبيعة تركيب السلطة الايوبيّة القائمة على مجموعة اقاليم ادارية مستقلة عن السلطة يرأسها احد ملوك البيت الايوبي الحاكم. غالباً ما يخضع لatabak، وتطلعاته للاستحواذ على مقعد السلطة.

في البداية لم يقتصر متولي المنصب على امراء العسكر وحدهم بل كان الاتابك يجمع بين الشخصية العسكرية-المدنية- من السلاغقة ثم اقتصر الامر في حمل اللقب على امراء العسكر الكبار حصراً. ويترعرر منصبه بتفويض من الملك الوريث صاحب السلطة الشرعية غير البالغ الى الامير بأمر توقي ادارة

(1) نشر كلود كاهن.

(2) مفرج الكروب في اخباربني ايوب (القاهرة، 1953-1960) المجلدات التي تغطي حكم الظاهر غازي والعزيز محمد والناصر يوسف الايوبي (ت596هـ/1199-1258م) لم يتتوفر لنا منه سوى اربع مجلدات للسنة 628هـ

(3) الوافي بالوفيات، التحقيقفات متفاوتة.

(4) فوات الوفيات، ط1، (مجلدان، بيروت : دار الكتب العلمية، 2000م)؛ وكنز الدرر من تحقيق عبد الفتاح عاشور.

ومهام بلاده، اي ان الاتابك ظاهرياً بمثابة الامير الوالد لشخص هذا الملك وهو ما يعنيه التعبير (اتابك) فيلوجياً⁽¹⁾، وبه يتحول واقعياً الى اسير لشخص الاتابك (متولي المسؤلية)، الذي في حالات كثيرة يلجأ الى نقل حكم البلد من مرؤسه الملك الى الاتابك نفسه شخصياً. مثل حالة الامير الارمني الاصل بدر الدين لؤلؤ-الatabak-حاكم الموصل، الذي استولى على الحكم لصالح اسرته لما يقرب من نصف قرن من صاحبها الشرعي الملك الظاهر مسعود ابن نور الدين ارسلان شاه. اما في حالة الاتابك شهاب الدين طغرييل، اتابك الملك العزيز محمد الذي ارتقى حكم مملكة حلب (وهو بعمر ثلاث سنوات) بوصية والده المتوفى الظاهر غازي، فلم يحدث مثل هذا القفز على كرسي المملكة، واقعياً ليس بسبب عدم رغبة هذا الاتابك - الطواشى في السيطرة على حكم المملكة، كما يصوّره ابن الاثير⁽²⁾ وابن ابيك⁽³⁾ بالاحرى يعود لعدم قدرته في تحقيق مثل هذا النجاح مع مجموعة ملوك البيت الايوبي من الذكور المنافسين له، عادةً بدعم مباشر من سيدهم السلطان نفسه.

ان مركز الاتابك خلال الفترة الايوبيّة كان مركزاً مهمّاً للغاية من حيث تاديه مهمات الدولة والدركاه بين ممثلي السلطنة العسكرية والادارية. فأليه يرجع تدبير شؤون الحكم في المملكة وهو المحتكم بشؤون الاقطاعات وخزانة الاموال وبيده مسؤولية مفاتيح القلعة ومشاركة الوزير في الشؤون الادارية مع قاضي الحكم ان كان مقعد الوزارة مملوءاً من قبل وزير ما اصلاً⁽⁴⁾، وهذا ما يحصل عادةً من خلال تفويض الملك الحاكم (المتوفى) الاتابك مسؤولية الاشراف على شؤون ولده ولي العهد الذي يتولى كرسي الحكم لاحقاً.

من هنا نرى لماذا كان النزاع محتملاً جداً بين الامراء الحلبين وغرمائهم المصريين عشيّة وفاة الظاهر غازي حول من يرقى الى مركز اتابك العسكر من اولاد البيت الايوبي المنحدرين من صلاح الدين او من هؤلاء المتصلين بقرابة

(1) Cf Cahen "Atabak", EI.2, I-731-732;

ذيل الروضتين، ط.2، (بيروت : دار الجيل، 1974). ويقال الوزير نظام الملك خير مثل على متولي الوظيفة من غير امراء العسكر من السلاجقة، وذلك لمراعاه سيده السلطان ملك شاه.

(2) الكامل في التاريخ، (12 مجلد، بيروت : دار صادر، 1965م) 12م، ص 314. "ولا اعلم اليوم من ولاة امور المسلمين احسن سيرة منه"

(3) كنز الدرر، ج 7، ص 185.

(4) ابن العديم، زيدة الذهب في تاريخ حلب، م 3، صص 177-179؛ ابن ابيك الدوادار، كنز الدرر، م 7، صص 186-185.

الظاهر مباشرة، لأن هذا اتابك في حقيقة الامر الواقع هو من يتولى توزيع مدن المملكة واعمالها كاقطعات على الامراء وهو الذي يتحكم بأخبارهم بما لديه من هيمنة على مصادر الاموال. وهذا مهم ملاحظته عند الحديث عن المكنة الادارية لحلب دوراً مماثلاً من اصحاب الديوان وكيفية تعاملاتهم مع امراء العسكر من الاتابكة والمقدمين من كبار الامراء والقوى الممثلة لفرق الظاهرية والعزيزية والصلاحية، لأن هذا هو في حقيقة الحال ما يمثل معظم مادة مصادرنا الايوبيه الاساسية.

2- الصاحب :

لقب تشريفي يطلق على الوزير الايوبي الذي يعمل في ديوان الوزارة لدى السلطان ولدى ملوك البيت الايوبي، ويتولى شؤونهم المالية والادارية وتصريفها. وهو تعبير استحدثه الكتاب البوهيميون تحديداً للوزير الصاحب ابن عباد⁽¹⁾ (ت 24 صفر 385هـ/995م) وزير مؤيد الدولة من الفرع البوهيمي الحاكم في الري، بالرغم من ذلك فقد شاع استخدامه لدى الايوبيين، وفي حالات نادرة، يطلق على المرأة ذات النفوذ في تدبير شؤون المملكة من خواتين البيت الايوبي مثل الصاحبة ضيفة خاتون ام الملك العزيز، مثلما يطلق عليها كل من ابن واصل⁽²⁾، وابن اييك الدودار⁽³⁾.

3- الطواشي والخدم :

طبقة متنفذة ومهيمنة في السلطة الايوبيه، اصلهم عبيد ارقاء من عرق ابيض او اسود سوية، يعتقدون من مالكيهم من ملوك البيت الايوبي الحاكم او من خواتينهم من بنات السلاطين، ومنها نسبة الظاهري والخاتوني وهكذا، او هم يحملون احدى مراتب الامراء من اتابك او مقدم عسكر ومتولي شؤون ولي العهد، الا انهم يظلون يذكرون في التراجم بشهرتهم كطواشي او خادم.

(1) "وهو اول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابا الفضل ابن العميد، فقيل له صاحب ابن العميد، ثم اطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علمأً عليه" او لانه صحب مؤيد الدولة منذ الصبا وسماه الصاحب فاستمر عليه هذا اللقب واشتهر به ثم سمي كل من ولي الوزارة من بعده. انظر عن سيرته ياقوت، معجم الادباء، ج 16، ص 317؛ ابن خلkan، وفيات الاعيان، 1، ص 228، 233.

(2) مفرج الكروب، م 3، ص 213.

(3) كنز الدرر، ج 3، ص 350 "منظم في سلك الصاحب (ضيفة خاتون) ام الملك العزيز".

ولدينا في المملكة الحلبية قيد البحث نموذجان حقيقيان لما يمكن ان يرقى اليه افراد هذه الطبقة من الغلمان⁽¹⁾ في سلم المراتب العليا من المملكة، كل من الطواشى شهاب الدين طغرييل (ت1233هـ/631م) مملوك الملك الظاهر غازي، واتابك ولده الملك العزيز محمد (ابيض البشرة ومن اصول ارمنية) والآخر باسم جمال الدولة اقبال بن عبد الله الحبشي الخاتوني (1243هـ/641م) الذي يشابه الطواشى طغرييل في مقدار تمكنه من الدولة وتوليه امور المملكة والتحكم بالامراء والرعية⁽²⁾.

ورغم خدمتها لعائلة ايوبية واحدة الا ان المنافسة اهم ما يميز ممثلي هاتين الفتين، فكانت شديدة بينهما خوفاً من استيلاء احدهم على الآخر، ولذلك نرى الاتابك طغرييل، خلال فترة تحكمه بملكه العزيز محمد، لم يكن الخادم جمال الدولة من الصعود الى قلعة خلب، وابقائه بعيداً عن مركز الحكم مما اجبره الى البحث عن مأوى في دمشق⁽³⁾.

4- الصدور (ومفردتها صدر) :

تعبير يرجع لفترة السلאגقة العظام، وربما حتى الغزنويين متضمناً اشاره الى رؤساء الديوان المكونة لادارة الوزير، والتي هي بالاساس من طبقة الكتاب التي من بينها موظفو الديوان. فالمنشي صدر، والعارض صدر، كذلك القول عن المستوى والمشرف والطغرائي التي تجتمع جميعها تحت ادارة كبير الصدور، الوزير نفسه⁽⁴⁾. واستخدم هذا التعبير في الفترة الايوبيه، الا انه لم يكن بالسعة التي استخدم بها عند السلاغقة.

ومن هذا التعبير استحدث تعبير رئيس الوزراء او الصدر الاعظم في الدولة العثمانية.

(1) عن الغلمان وفرقهم انظر :

D. Sourdel "Ghilman", "Ghulam", EI-2, 1079-1087.

(2) ابن العديم، بغية الطلب، م، 4، ص1953؛ ابن خلkan، وفيات الاعيان، م، 7، ص189.

(3) ابن العديم، بغية الطلب، م، 4، ص1953.

(4) استخدم ابو شروان بن خالد (ت1241هـ او 641م) التعبير بشكل جيد في عنوان كتابه الذي عربه من الفارسية الكاتب المنشيء عماد الدين الاصفهاني : "نفحة المصدور في صدور زمان الفتوح وفتور زمان الصدور" مضموناً كتابه تاريخ ال سلجوقي. باختصار، البنداري.

وظيفة ادارية يتولى صاحبها شد الدواوين وينسب اليها، مثل الامير سيف الدين المشد (ت 656هـ/1258م)، تولى شد الدواوين بدمشق للسلطان الملك الناصر يوسف، صاحب حلب ودمشق⁽¹⁾. فالمشد هو امير (او كاتب) يقلد امر الاموال، وهو اعلى من وظيفة المستوفي. وفي حالات يكون صاحبها رفيقاً للوزير وبموجب تقليله يطلع على اموال المستوفي وسجلاته لان استخلاص الاموال يدخل في اختصاصه ويكاتب مباشرة السلطان في امره اذا اكتشف قصور من المستوفي وتلاعب في الاستخدام والصرف حيث يتقرر حينئذ امر السلطان بالحوطة على المستوفي ورفع يده الى وقت عزله ومصادرة امواله⁽²⁾.

ومتولي شد الدواوين يتمتع بمنزلة كبيرة وامتيازات مهمة لدى الايوبيين، مثلاً الكاتب عز الدين ابن وداعنة باشر شد الدواوين عندما ملك الناصر يوسف صاحب حلب ودمشق في 648هـ/1250م شؤون الحكم في الشام⁽³⁾.

6- كتاب الدرج :

يشير التعبير الى المكنته الادارية العاملة مجتمعة من الكتاب في ديوان السلطان وممثلاً بديوان الوزير الذي يندمج عادة مع ديوان الانشاء والمراسلات، فمثلاً بهاء الدين زهير الكاتب عند السلطان الملك الكامل محمد، كان وزير الصحبة⁽⁴⁾ ورئيس كتاب الدرج⁽⁵⁾.

וללدرج رئيس من طبقة الكتاب يسمى كتاب الدرج، او ديوان الدرج مثلاً الكاتب نظام الدين بن المولى كان صاحب ديوان الدرج ايام دولة الناصر يوسف، وهناك ايضاً نيابة بديوان الدرج.

(1) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، 2، ص 110.

(2) الصقاعي، تالى كتاب وفيات الاعيان، ص 11-12.

(3) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، 1، ص 121.

(4) ونائبه في ديوان الانشاء فخر الدين بن لقمان (ت 693هـ/1293م) ثم خدم اصالة لدى السلطان نجم الدين ايوب. انظر ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، 1، ص 99.

(5) الصقاعي، تالى وفيات الاعيان، ص 29.

7- الكاتب، الكتاب :

هو العامل في شؤون الديوان بموجب مرتبة ادارية خاصة، والكتاب انواع اهمهم كاتب الانشاء (المنشي) والمراسلات، الذي له طريقته في الكتابة وتحرير الرسائل السلطانية، فهو ينفذ بريداً لخدمه السلطان، وهناك كاتب بمثابة ناظر ديوان الامراء الكبار، وقد يكون مشارف لبيت المال برئاسة صاحب الديوان.

8- النظر، الناظر، وناظر الديوان :

وهي مهمة مالية - ادارية يكلف بها اميرها. وهناك نظر الجيوش ونظر الخزانة وبيت المال. وهناك ناظر البيوت وناظر بدار الضرب، ذو الوظيفة المهمة الحساسة.

ومن مهامات ناظر الديوان قطع المصانعات من اجل معرفة جهات الاستخدام والصرف. وقد يكون النظر مشاركة وقد يكون مفرداً⁽¹⁾.

9- المنشور :

وثيقة سلطانية تأخذ شكل كاتب يصدر من متولي ديوان الانشاء بعد مناسبة ما، مثل فتح مدينة او استيلاء على قلعة، تتضمن وعود يتعهد بها السلطان لاهل المدينة المفتوحة باظهار العدل في العهد الجديد وازالة المظالم ورفع الضرائب والمكوس، مثل الكتاب الذي كتبه العماد الاصفهاني، كاتب ووزير صلاح الدين، بمناسبة فتح هذا السلطان لحلب في 579هـ/1189م⁽²⁾. وكذلك يرد المنشور اذا انعم السلطان على امير من امرائه في توقيع ولاية من الولايات التابعة له وتقرير اقتطاعاته وامتيازاته.

10- المرسوم :

أي امر سلطاني بالتعيين والعزل والهبات والمصادرات لجميع متولي المناصب العسكرية والادارية والدينية من الامراء والوزراء والصدور والقضاة

(1) الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص 35.

(2) انظر عمر بن شاهنشاه الايوبي، مصار الحقائق وسر الخلائق، تر. حسن حبشي (القاهرة: هنا للطباعة والنشر، 1968)، ص 147-148.

ومتولي النظر بأخذ شكل المرسوم. وعلى الجهة الصادرة اليه واجب التنفيذ، والا يعرض العامل المسؤول نفسه للعقوبات السلطانية.

فالاثنان (مرسوماً ومنشوراً) يتضمنان امراً رسمياً، المرسوم من جهة السلطان وحده، والمنشور من ديوان ملوك البيت الديوبي. غير ان المرسوم يأتي ايضاً على شكل منشور تتولى تفيذه الجهة المعنونة اليه، وهو في كل الاحوال يسمى كتاب يحرر من اجل اخبار نواب البلاد ما تم تحقيقه من فتوح وما يطلبه السلطان من عساكر واموال وغيرها من امور الولايات السلطانية.

وقد يسمى الامر السلطاني بالفرمان، وهو اذن من السلطان لمستلمه المستفيد يصبح بموجبه واجب التنفيذ. وهذا هو الفرمان الذي شاع استخدام لفظه ايام المغول.

والكتاب الرسمي يصدر عادة باسم السلطان الى متولي ديوان الانشاء، اما وزير اصلاً او بالنيابة وهذا يجري في ضوء ما يرفعه الوزير عادة على شكل رقعة الى السلطان كأن يذكر فيها جنایات مسؤولين تابعين له عادة من اجل الحصول على مال مبلغ كبير، وقد يطلبه السلطان مطالعة بهذا الامر، وباستدعاء مسؤولين لهم صلة مباشرة بأهل الجنائية.

11- الرقعة :

كتاب يتضمن استجابات السلطان لظلامات رفعت من الرعاعي لمجلسه العالي او شكاوي نظر بها السلطان.

12- الاخبار :

ما يخصص للامير هو وحواصله من واردات للنفقات على شكل اقطاعات ومال وغلال، والى السلطان وحده تقع مسؤولية اقطاع الاتابك او الامير هذه الاخبار، ووحده هو ايضاً الذي يتعرض الى حواصلمهم، عادة يعطي السلطان الامراء اخبارهم من مصادرات الامراء المعزولين والمطوفين وباقرار من السلطان ايضاً، التي يكتب بها عادة منشور باخبار ذلك الامير، وتشمل مدن وقرى وحصة من الخيول، مثلاً الملك المعظم توران شاه دفع خبر فخر الدين شيخ الشيوخ (ت 647هـ/1249م)، بحواصله الى احد خدامه المقربين،

هو جوهر الخادم^(١). ومثلاً ابن شداد، قاضي الحكم في المملكة الحلبية، كان اقطاعيه على الملك العزيز على مائة الف درهم في السنة^(٢)، ويمثل اخر توصف اخبار الامير ناصر الدين القيمري (ت 665هـ/1266م)، من اكابر الامراء في الدولة والناصرية بالشام، بانها من اجل الاخبار، وكان له عده مئتي وخمسون فارس^(٣).

13- مقدمة في وزراء الظاهر :

رغم ان عهد الظاهر غازي (582-1266هـ) هو الاهم في عمر المملكة الحلبية التي قامت ایام حکم الایوبیین (579-1183هـ) والتي تشمل ایضاً عهد ابنه الملك العزيز محمد (613-1236هـ) وحفيده الملك الناصر صلاح الدين يوسف (634-1258هـ)، سلطان حلب والشام الا ان الظاهر غازي هذا، مثلما سنلاحظ، لم يشهد مقارنة بالعهود اللاحقة من الحكم لهذا الفرع الرئيس من البيت الایوبي الحاکم، ارتقاء شخصيات ادارية لامعة في دست الوزارة الحلبية، ربما لقوة شخصية الظاهر غازي ابن صلاح الدين مثلما يجمع متجممو سيرته من المصنفین الشامیین وغير الشامیین، وایضاً الى الاشراف المباشر الذي كان يمارسه هذا الابن الثالث لصلاح الدين على شؤون المملكة .السياسية والعسكرية والادارية متحتمة.

مع ذلك، فان الدولة الظاهرية شهدت خلال حكم الظاهر غازي تعيين خمسة وزراء اقاليم في مقعد الوزارة الايوبيـةـالحلبـيةـ، هـم عـلـى التـابـعـ كلـ منـ الـوزـيرـ القـاضـيـ المـؤـتمـنـ (تـ588ـهـ/1192ـمـ) وـوزـارـةـ الـعـلـمـ بنـ مـاهـانـ (590ـهـ/1195ـمـ)، ثـمـ وزـارـةـ جـمـالـ الدـينـ اـبـوـ غالـبـ اـبـنـ الحـصـينـ الـبـغـدـادـيـ (592ـهـ/1200ـمـ)، تـبعـهـ الـوزـيرـ نـظـامـ الدـينـ اـبـوـ المؤـيدـ (597ـهـ/1206ـمـ)، واـخـيرـاًـ وزـارـةـ الـوزـيرـ شـمـسـ الدـينـ اـبـنـ ايـ بـاعـيـ (609ـهـ/1216ـمـ)، فـيـماـ لاـ يـعـرـفـ منـ شـغلـ الـوزـارـةـ مـمـلكـتـهـ خـلالـ

(1) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، ص 272.

(2) ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر (مجلدان بيروت : دار الكتب العلمية، 1997)، م، 2، ص 258.

(3) الصقاعي، تالٍ كتاب وفيات الاعيان، ص 64.

السنوات الاولى من حكمه لحلب واعمالها بين السنوات (ت 588-582هـ/1186-1192م)، والاشتباه في وزارة الظاهر غازي هو قاضي صلاح الدين السابق بهاء الدين ابن شداد، الذي عين كقاضي لحلب في 591هـ/1194م بعد عزل قاضيها البانياسي حتى وفاته في 14 صفر 632هـ/8 تشرين الثاني 1234م. والاهم انه حل عنده كوزير شريفي في رتبة الوزارة والمشاورة⁽¹⁾. ومما تجدر ملاحظته ان الظاهر غازي لم يكن يقبل بعمل كل من يتصل به من الكتاب والصدر للخدمة في ادارته، فمثلاً كان قد رفض استخدام ضياء الدين⁽²⁾ ابن الاثير، الاخ الاصغر لعز الدين ابن الاثير، وزير اخيه الملك نور الدين علي عندما اتصل به من اجل الوزارة⁽³⁾.

1- وزارة⁽⁴⁾ القاضي المؤمن ابن كاسيبويه (ت 588/1192م)

كان الظاهر غازي قد تسلم حلب من والده صلاح الدين في (581-582هـ/1185-1186م) ومجدداً من عمه العادل سيف الدين في (596هـ/1199م). اما من كان يعمل مع الظاهر غازي في الادارة الحلبية بين وقت تسلمه المملكة وسنة 588هـ سنة وفاة وزير فلا نعرف عنه شيء، فقط نعرف انه في (588هـ/1192م) مات وزير ابن كاسيبويه وزير صاحب حلب، وهي اشارة يوردها مؤرخ غير حلبی هو الحموي في التاريخ المنصوري⁽⁵⁾. اما ابن العديم فيقدمه على انه كان من كتاب الدولة الفاطمية اولاً ثم كلفه صلاح الدين بعد توسيعه لحكمه على اهل بلاده واستكتبه له وسیره معه الى حلب مدبراً

(1) ابن خلكان، وفيات الاعيان، م7، ص ص 84-100 في الاشارة الى الترجمة.

(2) ابو الفتح نصر الله بن ابي الكرم الشيباني، من بيت اثير الدين في الموصل، كاتب وشاعر وbuster في فن الكتابة، من اصحاب القاضي الفاضل، انتهت اليه كتابة الانشاء والترسل، من مصنفاته "امثل السائرون في ادب الكاتب والشاعر" ومجموعة من الرسائل في ديوان عن سيرته انظر ابو شامة، ذيل الروضتين، ص 169؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، م5، ص ص 389-397؛ ابن العماد، شذرات الذهب، م5، ص ص 187-189.

(3) ابو شامة، ذيل الروضتين، ص 169؛ كذلك في ابن خلكان وابن العماد، وعن سيرة الظاهر وطموحاته بالاستحواذ على الشام انظر : الحنبلي، شفاء القلوب، ص 252؛ وانظر ايضاً ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13، ص 85 "كان فيه عسف ويعاقب على الذنب اليسير كثيراً".

(4) وهو ابو علي بن الحسن بن اسماعيل بن الحسن ابن كاسيبويه وقيل ان اسمه علي ابن محمد ابو الحسن الملقب بالقاضي المؤمن الكاتب المصري وقد صارت له عند الظاهر غازي وجاهة زائدة وحرمة وافرة وملكه قرية من قرى حلب. عن سيرته انظر ابن العديم، بغية الطلب، م5، ص ص 2302-2303.

(5) لم نعثر عليها في التاريخ المنصوري، انظر ياسين، الايوبيين في شمال الشام والجزيرة، ص 324، هـ 6.

لامره وكاتبًا، وهو ليس بقاضي وظيفي مثلما توحى تسميته، بل ان العرف جرى لمخاطبة الوزير من طائفه النصارى بالقاضي⁽¹⁾ كون الوزير من اهل العمائم. بلا شك ان حرب الجهاد ضد الفرنج كان لها ما يشغل الادارة الحلبية انداك كون هذه السنوات من سلطنة صلاح الدين هي سنوات الحملة الصليبية الثالثة، وكان على مملكة حلب ان توفر للمجهود الحربي الذي يضطلع به السلطان حصتها من الاموال الازمة وخمسمائة من اعداد الخيول كانت حلب واجب عليها توفيرها عند الطلب⁽²⁾.

2- وزارة العلم بن ماهان (590-1193هـ/1193-592هـ) عمل ابن ماهان في الوزارة الحلبية لعامين (592-1193هـ/1193-592هـ)، لكنه لم يبق في الوزارة لطموحاته الامحدودة التي اوجبت صرفه وحبسه. لا نعرف عن سيرته شيء، اما عن عمله في الوزارة فهناك جملة ملاحظات يوردها ابن العديم في تراجم لجملة من معاصريه:

فمن ذلك اولاً ان ابن ماهان لم يكن وزيراً كامل الصلاحية اذ يصفه ابن العديم بأنه "كان في خدمة السلطان الظاهر في محل الوزارة"⁽³⁾. وبسبب طموحاته اختلف مع سيده الظاهر حول عمه السلطان العادل، وذلك عندما اشار عليه بالقبض على عمه الملك العادل، السلطان الايوبي مستقبلاً، وصهره من غازية خاتون وزوجته المدللة ضيفة⁽⁴⁾ خاتون، فامتنع في قول ابن العديم مشيراً الى العادل بأنه "عمي ومحله محل الوالد"⁽⁵⁾. وفي سنة (592هـ/1193م) اختلف ابن ماهان مع الظاهر غازي حول اقطاع اللاذقية وخزائن قلعتها، التي كان قد كلفه الظاهر بتسليمها الى مقدم العسكر امير

(1) واستمرت مدة المخاطبة ايام المماليك. انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة : كوتاسوس ماس سنة 1383هـ/1963م)، ج 13، ص 42-46؛ انظر ايضاً الاء حماد رجه، كاتب السر في الدولة المملوکية، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الاداب، جامعة بغداد، 2005)، ص 136، هـ 2، ص 3.

(2) حول حصة حلب انظر ابن واصل، مفرج الكروب، م 3، ص 115. وعادة عندما يتقرر امر الملك الايوبي في الولايات الايوبيية يحصل السلطان الايوبي مقابلة من الواجبات اقراراً بان يكون الملك هذا ضمن حكم السلطان بمعنى تحقيق الطاعة والسكنة والخطبة في كل الولاية واعمالها وسمعته. وبطاعة اوامر السلطان، ولن ينفذ عسكره الى خدمته متى اراد، وان يطلق المظالم ولا يرتكب فيها المأثم.

(3) زبدة الذهب في تاريخ حلب، م 3، ص 131.

(4) ضيفة وليس صفيحة كما ورد اسمها في بعض المصادر بسبب قراءات المحققين.

(5) ذاته، ص 131.

جاندار صلاح الدين، علم الدين قيسر الناصري. ويقول ابن العديم ان ابن ماهان "عندما دخل قلعة اللاذقية حدثه نفسه بالعصيان، واستحلف الاجناد لنفسه، فخالفه بعضهم وقبضوا على ابن ماهان، فيما قام الظاهر بتصفيته وتصفية اتباعه، واحتواه ما كان لديه" ونكل به بما يفوق عن الوصف⁽¹⁾.

3- وزارة جمال الدين ابو غالب عبد الواحد ابن الحسين البغدادي
(1200هـ-1195هـ)

كان وزيراً للسلطان صلاح الدين، ثم التحق بعد وفاة سيده في (589هـ/1193م) بخدمة ولده الظاهر ووزر له⁽²⁾، وهذا يعني ان وزارته بدأت في وقت ما من سنة (590هـ/1192م)، في وقت كان ابن ماهان يخدم في الوزارة، واستمرت مدة سبع سنوات حتى وقت وفاته في (597هـ/1200م)⁽³⁾.

4- وزارة نظام الدين⁽⁴⁾ ابو المؤيد محمد بن الحسين الكاتب
(1200هـ-1197هـ).

بقي الوزير ابن الحسين الكاتب في الوزارة الحلية عقد من الزمن بين نهايات السادس الهجري وتقدم القرن السابع ولم يصرف عن عمله حتى وقت وفاته في صفر 607هـ/ ايار 1210م يثنى ابن العديم على سيرته ويصفه بأنه "كان وزيراً صالحًا مشفقاً ناصحاً، واسطة خير عند السلطان (الظاهر غازي) لا يشير عليه الا بما فيه مصلحة رعيته والاحسان اليهم"⁽⁵⁾. وكان يعمل رسولاً للظاهر في المناسبات. كالمهمة التي قام بها بالتفاوض مع الامراء والصلاحية في القدس سنة (595هـ/1198م) والمهمة التي اضطلع بها من اجل حصول عهد السلطان العادل لسيده الملك الظاهر في سنة (596هـ/1199م)⁽⁶⁾.

(1) زبدة الذهب، م، 3، ص 136-137 (الاطلاع على كيفية التشهير به وحبسه).

(2) ابن العديم، زبدة الذهب، م، 3، ص 152.

(3) ذاته، م، 3، ص 131، ص 136؛ ص 152.

(4) اصله اصفهاني توفي بحلب بعاه الدوز نظاريا، وهو دؤلي والده هو "الحسين ابن محمد بن الحسين بن علي بن محمد الدؤلي 592هـ/1195م)، وزير اربيل في عهد مجاهد الدين قيماز. انظر زبدة الحلب، م، 3، ص 263، نفسه، بغية الطلب، م، 6، ص 2748-2749.

(5) زبدة الذهب، م، 3، ص 152.

(6) ابن واصل، مفرج الكروب، م، 3، ص 94، ص 114.

وفي عهد هذا الوزير قدم حلب كاتب الانشاء، الاسعد بن مماتي ليضع خبرته الانشائية والمالية في خدمة ديوان الظاهر حتى وقت وفاته في (606هـ/1209م).

5- وزارة شمس الدين ابن ابي يعلى⁽¹⁾ (609هـ/1212م-613هـ/1216م)

وهو اخر الوزراء في قائمة وزراء الظاهر الخمسة، جلس في دست الوزارة لا يقل عن اربع سنوات حتى وقت وفاة كاتب الانشاء ابن الحصين⁽²⁾ (ت609هـ/1212م) وبعد مدة من العمل في ديوان الانشاء شخصياً.

وفاة الوزير ابن الحصين الكاتب شغرت وزارة المملكة من وزير مستقل يعمل بهذه الوظيفة من موقع الدست، وبقيت تدار مناصفة بين كاتب الانشاء والاسرار ابن الحصين ومستوفي الدواوين ابن ابي يعلى. فقط عند وفاة الاول استقل ابن ابي يعلى بالوزارة سنة 609هـ/1209م واضيف اليه ديوان الانشاء مع الاستيفاء⁽³⁾.

يصف ابن واصل (ت697هـ/1297م) الوزير ابن ابي يعلى بأنه "كان المستولي على الامور كلها في الايام الظاهرية"⁽⁴⁾، وظل وزيراً حتى وقت تأمراه على خلافة الملك العزيز محمد لوالده الظاهر غازي عشية وفاته في 613هـ/1216م، بوجب ذلك لم يحتفظ بصلات جيدة مع بعض رجال ادارة الظاهر غازي، بوجه الخصوص مع قاضي حلب الشهير بهاء الدين ابن شداد، مستشار صلاح الدين وكاتب مذكراته في مصنف النواذر السلطانية.

ان اهم مشكلة كانت تواجه الوزير ابن ابي يعلى في اعقاب وفاة الظاهر هو كيفية التخلص من اتابك المملكة شهاب الدين طغرييل، مري واتابك ولی العهد الملك العزيز محمد، الذي قدمه والده على غيره من المرشحين لتولي رئاسة المملكة. رغم صغر سنه الذي لم يزيد عن ثلاثة سنوات حينئذ.

(1) شمس الدين محمد بن عبد الباقى بن ابي يعلى الموصلى، ويظهر بأنه دؤلي من اهل الموصل، توفي بدمشق في رمضان 613هـ/1216م، انظر عنه ابن العديم، زبدة الذهب، م، 3، ص164؛ ابن العديم، بغية الطلب، م، 4، ص1559.

(2) شرف الدين ابو منصور ابن الحصين، انظر ابن العديم، زبدة، م، 3، ص165.

(3) ابن العديم، زبدة الذهب، م، 3، ص163-164.

(4) مفرج الكروب، م، 3، ص251.

قام الوزير ابن اي يعلى بمحاولتين بغرض تقوية مركزه في الوزارة في اعقاب قيام العهد الجديد في حلب، واحدة تتعلق بالخلص من الاتابك طغرييل، والاخري تسعى لوضع مرشح من اختياره على كرسي المملكة يكون من صنعه ويسير حسب توجيهاته. والمحاولات فشلت وتسبيبت في اخراجه من الوزارة ونهاية عمله الاداري.

كان الظاهر غازي عشية وفاته قد اوصى⁽¹⁾ في ان يكون ولده العزيز محمد مرشحه الاول بين ثلاثة لوراثة العرش الحلبى، وفي ان يكون منصب الاتابك للطواشى الارمني شهاب الدين طغرييل، القائم بتدبير المملكة ائذ. وقد نجح طغرييل بمساندة قاضي المملكة بهاء الدين ابن شداد في التصدي لهذه المحاولة واجهاضها، وفي صرف الوزير اولاً ثم عزله بعد الاجتماع الناجح الذي اقاموه بدار العدل اسفل القلعة في شعبان (613هـ/مايس 1216م) بمساعدة الامراء الحلبين، وفي تلبية رغبة وتوصية سيدهم المتوفى الظاهر غازي في ان يكون العزيز محمد على دست الحكم.

ومما لا شك فيه ان هذا التطور لصالح الاتابك طغرييل هو في حقيقة الامر الواقع تعطيل وتعليق مؤسسة ووظيفة الوزير، مسؤول الديوان التي لم تظهر مجدداً الا في 617هـ/1220م ايام وزارة القسطنطين الاولى، وبشكل خاص بعد نجاح الملك العزيز محمد في اثبات استقلاليته في الحكم سنة (628هـ/1230م) وقبلها.

طبعية واسماء متولي الديوان ايام الظاهر غازي :

ماذا كان حال الدواوين ايام عهد الظاهر غازي واسماء متوليهما من الصدور العاملين مع هؤلاء الوزراء الخمس ؟

كان ديوان الملك الظاهر غازي يضم مجموعة مهمة ولامعة من الكتاب الكبار ، ولا غرابة في ذلك ، فهو سلطان حلب القوي ، وممثل شرعى لهذه الولاية الايوبيه الهامة واعمالها ، وهو المتمكن من اولاد صلاح الدين وموحدتهم والمعترف بمنزلته من قبل سلطان الوقت ،

(1) مما قيل في حق ترشيح طغرييل (ت 14 صفر 632هـ/تشرين الثاني 1234م) "هو يذب عن حلب كما يذب عن غيرها من ممالكه [الظاهر] وامور الخزائن بالقلعة راجعة اليه" والرأي ان تكون الامور جميعها مفوضة اليه، انظر : ابن واصل، مفرج الكروب، م3، ص251. ولطغرييل ترجمة مطولة في ابن خلkan، وفيات الاعيان، م7، صص 84-100.

السلطان العادل سيف الدين، الذي ثبته رسميًّا في 596هـ/1199م بعد زواج الظاهر غازي من ابنة العادل ضيفة خاتون⁽¹⁾.

من بين هؤلاء الكتاب لدينا مثلاً القاضي الاكرم الوزير جمال الدين ابو الحسن القفطى⁽²⁾، ومنهم مؤرخ حلب المعروف الصاحب كمال الدين بن العديم الذي صنف للظاهر كتاب "الدراري في ذكر الذراري"⁽³⁾ ومنهم بشكل غير رسمي الاسعد بن مماتي⁽⁴⁾ الخبير في الشؤون المالية الايوبية. فكيف كانت تقوم تقوم مباشرة هؤلاء الصدور للدواوين بديوان الوزارة ؟

ان مباشرة الدواوين عادة تكون بالاصالة يتولاها احد الصدور من اصحاب العمامئ او القلم بتكليف من السلطان او الملك الايوبي مع ذلك، فأن المباشرة على نحو ما يحدد الصقاعي اما ان تكون عمالة ومشاركة او نظر⁽⁵⁾ "في دست الديوان" ودست النيابة، وهناك عدد من كتاب الدرج يتولاهم رئيس باسم رئيس كتاب الدرج، ونيابة ديوان الدرج، وعدد من التشكيلات الديوانية المتداخلة، فمثلاً لدينا ناظر الديوان (والنيابة له) وناظر الجيوش، وناظر الخزانة (بيت المال)، الذي ينسق عادة مع المستوفين ويعمل اوراق بالصنف الذي يحتاجه.

ومهما يكن فان الديوان الحلبي ايام الظاهر والعزيز والناصر يوسف انتقل- باستثناءات قليلة من حال الصدور الكبار الى صدور بالتسمية وحدها. وفيما يلي اشهر متولى الديوان الظاهري حسب توفر المعلومات الوصلة اليها.

1. ديوان الانشاء والمراسلات : عمل فيه القاضي الاكرم ابن القفطى وهو من خيرة الصدور في هذا الفن.

(1) ترد احياناً باسم صفية وليس كذلك، اما زوجته الاولى فهي غازية ابنة العادل ايضاً، والتي توفيت قبل اقتران الظاهر بضيفة خاتون انظر ابن العديم، زبدة الحلب، م، 2، ص 163، هـ 3، ص 163.

(2) علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد بن موسى، وزير حلب (560-568هـ/1172-1164هـ) احد الكتاب المشهورين، اصله من مصر كان لا يحب في الدنيا في حياته سوى الكتب واوصى بكتبه ومصنفاته الكثيرة للسلطان الناصر يوسف، اخوه الوزير مؤيد ابن القفطى، له تراجم كثيرة من اهمها ياقوت-معجم الادباء- ج 6، صص 176-254؛ ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، 2، ص 164-165.

(3) انظر مقدمة سامي الدهان في مصنف ابن العديم، زبدة الذهب في تاريخ حلب، م، 1، ص 49؛ ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، 2، ص 172.

(4) انظر عن سيرته ياقوت، معجم الادباء، ج 6، صص 100-127.

(5) تال وفيات الاعيان، ص 174، 177، 181.

2. شرف العلي هاشم بن الاشرف، منشئ المملكة ايام الظاهر، عمل كاتباً للانشاء في بدايات القرن السابع الهجري، وهو الولد الاكبر للشريف تاج العلي⁽¹⁾ من آل اي طالب.

3. كاتب الانشاء اسعد بن ابراهيم الاربلي، عمل كمنشئ في وزارة الوزير ابن اي يعلى⁽²⁾.

4. الرئيس جمال الدين علي بن صفي الدين اي القاسم بن الطيرية، قلده الظاهر غازي رياسة المدينة حلب، وكانت لابيه صفي الدين قبله⁽³⁾.

5. ابو القاسم بن اي الحسن. ذكره ياقوت في قول القفطي مفاده ان ابن اي الحسن كان قد انصرف عن الملك الظاهر ثم رجع اليه "وتوطن من النعمة الظاهرية"⁽⁴⁾.

6. ابو القاسم حمزة بن علي الكاتب، متولى ديوان الاحباس زمن صلاح الدين، التحق بالظاهر غازي ورتب له معلوماً واستخدمه كرسول لدار الخلافة⁽⁵⁾.

ديوان امال (ديوان الخزانة)

عمل في هذا الديوان مدة غير محددة القاضي اسعد بن مماتي عندما جاء فاراً من غريمه الوزير ابن شكر، وزير السلطان العادل سيف الدين في 1204هـ/604م من مصر لكن المنية لم تهمله وتوفي في 1209هـ/606م وقد شاهده ياقوت مقیماً في الدست⁽⁶⁾. كما عمل رئيساً لديوان امال جمال الدين ابن القفطي منذ سنة 1212هـ/609م الذي اضطلع بالمسؤولية بهدف القيام بالاصلاح المالي للديوان وظل الوضع على هذا الامر حتى وقت استیزار كاتب الانشاء الشهير هذا للوزارة⁽⁷⁾.

(1) وهو الاشرف بن الاعز من آل اي طالب، قدم حلب في 600هـ/1203م، فاكرمته الملك الظاهر بقول ابن العديم، بغية الطلب، م، 4، ص 1876 : "ونفق عليه واجرى له معلوماً واستكتب ولده الأكبر".

(2) ابن العديم، بغية الطلب، م، 4، ص 1559.

(3) ابن واصل، مفرج الكروب، م، 3، ص 238.

(4) معجم الادباء، ج، 15، ص 183.

(5) ابن العديم، بغية الطلب، م، 6، ص 2647.

(6) معجم الادباء، ج، 6، ص 104، ص 117.

(7) ذاته، ج 15، ص 175-208. وياقوت تربطه بابن القفطي علاقات مودة ومراسلات.

ويتولاه صدر او ناظر باسم العارض او ناضر الجيوش يتولى مسؤولية تقرير اقطاعات الامراء وارزاق الجند والاشراف على استعراضات فرقه امام الملك وتهيئتهم للحملات العسكرية التي يقوم بها السلطان الايوبي او مقدمي الجيش. ومن كتابه جرجيس ابن العميد، مصنف اخبار الايوبيين، ووالده.

ديوان الاستيفاء

ويتميز اعداد من متوليه من النصارى وهم يعملون عن قرب مع ناظر الديوان ونوابه، وكذلك مع ديوان الاداره، الذي لم تتوفر لدينا معلومات عن متوليه من الكتاب، ولا يمتلك معلومات بشأن متولو الديوان ايام العزيز محمد مع انا نفترض ان كثير من هؤلاء المسؤولين انخرطوا في ادارة الناصر يوسف في حلب اولاً ثم في ادارته الموسعة بالشام على نحو ما سلناه لاحقاً. فقط واحدة من الاشارات النادرة تخص الشيخ ابن اي عصرون⁽¹⁾ (ت 632هـ/1234م) الذي خرج من الملك العزيز رسولاً للخليفة الناصر لدين الله يطلب تقرير سиде بسلطنة حلب على نحو ما كان عليه ابوه الظاهر غازي⁽²⁾.

علقت الوزارة الحلبية خلال الخمس سنوات الاولى من حكم الملك العزيز محمد بسبب تسلمه الاتابك شهاب الدين طغرييل بموجب التفویض الممنوح له مهام الوزارة.

لم يكن الاتابك طغرييل⁽³⁾ (ت محرم 631هـ) الارمني الاصل وزيراً بالمعنى الاداري للمملكة، لكنه كان يدير كثير من الامور التي تقع في مهام مسؤولة الوزير بما فيها خزانة السلطان⁽⁴⁾.

(1) هو عبد السلام بن المظہر بن عبد الله بن محمد بن اي عصرون، احد شخصيات الديوان المهمة ايام الملوك العزيز محمد، انظر ابن تغري-بردي، النجوم الزاهرة، ج، 6، ص 216.

(2) المصدر ذاته.

(3) يوصف بعلو خلقه وباختلاصه الامحدود لابن سيده الظاهر غازي رغم سلطاته الواسعة التي اقتضاها تفویض الامور كاتبها مسؤول عن تدیر شؤون الملك العزيز (عمر ثلث سنوات 610هـ/1213م) عن سيرته انظر ابن الاثير، الكامل في التاريخ، م، 12، ص 314، من بين اشارات كثيرة.

(4) اوجبت وصية الظاهر ان يتقاسم شؤون المملكة الاتابك شهاب الدين طغرييل المسؤول عن تدیر شؤون الملك العزيز، واليه ولاده القلعة وخزائنهما وشؤون القصر، ومقدم العسكري الامير سيف الدين ابن علم الدين (ت 622هـ/1225م) وكذلك مع قاضي حلب الكبير بهاء الدين ابن شداد. وظل هكذا الى وقت استرجاع العزيز لسلطاته في 628هـ/1230م.

في الواقع، لم يكن الملك العزيز محمد يحسب له حساب في الوضع السياسي لمدينة حلب عندما تولى رسمياً شؤون الحكم في البلاد لصغر سنه، ولسيطرة اتابكه شهاب الدين طغرييل على الادارة والحكم، بموجب قرار التفويض للاتابك. ولم يستقل بشئون الحكم الا بعد ما يزيد عن عقد من تحكم الاتابك في شئون المملكة عندما اجبر اخيراً الى التنازل عن كافة المهام التي كان يقوم بها باسم الملك والى مغادرة القلعة هو ورفيقه قاضي المملكة ابن شداد، والسكن بداره اسفل القلعة، فيما لم يعد ابن شداد يستطيع تدبير الامور بسبب شيخوخته المفرطة.

وقد انعكست استقلالية⁽¹⁾ الملك العزيز ومسؤوليته الجديدة في اختيار وعزل الوزراء والعمال العاملين في الديوان متمثلاً باستیزاره لأول مرة وزيراً للمملكة باسم زين الدين. وفيما يلي ملخصاً بعمل هؤلاء الوزراء وخصوصيات ادارتهم.

الوزير القاضي الاكرم جمال الدين ابن القفطي⁽²⁾ (1220هـ-617هـ) وهي اول الوزارات التي شغلها من بين ثلات استیزارات له في خدمة الدولة الحلبية، كل من 617هـ/1220م، و 634هـ/1236م، خلال ايام حكم العزيز محمد

(1) علامات استقلال العزيز بملكه في تسلم خزائنه من اتابك شهاب الدين طغرييل وترتيبه الولاية في القلاع واستخلاف الاجناد واختياره وزراء المملكة. لاحظ ما يقوله ابن العديم، زبدة، م، 3، ص 211 " واستقل السلطان بملكه وتسلم خزائنه من اتابك شهاب الدين ورتب الولاية في القلاع واستخلف الاجناد لنفسه، وخرج بنفسه ودار القلاع والحسون" انظر ايضاً ابن واصل، مفرج الكروب، م، 4، ص 309-310.

(2) جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الواحد الشيباني (1172هـ-646هـ/1248م) من طبقة الصدور الكبار ومن اتباع مدرسة القاضي الفاضل (ت 596هـ/1119م)، وذات شهرة كبيرة في العمل الاداري وله مصنفات كثيرة تقرب من ست وعشرين عملاً، من اهمها اخبار العلماء باخبار الحكام، وانباه الرواة على انباه النحاة. خدم قبيل رمضان 609هـ/1212م، وقت التحاقه بالظاهر غازي، سيد حلب لدى والي القدس فارس الدين ميمون القصري (ت 510هـ/1116م) احد امراء صلاح الدين الكبار، في البداية على سبيل الصداقة والمؤودة. وبعد وفاة كاتبه (وزيره) عمل على سبيل الخدمة، ونجح في تدبير اموره وسياسة جنده احسن تدبير، عن سيرته انظر ياقوت، معجم الادباء، ج 15، ص 204-175 (الذي تربى بابن القفطي علاقات مودة ودراسات؛ ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، 2، ص 165-164؛ السيوطي، حسن المحاضرة، م، 1، ص 265 (من بين تراجم كثيرة). رغم انه كان مؤهلاً للوزارة بلا نظير الا من خصوصياته الترفع عن قبولها لصالح الاستغال بالعلم وعمل المصنفات، ومع ذلك فلا يوجد بين ارباب العلم من ينافس ابن القفطي في اشتغاله بادارة الملوك الحلبين الثلاث كتولي لديوان المال خلال عهد الظاهر غازي بتقرير حالة الاصلاح المالي وكوزير للعزيز محمد في دفترين وفي وزارة ابنه الناصر يوسف، انظر مقدمة ابو الفضل ابراهيم في القفطي، انباه الرواة، م، 1، ص 13-17.

A. Dietrich, Ibn Al-Kifti, EI.2, III, 840;

(تاریخ التحاقه بالظاهر الذي يحدده بـ 602هـ او 603هـ مشكوك فيه).

و 634هـ/1236م، خلال أيام دولة الناصر يوسف، يقال انه قبل العمل فيها مكرهاً لا طوعاً، رغم مؤهلاته الكثيرة التي ترشحه لطلب الرئاسة ونيل أعلى المراتب الادارية الخاصة بارباب العمائم. ففي سنة 617هـ/1220م، يذكر ابن خلkan ان ابن القبطي "كان يحتل مركز وزير صاحب حلب والعواصم" العزيز محمد⁽¹⁾.

تعود علاقة القاضي الاكرم بالملكة الحلبية الى أيام حكم الظاهر غازي عندما عينه في 610هـ/1213م على خزانة بيت المال حيث باشر باصلاح الديوان ملبياً دعوة سيده، ومحقاً هنا بنجاح الاصلاح الذي كان ينشده الظاهر - كما تولى حكم الظاهر نفسه امر ديوان الانشاء والمراسلات لتتوفر كتب من انشائه توضح مسؤوليته عن هذا الديوان، مثل الكتاب الذي حرره بشأن رحيل الفرنج عن حصن الخواجي⁽²⁾.

خلال ادارة اتابك طغرييل نيابة عن الملك العزيز محمد، سكن ابن القبطي القلعة كاحد المسؤولين الكبار في الادارة الحلبية، ولم يظهر خلاف بين الاثنين خلال مدة رئاسته للوزارة حتى وقت طلب ابن القبطي من العزيز محمد اعفائه من الوزارة الذي استجاب لطلبه بتعيين زين الدين وزيرًا جديداً للملكة.

شهدت وزارته ايام العزيز محمد تراجعاً في ممتلكات حلب واقطاعاتها لوقوع حلب في كماشة النزاع بين الاخوين المتنفذين، اولاد السلطان الراحل الملك العادل، كل من الملك المعظم عيسى (ت 624هـ/1226م) والاشرف موسى (ت 635هـ/1237م) متولي الحكم في دمشق والجزيرة، وبسبب سياساته المباشرة التي اتبعها سيده الملك العزيز محمد تجاه عناصر ادارته والتي شهدت كذلك تدخل سلاجقة الروم بشخص السلطان في شؤون المملكة الحلبية الى حد اعلان الخطبة باسم الاخير⁽³⁾. مثلاً في سنة 632هـ/1234م حلف السلطان الكامل محمد لصهره الملك العزيز - دون اتابكه - وسير لهذا الغرض التاج بن الصفي

(1) ابن خلkan، وفيات الاعيان، م، ص 129-139 في نص رسالة تبودلت بين الوزير وياقوت الهاوب من التيار ينقلها بن خلkan وابن القبطي الذي يودعها مصنفه انباه الرواة.

(2) ياقوت، معجم الادباء، ج 15، ص 192-193. حصن الخواجي احد اعمال حلب. انظر ابن العديم، زبدة الذهب، م، ص 166-167.

(3) ابو الفضل الحموي، التاريخ المنصوري، ص 144. 0 يتوقف تغطية الحوادث عند السنة 631هـ/1233م).

لأخذ حلف العزيز له⁽¹⁾. وقد حاول اتابك طغرييل عدم الاذعان ورفع يده ولسانه، فجاء جواب العزيز بقطع جماعة امراء واخذ اخبارهم⁽²⁾ تحدياً للاتابك، وكان الملك المعظم يعترف بسلطان العزيز على حلب وحمادة ولا يقرها على حمص، والاشرف موسى يتطلع لأخذ حران وسنجار في وقت تهديدات السلطان الخوارزمي جلال الدين منكربتي لاجتياح الجزيرة من خلاط.

وزارة الوزير زين الدين⁽³⁾ :

خدم زين الدين الملك العزيز محمد لخمس سنوات في دست الوزارة بين 634-629هـ/1236-1231م، الذي جاء استیزاره متزامناً مع وقت استعادة الملك الشاب سلطاته من كل من اتابكه طغرييل (ت 631هـ/1233م) وقاضي المملكة ابن شداد (ت 632هـ/1234م)، وهما الشخصيتان المسؤولتان عن تثبيت وراثته الشرعية لحكم المملكة الحلبية بعد تفجر الصراع بين اولاد البيت الايوبي حول رياضة المملكة في اعقاب وفاة والده. والوزير الجديد ينتمي الى طبقة الكتاب الحلبين.

لا نعرف شيء عن تدرج عمل زين الدين الاداري. وما يعرف عنه انه يشتهر بتسمية خطيب القلعة وابن خطيبها قد استوزره العزيز ومال اليه بجملته⁽⁴⁾ بقول ابن العديم، الا انه لم يتحمله في نهاية عهده، فغضب عليه والزمه داره بقلعة حلب، ليس بسبب منافسة خلفه الوزير الجديد جمال الدين ابن الققطي⁽⁵⁾، مثلما سنالاحظ، الذي عرف بنزاهته وترفعه عن اشغال المنصب بل لتدخله في تعيين شؤون القضاء والتي اراد العزيز من خلاله الحفاظ على نزاهة القضاء وعدالته.

عزل الوزير ابن الفقطي (وزارته الاولى) :

وفي السنة 629هـ/1231م اصدر الملك العزيز امراً يتضمن عزل الوزير ابن الفقطي عن الوزارة الحلبية وعين عوضاً عنه خطيب مملكة حلب زين الدين

(1) المصدر ذاته، ص 125-126، ص 140، ص 195، ص 198.

(2) المصدر ذاته، ص 234.

(3) هو زين الدين عبد المحسن ابن محمد بن حرب.

(4) زبدة الذهب، 3، ص 211.

(5) ابن العديم، زبدة الذهب، 2، ص 221، ص 266.

عبد الحسن بن محمد بن حرب. وهذا امر خلاف ما هو شائع من ان ابن القفطي خرج من الوزارة على سبيل الاعفاء لا العزل. ويعود العزل، طبقاً لابن واصل الى تأثير الوزير الجديد على سيده العزيز ويقول "وكان (العزيز) يألفه ويجتمع به كثيراً، قبل ان يستقل بامر السلطنة، فلما استقل الملك العزيز (بسنة 628) فوض اليه الامور جميعها، (ومال اليه ميلاً كلياً) واذن له في قبول كل ما يهدى اليه من الاموال وغيرها من الامراء والاكابر⁽¹⁾".

وزارة القاضي ابن القفطي الثانية (بداية 634هـ/1236م) :

خلال وزارته الثانية كان القاضي الاكرم ابن القفطي يواجه جيلاً جديداً من الامراء وارباب العمائم والصدور "فالاتابك شهاب الدين طغريل قد رحل منذ سنوات، وكذلك رحل قاضي المملكة المخضرم ابن شداد الذي كان حتى قبيل وفاته لم يكن قد بقى له حديث في الدولة"⁽²⁾، بالمقابل شخصية الملك العزيز "الذي سمح لاستيلاء جماعة من الشباب على الملك وانشغاله بهم"⁽³⁾ سيكون لها شأن عشيّة رحيل حاكم الوقت ذو الاربعة وعشرين سنة من العمر وتولي مسؤولية ولـي العهد الملك الناصر يوسف، الحكم بالبلاد.

استؤزر القاضي الاكرم ابن القفطي بداية 634هـ/1236م عندما غضب الملك، لاسباب غير مذكورة، على وزيره زين الدين ابن حرب، ربما لما كان له من صلة في تبني ترشيح كمال الدين ابن العجمي⁽⁴⁾ نائب الجيش في حلب، الذي لم يلق صدى لدى الملك رغم محاولات ابن العجمي المغربية رشوة السلطان وخواصه من اجل قبول ما بذله وتعيين نائب ابن شداد القاضي ابن الاستاذ (ت 636هـ/1238م) في المقعد الشاغر⁽⁵⁾ الا ان الوزير ما ان مضى شهراً على

(1) مفرج الكروب في اخباربني ايوب، تحقيق حسنين محمد ربيع، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، 1972) ج 4، ص 321-333. وينسب ابن واصل استقالالملك العزيز في الملك عن اتابكه طغريل الى هذه السنة، وقد بلغ من العمر ثمان عشرة سنة، المصدر ذاته، ج 4، ص 305.

(2) ابن خلكان، وفيات، م، 7، ص 99.

(3) المصدر ذاته.

(4) عن مناورات ابن العجمي شراء المنصب و موقف الملك العزيز منه انظر ابن العديم، زبدة الذهب، م، 3، ص 219-220.

(5) ذاته، م، 3، ص 219-220، وابن الاستاذ هو زين الدين عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علوان الاسدي، انظر ابو شامة، ذيل، ص 166.

وزارته حتى حصلت الوفاة للعزيز محمد (ربيع الاول 634هـ)⁽¹⁾، حينئذ تقرر تدبير الامور من قبل مجلس شورى باشراف والدة الملك الراحل ضيفة خاتون، على ان يبقى القاضي الاكرم وزير الدولة، وهو ما يمثل لابن القفطي وزارته الثالثة في عهد الملك الناصر يوسف، الذي ارتأى استمرار استيزاره في الديوان⁽²⁾. وزراء الناصر يوسف الايوبي :

بسبب صغر السلطان الذي لم يزد عمره عن ست سنوات عند تسلمه الحكم خلفاً لوالده الملك العزيز محمد (24 سنة)، تحكم في شؤون الوزارة حتى سنة 640هـ/1241م، وقت وفاة ضيفة خاتون عدد من الشخصيات العسكرية والادارية الايوبيّة الهامة، يكونون المجلس الاستشاري للملكة الحلبية، اما بصورة منفردة او مشتركة، وهم :

1. ضيفة خاتون⁽³⁾ : والدة الملك العزيز محمد وزوجة مؤسس المملكة الحلبية، التي تحكمت في شؤون المملكة حتى وفاتها في 640هـ/1242م يسميها كل من ابن واصل وابن اييك الدوادار بالصاحبة ضيفة خاتون لما كانت لها من تحكم في شؤون المملكة وادارتها⁽⁴⁾.
2. ابن القفطي، وزير الدولة، وهو القاضي الاكرم جمال الدين ، والوزير من عهد الدولة العزيزية، واليه يرجع الامر في تمشية شؤون الديوان، بالاشتراك مع الاميرين شمس الدين لولؤ الارمني مقدم الجيش (ت 648هـ/1250م) وعز الدين عمر بن مجلبي ، ويحضر بينهم في المشورة جمال الدين (الدولة) اقبال الاسود الخصي المتوفي

(1) انظر ابو شامة، ذيل، ص 164.

(2) ابن العديم، زبدة الذهب، م، ص 225.

(3) ضيفة خاتون (تقرا خطأً صفيحة خاتون)، بنت السلطان الملك العادل سيف الدين (596-1199هـ/1218م) الزوجة الثانية للملك الظاهر غازي (ت 613هـ/1216م) ووالدة ابنه العزيز محمد (ت 634هـ/1236م)، وحده ملك الوقت الناصر يوسف الايوبي، كانت تتتحكم بشؤون المملكة الحلبية وتشرف عليها وتصدر التواقيع باسمها، خلال السنوات الست من تسلم الناصر يوسف غير البالغ شؤون الحكم حتى وفاتها في 640هـ/1242م، عن عمر يناهز التاسعة والخمسين، حين بدأ الناصر يوسف رسميًّا بمرحلة جديدة من حكم بلاده. عن سيرتها انظر ابن النديم، زبدة الذهب، م، ص 266 ؛ ابن اييك الدوادار، كنز الدرر، ص 351؛ ابو الفداء، تاريخ ابي الفداء، ج 2، ص 275.

(4) ابن اييك الدوادار، كنز الدرر، ص 351.

في 640هـ/1242م وما بعد هذا كان الناصر يوسف يمارس الحكم بنفسه، وينهي باشارة وزيره جمال الدين الرازي والامير جمال الدولة اقبال الخاتوني⁽¹⁾.

بين السنوات 640-646هـ/1242-1248م تاريخ وفاة جمال الدين ابن القبطي، رغم وقوع حوادث مهمة في الشام مثل انتشار الجندي الخوارزمية من اتباع السلطان الشريذ جلال الدين منكربتي بعد مقتله في 628هـ/1230م بالمدن الشامية، واستعادة القدس في 642هـ/1244م من قبل الخوارزمية باسم السلطان الصالح نجم الدين ايوب، وغزو المغول لسلاجقة الروم وانتشارهم في الجزيرة سنة 641هـ/1243م، الا اننا لا نقرأ شيئاً في المصادر يتناول نشاط الوزير الاداري ومراسلاتة والمهام التي كلف بها. ويبدو ان نشاط الوزارة انتقل الى شخص غريمه الزين الحافطي⁽²⁾ (ت 662هـ/1263م)، رجل الساعة في حوادث المغول والغزو المغولي لبلاد الشام.

لم يعش ابن القبطي ليرى التوسيع الكبير الذي حصل لادارة الناصر يوسف بعد ضم دمشق الى مملكته في 648هـ/1250م، والى ظهوره كسلطان للشام وليس حلب وحدها وتتوسيع حجم ادارته لتضم حلب ودمشق واعمالها، بما فيها المقدس.

كانت حلب قد انجبت نخبة من الصدور الكبار المؤهلين للارتقاء الى ولاية الوزارة، من بين هذه الشخصيات الادارية شخصية حلبية مهمة مثل ابن حلب ومؤرخها "الصاحب ابن العديم"⁽³⁾ بقول الصقاعي "اقام بدمشق مدة الایام الناصرية يوسف صاحب الشام بمنزلة عالية لكنه امتنع عن الوزارة ولم يوفق على قبولها"⁽⁴⁾.

(1) ابن العديم، زبدة الذهب، ص225؛ ابو الفداء، تاريخ او المختصر في اخبار البشر، ج2، ص260.

(2) الحافظ الطيب زين الدين سليمان بن عامر العقربي، خدم عند الناصر يوسف وزيراً لوالده الملك العزيز ومرافقاً له في رحلته الى اوردو هولاكو وهو يتم به اطمع هولاكو في البلاد وبشهاده هولاكو شخصياً، الذي كلفه ان يدير الشام بعد دخولهم حلب ودمشق في (صفر 658هـ/1260م) عن سيرته انظر المكين ابن العميد، تاريخ الايوبيين، ص163-170، 169 ؛ الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص78.

(3) الصاحب عمر بن احمد بن هبة الله ابن ابي جراده المعروف بابن العديم (588-660هـ/1192-261م) الحنفي الحلبي، صاحب بغية الطلب في تاريخ حلب ومختصرها زبدة الذهب في تاريخ حلب، له ترجم كثيرة، انظر مقدمة محقق الزبدة المرحوم سامي الدهان، م1، صص 13-28؛ ايضاً الصفدي، الواقي بالوفيات، (فيسبادن، 1971)، م8، ص224 (عن ترجمة والده).

(4) الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص96.

وزارة الوزير مؤيد الدين ابن القبطي (646-1248هـ/1258م)
كان مؤيد الدين ابن القبطي⁽¹⁾ شقيق الوزير الشهير القاضي الراكم جمال الدين ابن القبطي، ينعم بحظوظه ورعايته أخيه عندما كان يضطلع بمسؤولياته ومكانته الادارية اواخر ايام العزيز محمد وابنه الناصر يوسف.

معلوماتنا عن تدرجه الاداري غير متوفرة سوى عند الصقاعي بایجاز وطبقاً لذلك نعرف ان اخاه القاضي الراكم، اثناء اشغاله مقعد الوزارة، كلف اخاه مؤيد الدين اولاً بتولي مهمة نظر حران⁽²⁾ ايام وزارة القاضي الراكم بحلب⁽³⁾ لدفترين (أي ايام الدولة العزيزية امتداداً الى ايام الدولة الناصرية في كلا الوزارتين)، وبعد وفاة أخيه الوزير في (646هـ/1248م) حل محل المتوفى في الوزارة بأن عمل بين السنوات 646-1246هـ/1258-1246م وزيراً لحلب في دولة الناصر يوسف بعد نقله من حران وبماشرته شؤون الوزارة هناك في امر الاموال والولايات خاصة، وظل وزيراً في حلب حتى بعد انتقال الناصر يوسف الى دمشق. المقعد الجديد لدولته، سلطنة الشام، فيما ظهر له ند ومنافس قوي في شؤون الادارة بشخص الوزير الزين الحافظي.

خلال الغزو المغولي للشام، اقر هولاكو الوزير مؤيد الدين في الوزارة ايضاً للتعاون الذي ابداه مع الغازي الجديد للبلاد، لكن عمره لم يمهله كثيراً اذ توفي بعد مدة يسيرة من خدمته⁽⁴⁾. وماذا بشأن التطورات الادارية بعد التحاق دمشق بدولة الناصر يوسف والتحول الى سلطنة.

منذ سنة 648هـ/1250م توسيع ادارة الدولة الناصرية الحلبية كثيراً وجاء هذا الازدياد والتحول نتيجة انضمام الشام الى المملكة ادارياً وسياسياً.

(1) الصاحب مؤيد الدين بن يوسف السيفاني، اقام في الوزارة حتى بعد احتلال المغول لحلب في صفر 648هـ/1250م بعد ان اظهر استعداده للتعاون مع هولاكو، وعمر طويلاً حتى بلغ سن التسعين، والتراجم عنه نادرة، انظر عن سيرته الصقاعي، تالي وفيات الاعيان، ص 39-40.

(2) مثل ادارة الناصر يوسف في حران عند احتلالها سنة 638هـ/1240م هو العز بن شداد، الذي عين في 640هـ مسؤولاً عن امورها المالية وارتفاعها، وظل يعمل في حلب مع ادارة الناصر يوسف وضمن اداريه المقربين حتى سنة 657هـ/1258م، واخر مهمة تحملها قبل مغادرته الى مصر مهمة الخروج من دمشق على راس سفارته الى ابن هولاكو يشموت قائداً للمغول في ميافارقين دون نجاح يذكر، الاعلاق الخطيرية، ج 1، ص 138.

(3) الصقاعي، تالي، ص 39.

(4) ذاته.

مؤذنة بانتقال المركز الى دمشق باسم جديد تحت حكم السلطان الناصر يوسف الايوبي، ومبرر هذا التحول انتقل كثيراً من الاداريين الحلبين ذوي الاصول والبيوتات الحلبية العريقة الى مقعد السلطنة الجديد مثل بنو العديم وبنو العجمي، واصبحت الشام تمثيل السلطنة الايوبيّة - كمركيز - نتيجة التحولات السياسية التي كانت تحصل في مصر التي تؤذن بقيام عهد جديد لدولة تركية جديدة هي دولة المماليك البحريّة، التي نجحت في صد هجوم شامي كبير لاسترجاعها الى حضرة البابا الايوبي دون طائل، فيما زادت الشام صلاتها بالسيد الجديد للشرق، المغول الایلخانيين من خلال عدد من الاداريين الشاميين يترأّسهم وزير السلطان ابن العجمي. اما التشكيلة الادارية للديوان واسماء ممثلي المراتب فيحفظ مصنف بغية الطلب ومختصرها زبدة الذهب ومفرج الكروب لابن واصل باسماء من هؤلاء الصدور والرؤساء والكتاب منهم:

1. العز ابن شداد (ت 1285/684م)، مصنف الاعلاق الخطير في ذكر اسماء الشام وحلب والجزيرة، ظل يعمل في حلب مع ادارة السلطان الناصر يوسف، الحلقة الادارية المقربة اليه سنة 657هـ/1258م، واخر مهمة كلف بها قبل مغادرته الى مصر كان خروجه من دمشق بهمة رسول الى التتار النازلين على - من الجزيرة- مستهل المحرم 657هـ/1258م⁽¹⁾.
2. الصاحب الوزير كمال الدين عمر بن العديم⁽²⁾، من آل بيت اي جراده، ظل متحفظاً حيال اشغال وزارة السلطنة، لكنه مقرباً جداً الى شخص السلطان نفسه، مفضلاً المشاوره بتمثيل السلطنة فيبعثات الدبلوماسيه للبلاد مثل السفاره التي ترأسها الى دولة الخلافه في 650هـ/1256م و 654هـ/1256م.
3. الوزير زين الدين الحافظي (ت 662هـ/1263م)، وزير لوالد الناصر العزيز، ارتبط عمله في البداية بالناصر يوسف عند ولاته لحلب

(1) الاعلاق الخطير، ج 1، ص 138؛ وابن شداد هو الصدر عز الدين محمد بن علي بن شداد، كان في خجمة الملك الناصر يوسف صاحب الشام، صورة في الدول ويرجع الى اشارته ورأيه. انظر الصقاعي،

تالي وفيات الاعيان، ص 145.

(2) سبقت الاشارة الى ترجمتها.

ومال اليه بعدهما سهل له الحصول على قلعة جعبر وقت اقامته قبل انتقاله الى حلب ثم دمشق. ويقول ابن شاكر ان الذين الحافظي صارت له عند الملك الناصر يد ومنزلة رفيعة حتى صار مكيناً ذا حظوة. رافق العزيز الى العهد في سفارته الى اوردو هولاكو عندما طلب الایلخان من الناصر يوسف ولده ضماناً لولاء الناصر له⁽¹⁾.

4. الرئيس عون الدين العجمي⁽²⁾، عمل بادارة الناصر يوسف وحظى عنده وشغل عدة وظائف، ففي حلب ولى الاوقاف بها، ثم ولى نظر الجيوش في حلب، وبذا متأهلاً للوزارة دون ان يشغلها⁽³⁾.

ديوان الانشاء :

ومن متوليه نعرف :

1. نظام الدين ابن المولى الحلبي، عين رئيساً لديوان الانشاء في الدولة الناصرية اليوسفية، ويعود من الرؤساء الاكابر⁽⁴⁾.
2. عز الدين احمد بن المولى الحلبي (لا يزال حياً في 686هـ/1287م) كان ناظر الدواوين بحلب هو واخوه نظام الدين، رئيس ديوان الانشاء بدمشق في دولة الناصر يوسف⁽⁵⁾.
3. شهاب الدين محمد المنشي النسوبي (ت 648هـ/1250م) كاتب انشاء السلطان الراحل جلال الدين منكربتي (ت 628هـ/1230م) ومصنف سيرة هذا السلطان الخوارزمي، انتهى اخيراً بحلب، وتقدم عند الناصر صاحب حلب حتى وفاته⁽⁶⁾.

(1) طبيب واداري كبير في دولة الناصر يوسف وحظي بثروة كبيرة في زواجه بابنة رئيس حلب، يتهم بأنه هو الذي سهل للمغول غزو حلب والشام وخيانة سيده الناصر يوسف، وعمل مدة في الادارة الجديدة لكنه انتهى نهاية مفجعة بعد اتهام هولاكو هذه المرة للحافظ بالخيانة لسيده الجديد. انظر عن سيرته ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، 1، ص 170175.

(2) سليمان بن عبد المجيد بن حسن بن عبد الله بن الحسن ولد 606هـ/1209م وتوفي 656هـ/1258م، تولى عدة وظائف في خلق ودمشق خلال حكم الناصر يوسف، عن سيرته انظر ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، 1، ص 452.

(3) ذاته.

(4) الصقاعي، تالي، ص 40.

(5) ذاته.

(6) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، 2، ص 177.

4. كمال الدين⁽¹⁾ ابن العجمي الكاتب (ت666هـ/1267م) كتب الانشاء في ا أيام الناصر صاحب الشام.

ديوان الجيوش :
من كتابه :

1. علاء الدين علي بن محمد بن نصر الله الناصري الحلبي (ت674هـ/1275م)، التحق بخدمة الناصر يوسف في 648هـ/1250م حين اضاف دمشق الى ممتلكاته وكان من جلسائه ومن كتاب جيوشه⁽²⁾.

2. ابن العميد الكاتب⁽³⁾ (ت672هـ/1273م) خدم مثل والده بديوان الجيش وتقدم في الدولة الناصرية، صاحب الشام.

3. الامير نجم الدين، امير حاجب الناصر يوسف⁽⁴⁾، وهناك فئة من الحجاب الكبار من الامراء.

4. عون الدين سليمان بن العجمي الحلبي الكاتب (ت656هـ/1258م) اشار الصقاعي الى انه ترك حلب من اجل الالتحاق بخدمة الملك الناصر يوسف بدمشق، الذي رتبه ناظراً بالجيش⁽⁵⁾.

مشد الدواوين :
كانت مسؤوليته بيده :

1. الصاحب عز الدين عبد العزيز بن محمد، بن وداعة (ت666هـ/1267م) وهو من عناصر ادارة الناصر يوسف بحلب، ثم حضر صحبة الملك الى دمشق في 648هـ/12560م، ورتب مشد الدواوين⁽⁶⁾.

(1) محمد بن عبد الرحيم ابن العجمي (بصفه الصفدي بأنه كان رئيساً جيد الانشاء بارع الكتابة، ثم التحق ا أيام المماليك بخدمة السلطان الملك الظاهر بيبرس، الواقي بالوفيات، م، 7، ص.69).

(2) الصقاعي، تالي، ص104.

(3) الشيخ المكين عبد الله بن اي الياس، وهو مصنف اخبار الايوبيين، الذي نشره كلود كاهن.

(4) الصقاعي، تالي، ص12.

(5) ذاته، ص.84.

(6) ذاته، ص100.

2. شرف الدين ابو الريبع سليمان بن سليمان (ت 686هـ / 1287م) اتصل بخدمة الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى وقت انقضاء دولة الناصر عندما رتب مشد في بعض جهات الاوقاف.
3. الامير سيف الدين علي بن سابق الدين قزل المعروف بالمشد، كان اميراً مقدماً في دولة الناصر يوسف صاحب الشام⁽¹⁾.
- ومن كتاب الدولة الناصرية كل من :
1. عماد الدين الخلاطي (ت 657هـ / 1258م) وينتسب الى خدمة الناصر يوسف بتل العجول⁽²⁾.
 2. الشيخ رشيد الدين عمر بن اسماعيل الفارقي (ت 689هـ / 1290م) من كتاب الدرج بالشرق في خدمة صاحب ميافارقين ثم التحق بخدمة الملك الناصر صاحب الشام⁽³⁾.
 3. شهاب الدين محمد بن يوسف التل يعفري (ت 675هـ / 1276م) كان في خدمة الملك الناصر يوسف.
 4. ابن عز القضاة (ت 689هـ / 1290م) كان اول امره كاتب، خدم في جهات كبار، وله دخول على الملك الناصر صاحب حلب⁽⁴⁾.
- هذا عن اهم الوزراء الحليبيين ايام الملوك الثلاث الظاهر غازي والعزيز محمد والناصر يوسف، واهم تشكيلات ديوان الوزارة في المملكة الحلبية ايام هؤلاء الملوك ؟

ويلاحظ ان الوزارة الايوبية ورثت تشكيلات الديوان السائدة ايام السلاغقة والتي انتقلت اليها من ايران وال العراق. ويعزز هذا القول ان كثيراً من التسميات الادارية لاقسام الديوان نجدها في الادبيات الايوبية كديوان الانشاء، وهو على رأس الدواوين، والتي يشغلها كاتب محترف ينتمي الى طبقة الكتاب او الصدور باسم المنشي، ووظيفة العارض (او متولي الجيوش) المسئول عن اعداد

(1) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي، م، 2، ص 194.

(2) الصقاعي، تالي، ص 128.

(3) ذاته، ص 115.

(4) ابن شاكر الكتبى، فوات الوفيات، م، 1، ص 210.

العساكر الحلبية واحتياجاتها من الاموال والاقطاعات، وهو غير وظيفة ديوان الاستيفاء، الذي يتولاه احد الصدور الثقة باسم المستوفي، وهو المسؤول عن استيفاء الاموال لغرض تحويلها للخزانة، ثم الاشراف ويتولاه مشرف المملكة المسؤول عن الادارة المدنية، وحتى هناك اشارة الى عمل الطغراء، المسؤول عن ختم السلطان. وبطبيعة الحال لدينا دواوين كلاسيكية مثل ديوان البريد والاوقياف والجيوش، وقاضي المملكة، وينسق الاتابك مع عدد من هذه الدواوين الرئيسية بما فيها ديوان الوزارة وكتاب الدست ونقابتي الاشراف الطالبين والهاشميين. وكان استیزار الوزیر (الصاحب) بحلب، على نحو ما يعمل به في دولة الخلافة. يتم عادة باحتفال رسمي حيث يعقد له اللواء والنوبه بعد اختياره للولاية، ويخصص عادة قبل رکوبه لحضور الدرکاہ بخلع الوزارة.

ان هذا البحث يبقى غير متكامل الجوانب بدون التعرض الى سياسة الوزیر الحلبي وتوجهاته الادارية.

في سياسة الوزیر الایوی - الحلبي

ان مسؤوليات الوزیر كثيرة تدور كلاسيكياً حول شقين مالي واداري، فضلاً عن صنعة الكتابة التي يجب ان يكون ضليعاً فيها. الشق المالي وهو اعقد من الاداري، واساس نجاح وفشل الوزیر فكل تعین او اقالة مردھا الجانب المالي الذي يقرر في حالة الخيانة، مصير الوزیر ومصادرة امواله، فيما يتدخل في الجانب الاداري السلطان شخصياً او مستشاريه من الاتابكة وكبار الامراء.

يدخل في الجانب المالي توفير الاموال اللازمة لادارة الجيش والادارة من اقطاعات واموال وارزاق تكون واردات الخزانة، في هذا المحتوى تقع على الوزیر عادة مسؤولية ضبط الضمانات وحفظ الحجج الازمة لها، ومراجعة خيانات المستخدمين من الحوافل عن طريق الدواوين المختصة مثل ديوان الامراء للمخابز في حواصل القمح وديوان المعاملة، ومن ثم تقرير العقوبات على هؤلاء المستخدمين بالتعاون مع المستوفين لضبط السرقات في بعض الاعمال التي ينهى عنها السلطان، والسياق مثل هذه الحالات هو ان يعمل لها كتاب الدست تحت ادارة الوزیر اوراق تمثل الوثائق والمستندات عادةً تحفظ بالديوان ويقوم الوزیر بالكشف عنها عند رسم السلطان لذلك.

ومن مسؤوليات هذا الشق للوزير تقرير سياسة التبرع⁽¹⁾ (من التجار واصحاب المهن) كوسيلة من وسائل الوزير لتغطية احتياجات السلطان او تابعه الملك الايوبي "من الكلف والنفقات" بسبب تحديات الملوك الايوبيين والسلطانين متولى مقعد السلطنة او المملكة والاعمال التابعة لهم.

اما مسؤولياته الادارية فهي كثيرة ايضاً اهمها عزل وتعيين الصدور وكتاب الدست ومراقبة موظفيها مخافة وقوع الظلم وعدم العدل بين العامة ورعايا البلد، وكذلك مسؤولياته عزل الخطباء من الجوامع بعلم السلطان، ومتولو التدريس والنظرار ومشايخ الشيوخ من خلال مسؤول نياية الوزارة او خواصه ومعاونيه.

وهذه المسؤوليات في حقيقة الامر الواقع معقدة جداً وفي حالة الاحراق في تقريرها تتعكس مباشرة على استمرار اداء الوزير عمله كرئيس للديوان او صرفه وعزله من مقعد الوزارة وما يترتب على ذلك من اجراءات بحق مصادرة امواله وتصفيات اتباعه حتى وقت عفو السلطان عنه مجدداً او القضاء عليه بقيمة حياته في المطامير والقلاع المظلمة. ونحن لا نمتلك جرائد "حول سياسة الوزراء الايوبيين- الحلبين في الكلف والنفقات لانها لم تصل اليانا لا من خلال الحوليات الايوبيية السنوية ولا من خلال سجلات الوزراء الايوبيين التي لم تصل اليانا وثائق خاصة بها ايضاً. ولكن يوجد نص فريد في ياقوت حول سياسة الوزير الكبير جمال الدين ابن القفطي اوقفه عليه ابن القفطي نفسه عندما كان وزيراً للملك العزيز محمد حول مقادير الكلف والنفقات ايام عمل الوزير ابن القفطي للسنة (1245هـ/625م).

يقول ياقوت : "وقفني الوزير الصاحب القاضي الاكرم جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القفطي... وهو يومئذ وزير صاحبها (الملك العزيز محمد) ومدير دواوينها على الجريدة بذلك (حول قرى حلب الخاصة والمشتركة بعدد ثمانمائة ونify وعشرون ملك وبمئتين ونيف قرية مشتركة)، واسماء القرى واسماء ملاكها، وهي بعد ذلك تقوم برزق خمسة الاف فارس مراخي الغلة، موسع عليهم " وهو ما يدل على ان المملكة الحلبية كانت تحتفظ بجيش قوامه خمسة الاف فارس تتولى الدولة مهمة صرف ارزاقهم.

(1) سياسة التبرع هذه من استحداثات وزير العادل صفي الدين بن شكر (ت 632هـ/)

ويزيد القفطي ان الدولة يمكن لها في ضوء مفردات الجريدة ان تتحمل نفقات سبعة الاف فارس "لو لم يقع اسراف في خواص الامراء وجماعة من اعيان المفاريد..لان فيها من الطواشية المفاريد ما يزيد على الف فارس، يحصل للواحد منهم في العام من عشرة الاف درهم الى خمسة عشر الف درهم، ويمكن ان يستخدم من فضلات خواص الامراء الف فارس"⁽¹⁾. ويضيف التقرير ان حلب واعمالها تضم احدى وعشرون قلعة يقام بذخائرها وارزاق مستحقيها خارجاً عن جميع ما ذكر في النص. ثم يرتفع بعد ذلك كله من فضلات الاقطاعات الخاصة بالسلطان من سائر الجبايات الى قلعتها عنباً وحبوباً ما يقرب في كل يوم عشرة الاف درهم⁽²⁾. واخيراً يقول ياقوت ان ارتفاعات حلب من الاموال كثيرة، فمثلاً ما ارتفع في سنة 625هـ/1227م من جهة دار الزكاة التي يجب فيها العشور من الافرنج والزكاة من المسلمين وحق البيع وحدها سبعمائة الف درهم⁽³⁾.

في ضوء هذه المسؤلية - كان هناك من الصدور من يرفض بقبول الترشيح لهذه الولاية (يعكس آخرين يتطلعون إليها)، الاساس منها مالية-دينية وبعضها ادارية مثل الصاحب ابن العديم، الذي كان احد المع الصدور الحليبيين من آل بيت اي جراده واحد المقربين شبه الرسميين للسلطان يوسف الايوبي، لكنه رفض بقبول المقعد، رغم الشهرة التي عرف بها الصاحب وموارده المالية التي يمتلكها للتأهل لها، وترفع القاضي الرازي جمال الدين ابن القفطي الذي فرضت عليه الوزارة فرضاً، رغم شدة امتناعه عن قبولها ورد الشيخ كمال الدين بن طلحة، الذي ظل يتقدّم مدة منصب الوزارة الا ان الله تعالى "ايقظه بقول ابو شامة : "وزهذه رئاسات الدنيا"⁽⁴⁾.

والوزراء انوع، وزير السلطان، وهو متولي ديوان الوزارة المركزي الذي يحظى بسلطات واسعة، لكن لم يكن له نفوذ على وزراء الملوك الايوبيين الحاكمين في دمشق او حلب والكرك والجزيرة وغيرها من الاماكن الشامية، وهو

(1) معجم البلدان (بيروت : دار الكتاب، بلاط)، م2، ص285 امارة حلب.

(2) ذاته.

(3) ذاته، ص285 : "هذا مع العدل الكامل والرفق الشامل، وهذا من بركة العدل وحسن النية".

(4) ذيل الروضتين، ص194.

هنا يسمى وزير المملكة، وهو ليس بالوزير الذي يضطلع بمهمة ادارة السيدة خاتون، او الذي يعمل مع ولي العهد. كما يوجد احياناً وزير بتسمية وزير الصحبة، ولكن ليس دائماً على نحو ما كان عليه بهاء الدين زهير (ت606هـ/1209م)، وزير الصحبة ورئيس كتاب الدرج لدى السلطان الكامل محمد (615هـ/1218-635هـ/1237)، وهناك ايضاً مستوفي الصحبة.

ما هي مصادر ثروة الوزير وموارده المالية ؟

يقوم عمل الوزير على مدى تمكنه من صنعة الكتابة والمهارة الالازمة في الترسل والانشاء وتدبير الاموال وعلى مصادر الثروة الشخصية التي تجمعت للوزير من خلال ترکات البيت الذي يتسبّب اليه والاموال التي جمعها خلال مله الاداري.

وفيمما عدا مرتبه خلال عمله في الوزارة، فان مفردات ثروته تأتي عادة من سياسة المصادرية التي يتبعها تجاه مناوئيه من اهل الديوان ومن خلال سياسة التبرع التي يلجأ إليها في المناسبات الخاصة، ومن الهبات التي تجتمع لديه من التجار والصدور واهل الحرف الاخرى، واحياناً من اموال المواريث والترکات التي لا مالك لها بعد رحيل اصحابها والتي تخرج بالسرقات لحساب اصحابها الجدد.

وتشكل مصادرات اهل الديوان، في حقيقة الأمر الواقع، اهم جزء اساسي في سياسة الوزير المالية، التي لم تكن تعارض من قبل السلطان طالما كانت توفر له الاموال الالازمة للخروج بالحملات على المتمردين من اولاد البيت الايوبي من الذكور مثل ما فعله الوزير ابن شكر، وزير السلطان العادل سيف الدين، معبني حمدان وبني الحباب وبني الجليس وأكابر النصارى المستوفين، بما في ذلك ان السلطان كان لا يعارض وزيره ابن شكر في شيء حتى قيل "ان ذلك كله برضاه وارادته"⁽¹⁾ ومثل ذلك يحدث عند اعداد المناشير الخاصة بالكلف والارتفاعات.

وخلال القول ان الادارة الايوبيّة في حلب اعتمدت من حيث المبدأ توظيف الصدور من بيوتات حلب الشهيرة، تلك المدينة المملوءة باليويوت الموسرة بالغنى والتي كانت رجالاتها تهوى العمل الاداري وتجسيد احتراف مهنة الكتابة والتسل،

(1) ابن العميد ن اخبار الايوبيين، ص131 [23].

بيوتات على نحو رؤساء وصدور بنى العديم وبنو الخشاب وبنو العجمي والقيسراني والاشراف من بنى زهرة، وهم يتمتعون برؤية ادارية سليمة ويجيدون تحرير الخطابات السلطانية.

لكن مثل هذا العمل الاداري في مؤسسات الديوان او المؤسسات الدينية التعليمية في المملكة الحلبية لم يكن مقتصرًا على استخدام العناصر القادمة من الاعيان الحلبين وحدهم، بل كانت عناصر الجذب الثقافي والسياسي من مؤسسات تعليمية وادارية متطورة، ومن وجود ادارة سياسية متمكنة (على الاقل خلال فترة تكوينها) تلقى الواحدة بعد الاخرى بشخصيات ذات سمعة ادارية عالية في شؤون المال والاصلاح والقضاء الى قلب الادارة الحلبية (بصفتها الدائمة او المؤقتة) على نحو العوائل التي القت بها الاختناقات السياسية في مصر، مركز القاعدة الايوبيه الى حلب، مثل بنو القبطي، الصعيدة الاصل، والاسعد بن مماتي، القبطي الاصل، او من اتابكة الموصل ذات الارتباط الوثيق بحلب مثل آل الدؤلي وشداد وبنى اثير الدين (ضياء الدين ابن اثير)، وحتى من اマارة اربيل نفسها.

وكانت حلب مؤهلاً سياسياً وادارياً لهذا الشأن "فاستقرار المملكة باليت الصالحي من فرع الظاهر غازي لاكثر من سبع عقود بين القرنين السادس والسابع الهجريين، وعدم تمكن القوى الدينية المتطرفة من التحكم في تعيين وعزل الصدور ورؤساء الديوان، على نحو ما كان يفعله الحنابلة الدمشقيون مع غرمائهم من الاشاعرة خلال تحكم الايوبيين في سلطنة الشام قبل اندماجها مع حكومة البيت الصالحي (بشخص الناصر يوسف) جعل كل ذلك من حلب ملادةً امناً لكثير من الاداريين الكبار في الدولة الايوبيه، بما في ذلك العناصر التي كانت تلجم الى حلب من ولايات المشرق الاسلامي من خلال الطريق الذي يربط حلب باموالن والجزر، مثل الرؤساء نظام الدين الاصفهاني والمتنبي النسوبي والعماد الاصفهاني من قبل.

كانت العوامل التي تتحكم في تعيين واقالة الوزراء الحلبين (وما يترب على ذلك من تغيير لادارتهم)، تتراوح بين وضع الملك الايوبي الحلبى الذى كان يقع على رأس الحكم وقوه شخصيته من عدمها، ونوع اهتماماته العسكرية والسياسية والادارية وغيرها، وفي مدى تدخله بشؤون الادارة التي تدير المكنة

الادارية لملكته، ثم دور اتابكة العسكر ومقدمي الامراء من هذه المسألة، والميل الذي يظهره تجاه مرشحين من الصدور الحلبين او غير الحلبين لرئاسة الديوان، وايضاً دور السلطان الايوبي في رسم سياسة المملكة من خلال موقف القوى المتحالف مع السلطان من رئيس البيت الحلبى، ونوع مصالحها، والاصرار على اعادة توزيع الاقطاعات التي تقرر الرسم فيها على ذكور البيت الايوبي في حال اصرار السلطان على ادخال التغييرات الادارية.

طبعاً حق الترشيح والعزل والاقالة للوزراء كان يعود للملك الايوبي وحده، وكذلك حالات المصادرة والعفو للوزير والاستقرار كان واضحاً هذا جميعه هنا في عدم لجوء هؤلاء الملوك الايوبيين لتصفية وزرائهم ورؤسائهم من الديوان والطمع في اموالهم وممتلكاتهم، فلم نسمع في التاريخ الايوبي الحلبى عن وجود حالات تشهير واللجوء الى العنف من اجل استخلاص الاموال منهم.

فاملك الظاهر غازي هو الذي اقر ولادة العهد لولده العزيز محمد وتعيين اتابكه الطواشي طغرييل مسؤولاً عن مصالحه، دون ادنى مشورة من وزيره ابن ابي يعلى. وقبيل انتقال الحكم رسميأ الى الوريث الجديد قاد هذا الوزير (الموصلي الاصل) انقلاباً فاشلاً بنقل السلطة لمرشح آخر من صنعه، الا ان محاولته اجهضت من قبل متولي الحكم الجديد اتابك طغرييل ووزير المشورة القاضي المخضم ابن شداد. واملك العزيز محمد اقال وزيره ابن الققطي، بما في ذلك احاله القاضي المخضم ابن شداد على التقاعد بموجب تحكم قوة من امراء العسكر العزيزية في شؤون الملك الشخصية، والتي كانت تدعوا الى التغيير في مقعد الوزارة الحلبية وقضائها، وكادت ان تكرر الحالة نفسها عند انتقال الحكم من العزيز محمد الى الناصر يوسف لولا تحكم المجلس الاستشاري من تدبير امور المملكة، الذي يجمع بين الصاحبة ضيفة خاتون واتابك العسكر شمس الدين لؤلؤ ومدمن العسكر والوزير ابن الققطي.

اما شخصية الناصر يوسف فكانت تختلف تماماً عن شخصية جده الظاهر غازي، وحتى عن ابيه العزيز محمد وهوالياته وميله الشخصية، الذي وقع اسير مجالسه الادبية والولائم الشخصية التي كان يهوى عقدها دهليزاً بعد آخر. ومع ان حظه كان وافراً عند انضمام دمشق الى مملكته باسم جديد هو سلطان الشام، الا ان المغامرات التي سمح بها من خلال امراء اتابكة عسكره

(من القيمية والعزيزية والخوارزمية) وزيره اودت به في النهاية الى التهلكة على يد المغول.

فالحملة التي سمح بها لاتابة عسكره شمس الدين لؤلؤ وامراء القيمية لاسترجاع مصر من البحري، القادة الجدد بمصر بعد وصول الحكم الايوبي الى نهايته كانت فاشلة، اسفرت عن تمزيق قوى عسكره ولم تفلح في استرجاع مصر من البحري، ولم تنجح ايضاً محاولته الدبلوماسية برئاسة ابن العديم من الحصول على اعتراف الخليفة العباسي له، بدلاً عن السلطان البحري الجديد الملك المعز ايبك، وايضاً مفاوضات وزيره الزين الحافظي اودت به اسيراً في تريريز بعد اتهام المغول له بعدم التزامه بالوعود التي قطعها على نفسه من خلال وزيره الحافظي بقبول سيادة المغول عليه كنائب لهولاكو في الشام مقابل تسهيل غزوه لمصر. طبعاً البيت الايوبي الحلبي نجح كثيراً في كبح جماح رغبات السلطان الايوبي في اخذ حلب كلية منهم او اقطاع بض اعمالها وتسميتها ممتلكات لذكور من البيت الايوبي الحاكم. وجاء هذا النجاح من خلال عقد تحالفات سياسية مع السلطان الايوبي عن طريق المصاهرة التي كانت تسمح حينئذ بوقوع بعض التغييرات في توزيع الاقطاعات برضى الملك الحلبي، فالظاهر غازي تزوج باثنين من بنات العادل هما غازية خاتون وضيفة خاتون والدة الملك العزيز محمد، والتي حملت اسم الصاحبة اصلاً عندما ترأست المجلس الاستشاري الذي تحكم في شؤون المملكة الحلبية بعد وفاة العزيز محمد في 1234هـ/1236م بمشاركة الوزير ابن القبطي وانتقاله الى الوريث الصغير السن الناصر يوسف، ويلاحظ هذا التحالف ايضاً في حالة العزيز محمد وزواجه من ابنة عمه الكامل محمد، فاطمة خاتون.

كان الوزير الايوبي في حلب يتمتع بشخصية ادارية متمكنة قائمة على الاحتراف بالمهنة ومعرفة قوانين الوزارة. ومنذ سنة 617هـ/1220م، وقت تسلمه ابن القبطي الاول الولاية، حظيت الوزارة بالاستقرار وقت توقيت الحكم، فلم تشهد الفترة حالات للعنف تجاه الوزراء بما يفضي الى فقدان حياتهم وتصفية حواصلهم وممتلكاتهم، واستمرت وزارة القاضي الاكرم ابن القبطي، وآخيه المؤيد ابن القبطي بإستثناء سنوات قليلة الى شهور سنة 656هـ/1258م في هذا السياق، لم تحظ الوزارة الايوبيه المركزية للسلطان الايوبي بفشل هذه المنزلة ولم تظهر بين افراد المؤسسة مثل هذه الشخصيات الادارية الحلية اللامعة باستثناء

وزير السلطان العادل ولحد ما الكامل محمد بشخص الوزير صفي الدين ابن شكر، الذي كان على خلاف القفطي جباراً متسلاً يهوي المصادرة والعنف تجاه خصومه من صدور السلطنة الايوبية، فيما لم يتميز شغلت الوزراء المتأخرین التي شغلت معظم سنوات السلطان الكامل محمد، بما يميزهم في شيء سوى الخدمة والولاء لسيدهم السلطان، مثل وزراء السلطان الصالح نجم الدين ایوب، كل من الوزير جمال الدين علي بن جيد الرقي (ت636هـ/1228م) الذي كان سيء الحظ، اذ استؤزر اياماً ثم مات، وكل من وزيره ابن شيخ الشیوخ معین الدین (ت643هـ/1245م) وخلفه الصاحب ابن مطروح (ت649هـ/1251م) الذي عزل بمتولي جديد هو يغمور وخلفه الصاحب بهاء الدين زهير (ت649هـ/1251م) كاتب انشاء السلطان الصالح ایوب.

ان وزراء الملك الظاهر الخمسة لم يكن احد منهم متحكماً بشؤون سيده الظاهر، ولم يتمكنوا من ردعه في ادراك رغباته، ومن شروط بقائهم توفير نفقات الحصة من العساكر للسلطنة البالغة خمسمائة فارس.

بعد رحيل الظاهر حاول الوزير ابن ابي يعلى عدم تفويت الفرصة بوضع مرشح من صنعه بمقعد الرئاسة لكنه فشل بتماسك رجال الادارة الظاهرية يقودها كبيرهم طغرييل الطواشي، واخيراً لاقى حتفه بعد انسحابه صوب دمشق.

وعلى خلاف سلطة سلفه يقف القاضي الاكرم ابن القفطي كاحد افضل الوزراء الايوبيين اللذين شهدتهم الوزارة الايوبيه (الدفترين) على مستوى السلطنة والمملكة الحلبية سوية، فهو بلا شك احد الصدور المبرزين التي انجبوthem دواوين الدولة الايوبيه، فكان بحق يمثل الوزارة بكل معاني قوانين الوزارة وادارة الحكم حتى انه يصلح في حقيقة الامر الواقع اكثر من غيره (باستثناء وزيري صلاح الدين القاضي الفاضل والعماد الاصفهاني) لاشغال وزارة السلطنة، مع ترفع هذا القاضي الاعزب عن امور الدنيا واشغال الولايات. ويلاحظ ان سياسته كانت تقضي بعدم التدخل في الشؤون السياسية لبناء البيت الايوبي او تبني الخلافات المحتملة فيما بينهم بالانحياز الى احدهم دون الاخر، فكان يفضل الاكتفاء ويتمشي بالمستلزمات التي تتطلبها امور وزارته لكن اخاه المؤيد ابن القفطي لم يكن يسير حذو اخيه في هذا الاتجاه كما ان قدراته الادارية والمالية كانت اقل شأناً من اخيه المسؤول عن ارتقائه سلم الوظيفة.

المصادر والمراجع :

1. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، 12 مجلد، بيروت : دار صادر، 1965.
2. ابن ابيك الدوادار، ابو بكر بن عبد الله، كنز الدرر وجامع الغرر، تر. عبد الفتاح عاشور، ج، 7، القاهرة، 1972.
3. ابن تغري، بردی، جمال الدين ابی المحاسن الاتابک، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، 16 جزء، القاهرة: كوكستاتوماس، 1383هـ/1963م.
4. الحموي، ابو الفضل محمد بن علي، التاريخ المنصوري.
5. الجنبي، احمد بن ابراهيم، شفاء القلوب في مناقببني ايوب، تحـ ناظم رشيد، بغداد : دار الحرية، 1978.
6. ابن خلگان، شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الاعيان واباء الزمان، تحـ احسان عباس، 12 مجلد، بيروت : دار صادر، 1969.
7. سبط ابن الجوزي، شمس الدين يوسف بن قزاوغلي، مرآة الزمان في تاريخ الاعيان، مـ8، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، 1370هـ/1951م.
8. ابن شاكر الكتبـي، محمد بن احمد، فوات الوفيات، طـ1، مجلدان، بيروت: دار الكتب العلمية، سنة 2000م.
9. ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن المقدسي، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، طـ2، بيروت : دار الجيل، 1974.
10. ابن شاهنشاه الايوبي، محمد بن تقى الدين عمر، مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحـ حسن حبشي، القاهرة : دار النهار للطباعة، 1968.
11. ابن شداد، عز الدين محمد بن علي، الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة، قسم حلب، تحـ دومنيك سورديل، دمشق: المعهد الفرنسي، 1953.
12. الصدقـي، صلاح الدين، الواقـي بالوفيات، فيسبادن: فرانظ ستـايـر، 1969-1971ـم، 7ـم، 8ـم.
13. الصقاعـي، فضل الله بن ابـي الفخر، تالـي وفيات الاعـيان، تقديم : جاكـلين سـوبـلـة، دمشق : المعهد الفـرنـسي، 1974.
14. ابن العـبرـي، غـريغوريوس المـلـطـي، تاريخ مختصر الدولـ، عـتنـاء خـليل مـنصـورـ، طـ1، بيـرـوت : دـارـ الكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، 1997ـم.
15. ابن العـديـمـ، كـمالـ الدـيـنـ عـمـرـ، زـيـدةـ الـحـلـبـ فيـ تـارـيـخـ حـلـبـ، تحـ سـاميـ الـدهـانـ، 3ـمـجـلـدـاتـ، دـمـشـقـ وـبـيـرـوتـ: المـطبـعـةـ الكـاثـولـيـكـيـةـ، 1954ـ1968ـمـ.
16. بـغـيـةـ الـطـلـبـ فيـ أـخـبـارـ حـلـبـ، تحـ سـهـيلـ زـكارـ، 12ـمـجـلـدـ، بـيـرـوتـ : دـارـ الفـكـرـ، بـلاـتـ.
17. ابن العمـادـ، أـبـوـ الفـلاحـ عـبدـ الـحـيـ الحـنبـلـيـ، شـذـراتـ الـذـهـبـ فيـ أـخـبـارـ مـنـ ذـهـبـ، 8ـمـجـلـدـاتـ، بـيـرـوتـ : دـارـ الـمـسـيـرـةـ، 1399هـ/1979مـ.
18. ابن العـمـيدـ، جـرجـيسـ، أـخـبـارـ الـأـيـوبـيـيـنـ، نـشـرـ كـلـودـ كـاهـنـ.
19. أبو الفداء، عمـادـ الدـيـنـ اسمـاعـيلـ بنـ مـحـمـدـ، المـخـتـصـرـ فيـ أـخـبـارـ الـبـشـرـ، بـيـرـوتـ : دـارـ الكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، 1997ـمـ.
20. القـنـطـيـ، جـمالـ الدـيـنـ بنـ عـلـيـ بنـ يـوسـفـ، اـنـبـاهـ الرـوـاهـ عـلـىـ اـنـبـاهـ النـحـاةـ، تحـ مـحـمـدـ أـبـوـ الفـضـلـ إـبـرـاهـيمـ، 3ـمـجـلـدـاتـ، الـقـاهـرـةـ : دـارـ الكـتبـ الـمـصـرـيـةـ، 1955ـ1950ـمـ.
21. المـقـرـيـزـيـ، تقـيـ الدـيـنـ اـحـمـدـ بنـ عـلـيـ، السـلـوـكـ لـعـرـفـ دـوـلـ الـمـلـوـكـ، مـحـمـدـ عـبـدـ الـقـادـرـ عـطـاـ، 8ـمـجـلـدـاتـ، بـيـرـوتـ : دـارـ الـكـتبـ الـعـلـمـيـةـ، 1997ـمـ.
22. ابن مـمـاـيـ، الـاسـعـدـ شـرفـ الدـيـنـ أـبـوـ الـمـكـارـمـ بنـ اـبـيـ سـعـيدـ، قـوـانـينـ الدـوـاـوـيـنـ، تـحـقـيقـ عـزيـزـ سـورـيـالـ عـطـيـةـ، طـ1ـ، الـقـاهـرـةـ : مـطـبـعـةـ الـجـمـعـيـةـ الـرـزـاعـيـةـ الـمـلـكـيـةـ، 1943ـمـ.

23. ابن واصل، جمال الدين محمد، مفرج الكروب في اخباربني ايوب، تحر. جمال الدين الشيال وحسنين محمد ربيع؛ 4 مجلدات، القاهرة: المطبعة الاميرية والقلم ودار الكتب، 1953-1972.
24. ابن الوردي، زين الدين عمر، تاريخ ابن الوردي، مجلدات، بيروت: دار الكتب العلمية، 1996.
25. ياقوت، شهاب الدين الحموي الرومي، معجم البلدان، 5 مجلدات، بيروت : دار صادر، 1975.
26. — ارشاد الاريب الى معرفة الاديب المعروف بمعجم الادباء، 20 جزء، بيروت : مطابع دار المأمون، 1936.
27. ياسين، محمود، الايوبيون في شمال الشام والجزيرة، بغداد : دار الرشيد، 1981.
28. Dietrich , A Ibn Al-Kifti, EI.2, III, 1840.
29. Sourdel, D. , "Ghulam", EI.2, 1079-1087.
30. Cahen, Cl., "Atabak", EI.2, I, 731-732.

وحقيقة الخلاف المنهجي بينهما

مقدمة :

عبد الرحمن بن الجوزي وابو سعد السمعاني شهيرتان بين مؤرخي العرب- المسلمين، الأول مؤرخ بغداد من دون منازع خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، ومن شخصيات الحنابلة الكبار خلال خلافة المستضيء (569-575هـ) وابنه الناصر لدين الله (575-622هـ)، والثاني معاصر متقدم لابن الجوزي ومؤرخ مرو الكبير وابن مدینتها البار، كونه من اولاد البيوتات العريقة جداً وارفعها، فضلاً عن انه شيخ خراسان وكبير الشافعية فيها، ومن اتباع ابي الحسن الاشعري.

من هنا جاء اهتمام المؤرخين والباحثين بكل واحد من هذين المؤرخين الشهيرين، بحيث اخذ هذا الاهتمام في البلاد العربية جملة من المقالات التاريخية الممتعة والدراسات والتحقيقات، بما في ذلك عدد من الاطاريج الجامعية المنجزة⁽¹⁾.

ومع كل ذلك الاهتمام، هناك موضوع اساس لم يلق الاهتمام اللازم من لدن الباحثين، باستثناء كتابات المؤرخ البارع جورج المقدسي⁽²⁾، يخص ما روجه

(1) مثلاً الاطروحة غير المنشورة التي تقدم بها حسن عيسى الحكيم بعنوان كتاب المنتظم لابن الجوزي (بغداد : مكتبة كلية الاداب للدراسات العليا/ 1402/1982)، وكذلك الاطروحة غير المنشورة التي تقدمت بها زكية حسن ابراهيم الدليمي، المؤرخ ابو سعد السمعاني في كتابه الانساب (الකوفة : مکتبة الدراسات العليا 1416/1995) واياضاً ناجية عبد الله ابراهيم في رسالتها المصباح المضيء في خلافة المستضيء (بغداد : مكتبة كلية الاداب للدراسات العليا، 1972)، م،1،ص 29-30 (التي لم تستوعب في الظاهر المشكلة).

(2) انظر :

"Autograph Diary of An Eleventh Century Historian of Baghdad", BSOAS, XVII (1956), 15-16.

ابن الجوزي عن السمعاني من تهم تتعلق بشخصيته كمؤرخ كتب عن بغداد وعمله كمحدث خلاصتها ان السمعاني كمصنف في التراجم عن بغداد لم تكن لديه الجدارة الالزمة في تأليف كتابه المعروف بذيل تاريخ بغداد، وانه لم ينجز ذلك ولم يتوصل الى انجاز مخطوطته الا بالاعتماد على الادبيات والمساهمات التي قدمها الحنابلة البغداديون من شيوخ ابن الجوزي والحنابلة، نعني بذلك المصنفات الخطية غير المنجزة لابن خiron (ت 488/1095) وشجاع الذهلي (ت 507/1113)، والذي يقال انه تنكر لحقوقهما وكذلك من الروايات الشفوية لابن ناصر (ت 550/1155)، وقبله عبد الوهاب الاغاطي (538/1143) وغيرهم، التي بهوجها جميعاً يتحامل ابن الجوزي على السمعاني ويعده محدثاً غير ثقة لا يعول على اقواله ورواياته، وهذا الموقف من لدن ابن الجوزي والذي ربما ينفرد به بين مؤرخي الحنابلة عن السمعاني ومؤرخيته شيء مدهش حقاً، لما يتمتع به السمعاني من منزلة كبيرة بين المؤرخين على اختلاف خلفياتهم، فضلاً عن كونه شافعي-مرزوقي الاصل، ومحدث كبير، لكنه اشعري مثل صديقه ابن عساكر (ت 571هـ/1175م)، صاحب التبيين في تراجم الاشاعرة، والاهم انه يأخذ شهرته من كونه محدث المشرق بلا منازع على اختلاف فنونه، وكذلك من ترأسه لبيت السمعاني الذي ينتهي اليه من حيث علو المنزلة وعظمها وقدمها، واخيراً من المصنفات التي تركها لنا في حقول المعرفة الدينية والدنيوية المختلفة من التراجم والتواريخ المحلية.

بالرغم من هذه الشهرة التي تتمتع بها السمعاني، ناصبه ابن الجوزي العداء وتهجم عليه في مؤرخيته وفي سماعه للحديث وفي اتساع رحلته. فلماذا هذا التهجم من ابن الجوزي على مؤرخ كبير كالسمعاني؟ وما اساس العداوة التي يحملها ابن الجوزي له شخصياً؟ وكيف تقرر مصداقية هذه التهم وتبريراتها؟

بداءً، ان عداوة المؤرخين بعضهم لبعض ليست جديدة، فهناك عداوة المؤرخين الكتاب، اصحاب المؤسسات والوظائف الادارية المختلفة في الدولة العربية-الاسلامية، مثل عداوة الصاحب بن عباد الوزير الشهير لنظيره ابن العميد وعداوة نظام الملك الطوسي لوزير طغرل عميد الملك الكندي ايام السلاجقة العظام، وهناك عداوة المتكلمين مع المحدثين التي تكون عادة شديدة

وغير متكافئة كعداوة تاج الدين السبكي (ت 771هـ / 1369) لشمس الدين الذهبي (ت 748هـ / 1347)، او من بين المتأخرين عداوة السيوطي (ت 911هـ / 1505) لشمس الدين السخاوي (ت 902هـ / 1396) والوان اخرى من العداوات المتبادلة بين المؤرخين. ما هو سر موضوع عداوة ابن الجوزي للسمعاني، وما هي اسبابها وتفسيراتها، هل هي عداوة مذهبية كما يوحى ابن الاثير بذلك احد المتحمسين للسمعاني ؟ ام ان ابن الجوزي لديه حقاً ما يدين به سمعة السمعاني كمؤرخ ثقة

Reliable Historian ويستحق الطعن في مؤرخيته؟

معظم المؤرخين المحدثين يشيرون الى موضوع العداوة واقوال ابن الجوزي بصدقها وياخذون دون تحفظ جانب السمعاني من المسألة، فمثلاً الدكتورة زكية حسن الدليمي في اطروحتها للدكتوراه تأخذ جانب السمعاني وتستشهد للدفاع عنه باقوال ما شجبه عدد من المؤرخين لادعاءات ابن الجوزي، من دون تمييز من هو منحاز لشخص السمعاني او ضده⁽¹⁾. فقط جورج المقدسي قرأ ما وراء اتهامات ابن الجوزي من سخرية وتعديات لشخص السمعاني، محدداً مضمونها ومعناها باعجابه للمؤرخ الحنفي. اما ما لم يتم تقريره وتحديده بعد فهو تحليل تلك التهم والادعاءات الرائجة في ضوء المادة التاريخية التي يضمها ذيل تاريخ بغداد، مصنف السمعاني عن المدينة، والذي لا يتقرر بسهولة عند غياب نسخة الاصل، وفي تفسيرها من عدمه في النظر الى انها مجرد تدليس من ابن الجوزي على السمعاني. وكما سلنا، ان هذا الموقف من ابن الجوزي تجاه السمعاني ليس له علاقة بما يعمد الى تفنيده المؤرخين من تهم تخص رحلة السمعاني في طلب العلم او الاشادة بسمعته في هذا الحقل⁽²⁾، لأن حقيقة الامر الواقع ان ابن الجوزي ظل متأثراً كثيراً مما كتبه السمعاني في التراجم عن اصحاب مذهبة من الحنابلة البغداديين وما عده تقييحاً لرجالاته ومقدميه، بحيث لم يفوت مثل تلك التي توفرت له للثار من غريميه.

فنحن نعرف بأن تناقل ابن الجوزي من السمعاني وتحامله وافراطه في ذلك له علاقة بمدة بقاء المؤرخ المروزي في بغداد بين السنوات 532-538، ولعمله كتاب ذيل تاريخ بغداد، الذي غطى فيه سير لوجوه كثيرة من الحنابلة،

(1) ابو سعد السمعاني، المكان المذكور سابقاً، ص 32-31.

(2) انظر مثلاً ذاته، (اذ لو صح فأنه يوجه ابن الجوزي على السمعاني يصبح عديم التبرير).

على اساس التكميلة لعمل الخطيب البغدادي (ت 463هـ / 1071) تاريخ بغداد او مدينة السلام. وتقرير هذا الموقف وتحديد دوافعه واسبابه، لابد لنا من ان نقيس اولاً اقوال ابن الجوزي في شخص السمعاني على نحو ما وردت في المنتظم في ضمن وفيات السنة 562هـ التي حصلت فيها وفاة السمعاني.

يقول ابن الجوزي : ان ابا سعد السمعاني⁽¹⁾ دخل الى بغداد سنة اثنين وثلاثين (وخمسماة)، وسمع معنا على المشايخ... وذيل على تاريخ بغداد، وكان قد كتب شجاع الذهلي من التذليل شيئاً، وكتب ابو الفضل بن خiron وفيات المشايخ (الحنابلة) فجمع هو ذلك، وتلقيف من اشيائنا كعبد الوهاب ومحمد بن ناصر ومن بقي من الاشياخ ما يصلح ان يذكر من زمن الخطيب الى زمانه. الا انه يتعرض على مذهب احمد، ويبالغ، فذكر من اصحابنا (الحنابلة) جماعة وطعن فيهم بما لا يوجب الطعن... مثل ان قال عن ابن ناصر (مقدم الحنابلة) انه كان يحب الطعن في الناس، وهذا اخذ اكثراً كتابه عنه.. فشفى ابو سعد غيظه بما لا معنى فيه في كتابه، فلم يرزق نشره لسوء مقصده، ولو ان متبعاً يتبع ما في كتابه من الاغاليط والانساب المختلطة، ووفاة قوم هم في الاحياء لاخراج اشياء كثيرة، غير ان الزمن اشرف من ان يضيع في مثل هذا.

ومع ان ابن الجوزي يدعى انه هو شخصياً ارفع من ان يدخل في مهارات شخصية مع السمعاني الا انه لم يتمكن الا ان يستطرد في سيرته بالكلمات المزدوجة الآتية :

"وهذا الرجل [اي السمعاني] كانت له مشقة عجيبة فانه كان يأخذ الشيخ البغدادي فيجلس معه فوق نهر عيسى ويقول حدثني فلان من وراء النهر،

(1) بالنسبة لسيرته لا تحتاج للدخول في تفاصيل عنها لأن المقالة مخصصة أساساً لتحليل تطاولات ابن الجوزي على السمعاني، اسبابها ومبراتها، لكن بعض الخطوط العامة عن هذه السيرة ضرورية، على نحو ما وردت في السبكي، فما يلاحظ ان حياته تميز بفترتين: سيرته الاولى عندما كان اعزباً، وهي الفترة التي تناصر بين السنوات 506-538هـ وقت رجوعه الى موطنه مرو، الذي اقبل خلالها على تلقيف علوم القرآن من الفقه والحديث في كل من نيسابور ومره وبغداد، وفي السعي في مواصلة رحلته واتساعها. اما سيرته في الفترة (538-562هـ) فهي الفترة التي تفرغ فيها السمعاني لتصنيف المؤلفات التي يعرف بها، وللتدرис في المدرسة العميدية التي كانت تحت ادارته، وفي قمشية رياضة المذهب الشافعي. وهي فترة تميزت نوعاً ما بالاستقرار في موطن بلده في مرو، انظر طبقات الشافعية الكبرى (بيروت: دار المعرفة، ١٩٥٨)، م ٤، ص ٢٥٩-٢٦٠، والتي تضم نصوص مهمة من تاريخ خراسان المفقود لمحمود الخوارزمي. وعن سيرته من وجهة نظر الحنابلة، انظر ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك واللامم (حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، ١٩٥٨)، م ١٠، ص ٢٢٤-٢٢٥.

ويجلس معه في رقة بغداد ويقول حدثني فلان بالرقة في اشياء من هذا الفن لا تخفى على المحدثين".

ويزيد ابن الجوزي من دعوى اتهاماته بقوله :

"انه كان فيه سوء فهم، وكان يقول في ترجمة الرجل حسن القامة، وليس هذه عبارة المحدثين في المدح، وقال في عجوز يقرأ عليها الحديث، وهي من بيت المحدثين ابوها محدث وزوجها محدث وقد بلغت سبعين او زادت، فقال كانت عفيفة. ومثل هذا لا يذكره عاقل، ولا نرى التطويل بمثل هذه القبائح"⁽¹⁾.

ما مدى صحة الاتهامات التي اطلقها ابن الجوزي على السمعاني وما هي خلفياتها ومبرراتها؟ للإجابة لابد لنا من ان نفحص اولاً محتوى الكتاب الذي يطعن فيه ابن الجوزي بالسماعاني، والذي لم ينقده لحد الان المؤرخون للمحدثون، الذين سعوا الى تفنيدهم ابن الجوزي على اساس السمعة التي تمتّع بها السمعاني في رحلة طلب العلم، ورواية الحديث، التي هي أمر واضح لا تحتاج الى دليل بين.

توجد ذيول متعددة لـ تاريخ البغدادي (ت 463هـ / 1071)، احداها باسم ذيل تاريخ بغداد للسماعاني نفسه، الذي يقترب اسمه بثلاثة مصنفات مشهورة، كل من تاريخ مرو المفقود، تاريخ مدينة السمعاني، وكتاب الانساب الشهير، احد المراجع المهمة في الكنى والألقاب، ثم كتاب التجبير في المعجم الكبير، جميعها وردت ضمن قائمة السبكي⁽²⁾.

ان نسخة الاصل من ذيل تاريخ بغداد لم تصل اليها، الذي يقول عنها السبكي انها كانت مكونة من اربعمائة طاقة⁽³⁾، اي مصنف كبير الحجم بين مصنفات السمعاني. وما هو في التداول يمثل النسخة المختصرة التي عملها عام اللغة الشهير جمال الدين محمد بن المكرم الانصاري (ت 711هـ / 1311) سنة 708هـ / 1308 كنسخة مختصرة لذيل السمعاني تحت عنوان مختار ذيل بغداد، ومن مجموع اجزاء هذه المخطوطة، فقط الجزء الثاني من المختار وصل اليها.

ومع ذلك، فان جزءاً من ذيل السمعاني وصل اليها بطريق مؤرخ اصفهاني باسم البنداري من أهل النصف الاول من القرن السابع الهجري / الثالث عشر

(1) المتنظم، م 10، ص 224-225.

(2) طبقات الشافعية الكبرى، م 4، ص 260، التي تشمل على اكثر من ست وثلاثين مصنف ورسالة.

(3) طبقات الشافعية الكبرى، م 4، ص 260.

الميلادي، الذي عمل في 639-1241 نسخة مختصرة لتاريخ يغطي بغداد من مخطوطات ثلاث، هي كل من تاريخ بغداد للخطيب البندياري، وتنمية هذا التاريخ، كتاب ذيل السمعاني، ومصنف ابن الدبيشي الواسطي (ت 637/1239) على ذيل السمعاني المسمى أيضاً بذيل تاريخ بغداد، فيما لا تشمل هذه الطبعة من البندياري تاريخ ابن النجار (ت 643/1245) المعروف أيضاً بذيل بغداد. ومما يزيد الامر تعقيداً اننا لا نحصل على معلومات بينة من منتخب الانصاري عن طريقة السمعاني في تأليف الذيل طالما كان الانصاري قد لجأ شخصياً في اثناء تحريره نسخة طبعته الى اسقاط معظم الاشارات للاسماء والتواريخ الواردة عند السمعاني (باستثناءات قليلة من رواته). وللتدليل على ان مثل هذه الحال هي ليست من عمل السمعاني فامر يبدو واضحاً من نصوص نسخة البندياري للسمعاني، اذ من بين الاعمال الثلاثة التي اختصرها البندياري سوية، نجد اشارات كثيرة للسمعاني في نسخته التي عملها لتاريخ بغداد، فيما توجد اشارات قليلة الى ابن الدبيشي بتلك الطبعة⁽¹⁾ (اما اشارات البندياري الى تاريخ الخطيب نفسه فليست ذات اهمية لتوفر نص الاصل الذي يمثل عمل الخطيب الشخصي).

وبتوحيد النصين، يتبين من تلك الطبعة الموجزة ان اصل ذيل السمعاني كمصنف هو من نوع تركيب الترجم، مرتب حسب حروف المعجم لتغطية الوفيات التي حصلت بعد وفاة الخطيب وحتى سنة 557-1161، كما يتبين ان السمعاني كان قد كتبه من وجهة نظر محدث لتغطية الشخصيات البغدادية الهامة من الرجال والنساء معاً من ولدوا او نزحوا وسكنوا بغداد ردحاً من الزمن.

ان اخلاق السمعاني لروح مادته التاريخية في الذيل، كانت كما نوهنا، قد أثير الشك حول مصادقيتها من قبل ابن الجوزي، تلك التهمة التي بقيت في التداول دون توقف حتى تدخل ابن الاثير في النزاع حيث قلب التهمة على ابن الجوزي نفسه.

(1) صورة مصورة مستنسخة وطبقاً لما اورده جورج مقدسى في انه كان لابد من لديه نسخة اخرى من المختار.

فطبقاً لرواية ابن الجوزي، الذي كان يعرف السمعاني جيداً، ان الطاقات التي كونت مصنف الذيل كانت تعود في حقيقتها الى ابن خiron وشجاع الذهلي اللذان كانوا من حنابلة وسكنة بغداد، وممن قاما بتغطية اعيان بغداد من وفيات النصف الثاني من القرن الخامس الهجري وما بعدها / الحادي عشر الميلادي في عملين غير منجزين، وكذلك الى مساهمات اساتذة وشيخوخ ابن الجوزي من الحنابلة، كل من عبد الوهاب الاغاطي (ت 11 محرم 538هـ) ومحمد بن ناصر (ت 18 شعبان 555هـ) اللذان جهزا السمعاني بلاحظاته عن وفيات النصف الاول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي. ويذهب ابن الجوزي في الاطراء على دور ابن ناصر أكثر من هذا اذ يجاهر بأن : "كتاب السمعاني ما سواه الا ابن ناصر"⁽¹⁾، ولا دله على أحوال المشايخ أحد مثل ابن ناصر، ومن مجمل هذه المادة لشيخوخ الحنابلة البغداديين، الف السمعاني مصنفه ذيل تاريخ بغداد.

الا ان هذه التهمة التي روجها ابن الجوزي عن السمعاني من جهة نسبة روایاته الى مصادر حنبيلية ليست صحيحة تماماً، رغم ان ابن الجوزي يتلوك من الاسباب ما تدفعه الى الشك في ان السمعاني قد زور من وثائقه التي تتصل بكل من 1: استعمالات السمعاني لمعلومات مشايخ الحنابلة من دون اعتراف واضح بذلك، 2) ميل السمعاني نحو الوقوف ضد اتباع مذهب احمد بن حنبل من المشايخ، على الرغم من انتفاعه من المصادر الحنبيلية لسوء مقصدده، وفي تلقيقه بالترجم تهماً غير حقيقة عن حنابلة متوفين، على نحو ما يتضح من التهم التي ترد في ترجمة ابن ناصر⁽²⁾، شيخ ابن الجوزي، 3) واخيراً اخفاقه في تقديم معلومات صحيحة ودقيقة عن فعاليات المترجم لهم لعدم قدرته على استيعاب معناها.

ومن اجل اثبات هذه التهم ادعى ابن الجوزي ان رحلة السمعاني الى ما وراء النهر في طلب الحديث، والاشارات الموجودة فيها الى الشيوخ التركستانين جميعها روايات ملقة لا اساس لها، لأن الذي كان يفعله السمعاني، في زعم ابن الجوزي هو ترتيب لقاءه بأحد الشيوخ البغداديين عند القسم العلوى لنهر

(1) المنتظم، م 10، ص 163.

(2) المصدر ذاته، م 10، ص 224-225.

عيسي (حالياً نهر الصقلاوية) وقت اقترابه من بغداد ثم التظاهر بحصول المقابلة في ما وراء النهر⁽¹⁾ اي بمدن الاقليم المعروفة بهذه التسمية من التركستان. وبسبب عدم وصول نسخة ذيل السمعاني الاصلية، لانها مفقودة، فأن من غير السهل الحكم على اتهامات ابن الجوزي هذه ومعرفة مصاديقها. ومن جهة اخرى لا تساعد طبيعة نسخة الانصاري في القاء الضوء على هذه المسألة، لأن المصنف كان قد أسقط من محتوى نسخته كل ما يتعلق بأسماء الرواية الذين جاء ذكر اسماؤهم في ذيل السمعاني، على نحو ما يتضح مثلاً من ترجمة الرئيس ابو علي المنبغي، أحد الاداريين السلاجقة المتنفذين، الذي مر بي بغداد في طريقه لاداء الحج، ومن ترجمة الوزير الطوسي الشهير نظام الملك⁽²⁾. وكما يتضح بعد قليل فإن البنداري كان ملخصاً في نسخته التي اختصرها لنقوله من الذيل - الاصل..

ان منزلة السمعاني بين مؤرخي الشافعية مسألة لا تقبل الجدل ومعترف بها على نطاق واسع، بما فيهم اعتراف مؤرخ الشام الظاهري شمس الدين الذهبي (ت748هـ) الذي يعد السمعاني راوي ثقة لما ينقل⁽³⁾ مع ان هذا لا يعني ان السمعاني لم يرتكب اخطاء في الحقائق التي دونها حول تلك المسألة كغيره من المؤرخين المعرضين عند محدودية معلوماتهم لارتكاب الاخطاء المتداولة، والتي خصص لها ابن الاثير في طبعته لتهذيب الانساب ملاحظات مفيدة⁽⁴⁾ على نحو ما يلاحظ من المراجعة التي اتمها مصنف الانساب: "فحين امعنت مطالعته رأيته قط أطوال واستقصى حتى خرج عن حد الانساب وصار بالتاريخ أشبه، ومع ذلك فيه أوهام قد نبهت على ما انتهت اليه معرفتي (أبن الاثير) منها".

(1) كذلك، م 10، ص225، وانظر ايضاً مقدسي : 156. "Autograph Diary" BSOAS, XVII (1956)

(2) المختار، ورقة 177 أ – 178 أ، ورقة 187 أ – 189 أ.

(3) انظر تذكرة الحفاظ (حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية / 58-1955)، م، 4، ص1318-1316؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان (بيروت: دار صادر، 1977)، م، 5، ص378-381؛ تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ص259-260.

(4) الباب في تهذيب الانساب (بغداد : مكتبة المثنى، د.ت)، م، 1، ص10-12 (الملاحظات الخاصة بمناقب ابي سعد السمعاني.اما انساب السمعاني فكان قد طبع طبعة حجرية من قبل المستشرق الانكليزي مارغولويوت (لайдن ولندن : بريل ولوزا لجب موريل، 1912)، وحقق في العربية مؤخراً من قبل الشيخ المعلى، ط 1 (حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية / 1962-1966).

(5) انظر : الباب في تهذيب الانساب، م، 1، ص8.

ويلاحظ ان ابن الاثير انتقد السمعاني لا "لإظهار العيب" في السمعاني، وإنما ببر ذلك اراده، "لإظهار الحق، ليتفع به الناس"، ولينزه نفسه عن أن يقال "رأى ابن الاثير الخطأ فلم يعرفه"⁽¹⁾. وجملة من هذه الاخطاء التي يثيرها ابن الجوزي عن السمعاني وطريقته لابد ان تكون قد وقعت في الذيل الذي صنفه السمعاني، والذي يحکم بوجبه ابن الجوزي على تفاهة السمعاني كمؤرخ وعدم مصداقتيه وهو الامر الذي ترفه عنه ابن الاثير في الباب لحسن مقصده. غير ان ابن الاثير الشافعي المذهب نفسه، دون اي مؤرخ آخر هو الذي رفض اتهامات ابن الجوزي حول اعتقادية السمعاني ومصداقتيه، بعد ان ظلت في التداول الى وقت زمانه، وهو الذي تصدى لها من بين المؤرخين الشافعيين لاول مرة في ضمن محتويات كتابيه الباب في تهذيب الانساب⁽²⁾ والكامل في التاريخ⁽³⁾، مدعياً في الباب بأن مثل هذه التهم لو تصح لقيلت عن ابن الجوزي وحده، الذي لم يرحل في طلب العلم عن مدينة بغداد أبداً، مما اوجب ميله الى الفريدة والتزوير⁽⁴⁾. فيما قال في الكامل ان ما دعا ابن الجوزي الى مهاجمة السمعاني هو مجرد كون السمعاني من اصحاب الشافعي، والى طبيعة تخرصات ابن الجوزي مع جميع مخالفيه (بما فيهم السمعاني) والذي لم يجد من يناصرهم سوى مكسر و الحنابلة، ويجلب ابن الاثير الانتباه الى كتاب "تبليس" الذي صنفه ابن الجوزي والذي يقول عنه ابن الاثير انه لم يبق فيه على احد من سادة المسلمين وصالحهم الا ذمة وثبله⁽⁵⁾.

غير اننا يجب ان نتعامل مع هذا الدفاع لابن الاثير قبل الاقرار به بشيء من التحفظ، نظراً لانه كتب ملاحظاته هذه عن السمعاني في ضمن محتوى فصل افتتاحي من كتابه الباب يحمل اساساً عنوان "من مناقب ابي سعد"⁽⁶⁾، والذي بوجبه لا يتوقع من ابن الاثير ان يدرج شيئاً يجرح فيه السمعاني

(1) المصدر ذاته، م، 1، ص 12.

(2) كذلك، م، 1، ص 16 : "فكيف يقول هذه الاقوال، بمعنى اخذ الشيخ بغداد وابو سعد ليست به حاجة الى فعل هذا التدلیس البارد".

(3) (بيروت : دار صادر، 1960)، م، 11، ص 98.

(4) الباب، م، 1، ص 16.

(5) كامل التواریخ، م، 11، ص 98، وكتاب تبليس ابليس يحمل هذه الصفة.

(6) الباب في تهذيب الالباب، م، 1، ص 13.

وسيرته، فضلاً عن ابن الأثير، لأسباب مذهبية، هو منحاز أصلاً للسمعاني ومن انصاره ومؤيديه. من هنا، يبدو فحص محتوى ذيل تاريخ بغداد أمراً مهماً للتعرف على تطاولات ابن الجوزي على السمعاني⁽¹⁾.

ان مصادر السمعاني لترجمته من غير الحنابلة كثيرة، بالرغم من ان الانصارى رفعها، على عكس البندارى، الذى ظل محفظاً بها. ومع ذلك فإن اي خلاف حول شرعية ادعاءات ابن الجوزي (خارج محتوى دفاع ابن الأثير) يجب ان تقييم في ضوء تراجم السمعاني عن الشخصيات المحلية-البغدادية في الذيل. ويتبين لنا من مراجعة طبعة البندارى المختصرة ان ابن الجوزي على حق بأن يقول ان السمعاني قد استعمل شجاع وابن خيرون لكتابه ترجمة المخصصة لشخصيات من البغداديين في الذيل، مع ان السمعاني في اماكن متعددة من هذا المصنف يقر بفضل هذا النفر مادة الكتاب. اما ما هو ذات صلة بتحامل ابن الجوزي على السمعاني فيبدو واضحاً من ملاحظات الاخير في الذيل عن شيخ ابن الجوزي / الحنبلي ابن ناصر، وربما فئات اخرى من اتباع مذهبة البغدادي، أثارت نقاوة ابن الجوزي عليه ومن التنديد به ومهاجمته، مثلاً، قول السمعاني ان ابن ناصر كان يهوى الطعن الناس ويقبح فضائلهم⁽²⁾، قوله طبقاً لرواية البندارى، ان ابن ناصر عندما راجع للسمعاني مخطوطته، كانت لديه عادة الاشارة في حواشيه الى مثالب وقبح المتوفين من اصحاب تلك التراجم، على نحو قوله عن سيرة ابو الفضل محمد الواسطي (ت 547-1152): "انه ليس من أهل الوقاية والرواية"⁽³⁾. وفيما عدا هذا الذيل لا توجد للسمعاني كتب اخرى تساعده في القاء الضوء على هذه المسألة. وما هو قريب الى التراجم كتاب التجbir في المعجم الكبير فهو غير مفيد في تقييم رأي السمعاني النهائي فيها. ففي التجbir يظهر اهتمام السمعاني منصبًا على تغطية تراجم الرجال من شيوخه.

حقيقة الامر الواقع اذًّا ان ابن الجوزي كان متاثراً مما كتبه السمعاني في ذيله عن الحنابلة - البغداديين ومن ملاحظاته التي وصفها بهم بالسوء وقبح

(1) انظر تاريخ بغداد ورقة 25 ب، 32 أ، 33 ب، 43 ب، 46 أ-ب، 47 أ-ب، 48 أ، 50 ب، 51 أ.

(2) المتنظم، م 10، ص 225.

(3) تاريخ بغداد، ورقة 32 أ، ورقة 84 أ-ب.

السيرة، وقرر مهاجمته طبقاً لذلك في الطريقة التي حبك بها قصة تدليس السمعاني مع رواته البغداديين في اثناء لقاءاته على ضفة نهر عيسى لجمع مادة الذيل من اجل تلويث سمعته وعمله كمؤرخ من طبقة المحدثين يشار له بالبنان. وهذا يعني ان السؤالة على خلاف ما يذهب اليه، ليس لها علاقة بأمر الرحلة بطلب العلم او بالتباس مروياته التاريخية، كما لا يصح ان يقال أنه استحوذ على المسودات غير المكتملة لذيل شجاع الذهلي وابن خiron، ولو صح ذلك فأن تهجم ابن الجوزي عن السمعاني يصبح ليس له ما يبرره لأن تراجم ابن خiron او قرينه الذهلي ضمنها الاثنين السمعاني كتابه الذيل، مع ان الممكن ان يكون السمعاني قد اضاف الى هذه المواد ملاحظات جديدة عن شخصيات المترجم لهم. بينما أهمل مؤرخو الشافعية التهمة ولم يتعرضوا لها على مستوى مصنفاتهم، بما فيهم تاج الدين السبكي، الذي يشتهر بعدم تردداته في التصدي عادة لأية تطاولات تحصل من جانب اعداء الشافعية - الاشعرية على رجالاتهم. فقط ابن الاثير لم يسمع للتهمة بأن تم رد مناسب منه، لما كان يتطلب منه تنفيذ مشروع الكتاب الذي بدأ، في مراجعة وتهذيب أنساب السمعاني على نحو ما اختصر في اللباب.

في ضوء هذا التحليل يصح القول ان موقف ابن الجوزي من السمعاني هو موقف تبنيه المؤرخ البغدادي استنكاراً ملحوظات السمعاني غير المستحسنة عن شيوخ الحنابلة البغداديين الذين كان قد ترجم لهم بين مدة ما بعد وفاة الخطيب البغدادي والوقت الذي توقف فيه عن التأليف عند سنة 557هـ. ويصح القول كذلك ان موقف ابن الجوزي نابع من رغبته في الثأر من السمعاني، كونه احد العناصر الشافعية-الاشعرية، الذين يبغض مواقفهم ابن الجوزي بسبب مسائل الخلاف القائمة بين الحنابلة والاشاعرة والتي يرى فيها على انها تمثل عقيدة كلامية مستوردة، وايضاً من تجاوز السمعاني على البغداديين من تأليف كتاب باسمهم قائم على ادبيات الحنابلة وشخصياتها.

الا انه لا ييدو ان هذا الموقف المقتربن بأبن الجوزي يعكس عن السمعاني موقفاً مماثلاً للحنابلة كذلك، لاننا لا نجد من مؤرخي الحنابلة الذين جاءوا بعد ابن الجوزي من يؤيد مواقفه وآرائه الشخصية تلك، على نحو ما يتضح ملخصاً من شمس الدين الذهبي المعروف بميوله الظاهرية المعادية للأشاعرة او ابن العماد الحنبلي.

ان قيام مؤرخ مروзи كالسماعي لليس من اهل بغداد في تصنيف مصنف عن التراجم الذين لهم علاقة بمدينة السلام يكمل ما تركه الخطيب البغدادي عمل جرىء حقاً، ويحمد عليه شخصياً كمساهمة منه للون كتب التراجم، لأن تغطية فترة تقارب حكم السلاغقة (توقف الخطيب في 453هـ فيما توقف السمعاني في 557هـ)، شيء ليس بالسهل حقاً، ولاسيما اذا كان العمل يخص مدينة مثل بغداد كتب عنها مؤرخون كبار على مستوى التواريخ والتراجم ابتداء بأبن طيفور (ت 893هـ/280م) ومن هذه الوجهة، فان السمعاني عند التصدي للتصنيف لم تكن له سوء نية اطلاقاً، ومن المتوقع بمثل هذه الخلفيية الا تكون مكتملة منهجاً ومستوعبة لجميع الحقائق التاريخية، فضلاً عن ان السمعاني في تراجمه كان يبدي رأيه بصراحة في المترجم لهم، بغض النظر فيما اذا كان هذا العمل المنجز يفرح من يأتي بعده من المصنفين او يبغضهم. ولذلك فان اتهام ابن الجوزي لهذا المؤرخ بسوء النية شيء غير منطقي، وتحامل ليس الا على السمعاني لا يعول عليه، لأن السمعاني، من دون ادنى تحيز، كان يجتهد في تغطية عناصر المترجم لهم، على طريقة الخراسانيين بينماً، ولا يبدو انه كان موجهاً بتراجمه لمهاجمة الحنابلة وشخصياتهم، الذين كانوا يشكلون القوة السياسية الرئيسية في بغداد، الساندة لمؤسسة الخلافة وممثليهم، على الرغم من انه كان يحتل منزلة مقدم الشافعية وكثيرها وله المنزلة الخاصة لدن السلطان السلاجوقى، فضلاً عن ان السمعاني اعطى للحنابلة حقهم وحقيقهم، ولم يخرج في النقد خارج اصول التصنيف التاريخي المعروفة لديه. من هنا فإن اتهامات ابن الجوزي للسماعي بالتجني على البغداديين وعدم المعرفة بأصول التصنيف التاريخي تطاول من جانب هذا المؤرخ البغدادي لا يغتفر او يبرأ منه جيلاً بعد جيل.

المصادر والمراجع الأساسية :

1. ابن الاثير، ابو الحسن عز الدين علي بن محمد، الكامل في التاريخ، بيروت : دار صادر، 1960 م، 11.
 2. — اللباب في تهذيب الانساب، بغداد : مكتبة المثنى، د.ت.
 3. الانصاري، محمد بن مكرم، مختار ذيل بغداد، مايكروفلم نسخة : Cambridge Trinity College, MS.R.B.66.
 4. البنداري، الفتح بن علي، تاريخ بغداد. مايكروفلم نسخة : Bibliotheque National Arabe, N° 6152.
 5. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي. المنتظم في تاريخ الملوك والامم. حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، 1958 م، 10.
 6. — نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس، القاهرة : الطباعة المنيرة، د.ت.
 7. ابن خلكان، شمس الدين. وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان. تر. احسان عباس. بيروت : دار صادر، 1977 م، 2.
 8. الذهبي، شمس الدين محمد. تذكرة الحفاظ. حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، 1955 م، 58.
 9. السبكي، تاج الدين. طبقات الشافعية الكبرى. بيروت : دار المعرفة، د.ت، 4.
 10. السمعاني، ابو سعد عبد الكرييم بن محمد التمييز في المعجم الكبير. نسخة مصورة لمخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق تحت رقم 1233.
 11. السمعاني، ابو سعد عبد الكرييم بن محمد، كتاب الانساب. تحقيق المعلمي. ط1، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، 1962-66.
- الدراسات الحديثة :
12. ابراهيم، ناجية عبد الله. المصباح المضيء في خلافة المستضيء. رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد : مكتبة كلية الاداب، 1974 م، 1.
 13. الحكيم، حسن عيسى، كتاب المنتظم لابن الجوزي. اطروحة دكتوراه غير منشورة، بغداد : مكتبة كلية الاداب، 1982.
 14. الدليمي، زكيه حسن. المؤرخ ابو سعد السمعاني في كتابه الانساب. اطروحة دكتوراه غير منشورة، الكوفة : مكتبة الدراسات العليا، 1995.
 15. مقدسی، جورج

Autograph Diary of An Eleventh Century Historian of Baghdad, BSOAS, XVII, 1956.

----- , Ibn Aqil et la Resurgence de l'sam Traditionaliste au Xle siecle. Damas : Imprimerie Catholique 1963.

التعريف بمؤلفه و أهميته التاريخية

مقدمة في الموضوع :

في مقدمتها للمخطوطة التي حققتها المحققة البارعة نبيلة عبد المنعم داود عن نكت الوزراء ومؤلفه أبا المعالي المؤيد بن محمد الجاجري، استنجدت الباحثة عن هذه الشخصية الادارية والغورية ما مفاده ان أبا المعالي الجاجري، بعد كل محاولات البحث للتعرف عليه في المصادر، يشكل شخصيةً مغمورة لا تعرف هويته، مع انها رجحت ان يكون هذا الجاجري هو احد منتسبي ما وراء النهر، وانه كان حياً في بدايات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي⁽¹⁾. وهذا القول في التحليل الاولى يبدو صحيحاً من لدن الباحثة، ويتفق مع مضان التحري عن المعلومات التي تعكس سيرته، ومحاولات الكشف العقيمة بهذا الصدد، لكن تحليل محتوى مقدمة نكت الوزراء، ومقارنته نصوصها بأحدى الترافق النادرة عن المؤلف، يبين على انه يمكن للمؤرخ من ان يخطو خطوات اولية للكشف عن هوية الجاجري وشخصيته مهما كانت الحالة التي يمثلها.

في البداية، ان أبا المعالي الجاجري، كما يرتبط بمصنفه نكت الوزراء، هو حقاً شخصية مجهولة بين مؤلفي كتب الوزارة، اذ لا يوجد -حسب علمنا- سجل يمثل هذا الاسم في مفرداتها بين تلك التي ظهرت بعد الجاجري ، فلا في نسائم الاسحار للمنشي الكرماني (كتب سنة 725هـ/1325م)، او سيف الدين حاجي

(1) مطبوع على الالة الكاتبة ضمن النشاط الثقافي لاعضاء مركز احياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، (بغداد، 1984)، ص 9-10.

عقيلي (كتب حوالي 883هـ/1478م)، في آثار الوزراء، اللذان غطيا تراجم عصر الجاجري وما قبله، وكذلك دستور الوزراء لخواند- مير (ت 942هـ/1534-1535م)، نجد اشارة واحدة الى مؤلف نكت الوزراء بهذه التسمية، بما في ذلك مصنف راحة الصدور وآية السرور محمد بن علي بن سليمان الرواندي⁽¹⁾ (انجز في 603هـ)، الذي كتب عن السلامة في بدايات القرن كذلك. والشيء ذاته يقال عن التراجم التي خصصها المؤلف هو شخصياً لوزراء متوفين سابقين، او معاصرين، ضمنها محتوى كتابه شخصياً. وهذه ظاهرة هستريوغرافية غريبة، في ضوء محتوى وطبيعة نكت الوزراء، وفي ضوء الاستفادة منه كمصدر لمؤلفي هذه الكتب، كلٌ من الكرماني وعقيلي وخواند - مير.

وكما سيتضح لنا بعد برهة، ان ابا المعالي الجاجري كان شخصية اداريةً كبيرة ذات صلة بأحدى الدول الاسلامية القائمة في المشرق، هي الدولة الغورية، بشخص سلطانها غياث الدين محمد الغوري، ومن قبل عند الدولة الغزنية بشخص ملكها خسرو ملك (ت 598هـ/1202)، اخر الملوك الغزنويين، وانه كان يخدم في كلا الادارتين للدولة الغزنية والغورية على مستوى مسؤولية الديوان.

يستهدف هذا التحليل اولاً متابعة سيرة ابا المعالي الجاجري المجهولة عبر الالقاب التي تتقدم اسمه في نكت الوزراء، الى الحد الذي تسمح به مصادرنا، لتقرير هويته غير المعروفة ما امكن، وهو القسم الذي ترك معلقاً من قبل المحقق دون ادنى تقدم، وكذلك تحديد آفاق نشاطه الاداري من خلال خدماته لدى الغوريين، وهو ما لم تحاول متابعته اثناء تقييمها لسيرته، وبالنسبة لمحتوى نكت الوزراء، فسوف نحلل اولاً وقت شروع الجاجري في تأليف النكت وانجازه، والاسباب التي تقف وراء هذا المشروع، ثم نعرض الى وصف النكت ومحتواها، ونتائج التصميم الذي اتبعه الجاجري في تطوير مسودات كتابه، والمصادر التي عول عليها لتطويره، ونوع الاسلوب الذي تبناه لانجاز ذلك، وهو ما لم تتوسع فيه كثيراً كذلك. فقط حينذاك يصبح بامكاننا ان نحدد خصوصيات نكت الوزراء وقيمة وأهمية المعلومات التي يتقدم بها بالنسبة لنمط مثل كتب الوزراء والكتاب.

(1) انظر بالترتيب المنشي الكرماني، نسائم الاسحار، تحقيق محدث (طهران : جابخانة دانشكاه، 1378)؛ سيف الدين عقيلي، آثار الوزراء، تحقيق محدث (طهران، 1959)؛ خواندمير، دستور الوزراء، تحقيق نفسي (طهران : جابخانة اقبال، 1317)؛ الرواندي، راحة الصدور وآية السرور، تحقيق محمد اقبال (لندن : مؤسسة جب، 1921).

لا توجد حسب علمنا ترجمة معينة تخص ابا المعالى الجاجرمي وسيرته الذاتية ومجريات عمله في دواوين الادارة التي كان قد خدم فيها وظيفياً. وكل الذي نعرفه من خلال كتابه نكت الوزراء هو انه كان يحمل اسم ابي المعالى المؤيد بن محمد الجاجرمي⁽¹⁾، وان نسبته ترجع الى جاجرم، احدى المدن التابعة لاقليم خراسان، الواقعه بين نيسابور وجويون وجرجان⁽²⁾، ومثل هذه التسمية في رأي محقق المخطوطه يقرر عائديه النكت للجاجرمي، غير انها لم تتوصل الى شيء ثابت بخصوص الكشف عن هوية المصنف والتي حاولت التعرف عليه من خلال متابعتها من تسمى بالجاجرمي دون جدوى، كما جاءت عند ياقوت في معجم البلدان لأن الاسماء التي ترد تحت تلك الكنية لا تنطبق على المؤيد الجاجرمي هذا وفي ضوء معايير غير واضحة ترتبط بأهتمامات المصنف بوزراء الفترة السلجوقيه. ومع ان هذه الاهتمامات عامة وليس خاصه، اقترحنا بأن اصله لا بد ان يكون من ما وراء النهر، ورجحت من انه كان حياً في بدايات القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي⁽³⁾. وبدون شك ان هذه النتيجه وحدها لا تكفي لغلق ملف هوية الجاجرمي وسيرته، لأن الجاجرمي لا يمكن ان يكون احد افراد ما وراء النهر هكذا، وان اهتمامه لم يكن خاصاً بالسلاجقة، وان كان قد زار مدنًا من هذا الاقليم لفترة من حياته كبخاري، احد مراكزه الرئيسية، وقضى جانباً من حياته الشخصية هناك.

واحدة من الخطوات المنهجية للكشف عن هويته هي متابعة سيرة وعمل الجاجرمي كما تظهر من المعلومات التي يتضمنها كتابه نكت الوزراء، مهما كانت ضئالتها، لتقرير ما يمكن التعرف عليه شخصياً عن طريق مصنفه نكت الوزراء اولاً ثم عن طريق المصادر المعاصرة له ثانياً.

(1) اسمه مثبت على غلاف الكتاب، وفي مقدمته التي كتبتها نبيلة عبد المنعم، انظر نكت الوزراء، ص 9-7.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت : دار الكتاب العربي، د.ت)، م 2، ص 92، وضبطها ابن خلكان ايضاً بفتح الجيم وسكون الراء، وقال : ((خرج منها جماعة من العلماء)), انظر وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس (بيروت : دار صادر، 1977) ، م 4، ص 256؛ وانظر ايضاً ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، ط 2 (بيروت : دار المسيرة، 1979)، م 5، ص 56.

(3) انظر مقدمة نكت الوزراء، ص 10-9.

ان الذي نتعلم من نكت الوزراء عن الجاجرمي نفسه قليلاً جداً لأن هذا المؤلف لسباب غير واضحة، يتجاهل التكلم عن خلفيته، ويظل احد الرموز الادارية الغامضة بين شخصيات الكتاب من الاقاليم التي تكون بلاد المشرق ومع ذلك، فإن محتوى النكت يساعد على تقرير مسألتين اوليتين عن سيرته وعمله هما :

1. ان الجاجرمي هو احد افراد طبقة الصدور المحترفين بين عمال الادارة والديوان كما يوصف نفسه في مفتاح النكت (بالصدر الاجل الكبير)⁽¹⁾، بمعنى انه كان من رجال الطبقة الادارية الكبار لاحدى الدول الهامة القائمة اندماك في شرق ايران وما يجاورها خلال النصف الثاني من القرن السادس الهجري وما بعده، والتي كانت على رأسها آنذاك الدولة الخوارزمية متمثلة بحاكمها السلطان علاء الدين محمد بن تكش خوارزمشاه الثاني (ت 617/1120)، والدولة الغورية بمركيزها في فیروزکوه وبامیان، وهي تتسع على حساب الدولة الفزنوية التي كانت تعيش ايامها الاخيرة بعد انتقال مركزها من غزنة الى البنجاب، ثم هناك بعض خانات التركستان في ايامهم الاخيرة، وهم يواجهون تحديات الخوارزميين لهم، في وقت كان مصير السلاجقة قد تقرر بشكل نهائي بعد معركة مع الخوارزميين أنفسهم بالقرب من الري في 590/1194 انتهت بتصفيه ممتلكاتهم⁽²⁾. فهو واحد من مستخدمي هذه الدول القائمة اما بصفة منشي للملكة او مستوفي السلطنة، وحتى طفراي للسلطان وغيرها من المراكز الوظيفية التي ترشح لها الشخصيات الادارية البارزة من طبقة الصدور⁽³⁾، والتي تقابل طبقة الكتاب عند العباسين. وكما سيتضح لنا قريباً⁽⁴⁾، بأن الجاجرمي كان

(1) نكت الوزراء، ص 17.

(2) العماد الاصفهاني، تاريخ دولة ال سلجوقي (بيروت : دار الافق، د.ت)، ص 276؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت : دار صادر، 1965-1966)، م 12، ص 107-108؛ وانظر ايضاً ابن العماد، شذرات الذهب، م 4، ص 244.

(3) التعبير المستعمل عند العباسين هو طبقة الكتاب، ولا نوشرون بن خالد، وزير المسترشد كتاب بالفارسية عن طبقة الصدور في الوزراء ورؤساء الديوان عربه العماد الاصفهاني باسم : ((نفثة المصدور في صدور زمان الفتور وفتور زمان الصدور)). انظر تاريخ دولة ال سلجوقي، ص 56؛ ابن خلkan، وفيات الاعيان، م 4، ص 67. وقد تطور الصدر (فرد صدور) عند العثمانيين الى الصدر الاعظم او رئيس الوزراء.

(4) انظر اسفل، صص 7-6.

من منتسبي الدولة الغورية بفرعها القائم في باميان، واحد شخصيات ادارة الوزير فريد الدين الكافي، مسؤولاً عن ديوان الاستيفاء هناك.

2. ونتعلم ان الجاجرمي كان يجمع في شخصه جملة من الالقاب الادارية والتعليمية السائدة، بعضها شائع وبعضها خاصة به، منها القاب (استاذ الدنيا) وفارس علوم العقل والنقل.. مظهر كلمات الله العليا، وكذلك (امام الهدى) وحجة الله على الورى⁽¹⁾، فهذه كلها تدلل على ان الجاجرمي كان شخصية كبيرة بين اقرانه من رجال طبقة الصدور، وانه كان من الشخصيات التي تدعم الدين الحنيف، وليس على اعتقاده من لبس او شائبة، وانه كان يتولى التدريس في احدى مؤسسات التعليم المحلية، بمدرسة او حلقة من حلقات التدريس يدرس العربية، او علوماً اخرى معها، ويفهم اخيراً من محتوى النكت، في اشارة نادرة ترد في الترجمة التي خصصها للوزير قوام الملك ابو نصر الفارسي (توفي خلال سلطنة ارسلان بن مسعود 509-511هـ) من ان الجاجرمي كان قد قضى فترة من حياته في غزنة التي يسمى بها مهد الصبي⁽²⁾، وهو ما يدلل على ان حياته الاولى برفقة عائلته كان قد قضاهما في كنف الدولة الغزنوية وتطلعتها وانه غطى جانباً مهماً من مسيرته التعليمية هناك، قبل انتقاله الى بخارى ومن ثم الى باميان، هذا بالنسبة للمعلومات المباشرة من نكت الوزراء، والتي لم يلاحظ اهميتها محقق الكتاب في اية جهود تستهدف الكشف عن سيرة الجاجرمي ورحلته من اجل تلقي العلم والتخصص.

لكن هذه الملاحظات الاولية عن سيرة الجاجرمي ومراحل حياته الاولى لا تعني شيئاً ما لم تكمل وتعزز بمعلومات خارجية معاصرة، لانها هي اساساً ليس فيها ما يعرفنا على سيرته الذاتية. مرة اخرى، المصادر العربية المتوفرة

(1) نكت الوزراء، ص17.

(2) الوزير قوام الملك، الذي يقول عنه الجاجرمي في ترجمته : ((انه قضى وقتاً من عمره في لاهور، ثم ترقى الى مهد الصبي [عهد الصبا]، وهي الاشارة التي تفهم من عوفي على ان قوام الملك كان وزيراً للسلطان الغزنوي ابراهيم بن مسعود، انظر نكت الوزراء، ص208؛ كذلك عوفي، بباب الالباب، تحقيق ميرزا محمد قزويني (مجلدان، لندن، 1903-1906)، م، ص ص 307-308.

لا تفي بالغرض، ولا توفر اية معلومات عن هذه المسألة الجوهرية، بما في ذلك، المصادر الفارسية المتخصصة بالوزراء والتصور. فما نعرفه من معلومات تخص اسمه (ابو المعالي المؤيد بن محمد الجاجري) جاءت كما قلنا من غلاف مخطوطه نكت الوزراء، وفيما عدا ذلك لا يوجد سجل مثل هذا الاسم، لما تكرر في كتب الوزراء المتأخرة كل من المنشي الكرماني، وسيف الدين عقيلي وخواند-مير، وربما يكون هذا احد الاسباب في انه لم يدرج اساساً في دائرة المعارف الاسلامية بطبعتها الجديدة ولا عند بروكلمان او سورزكين وحاجي خليفة وغيرها من مصادر التراجم والبیبیولوغرافیا ومع ذلك، ان هذه النتيجة غير المرضية وحدها لا تكفي لغلق ملف هوية الجاجري وتلقيق البث فيها. فقط مصدر واحد معاصر هو سدید الدین عوفی⁽¹⁾ المشهور بمصنفه لباب الالباب، واحدى الشخصيات المعاصرة للجاجري يساعد على حل العقد الاساسية للموضوع مع ان المعلومات التي يضعها عوفي تحت تصرفنا هي ايضاً معلومات غير مكتملة، ولا تفي بكل الغرض المطلوب، خاصة ما يتعلق بالمعلومات التي تقرر عائديه نكت الوزراء اليه لانه اساساً يلزم الصمت تجاهها.

تضم التراجم التي يوردها عوفي في لباب الالباب ترجمة مختصرة لاحد الجاجريين خالية من تاريخ الولادة والوفاة والمعلومات الضرورية الاخرى للمنترجم له بأسم : ((الصدر الامام الاجل افتخار الملك فريد الدولة والدين الجاجري رحمه الله)), والذي يصفه بأنه : ((كان درة فريدة، عديم النظير في فضله وسمعته، درس معه في بخارى و تكونت لدى (عوفي) معه علاقة ودية ، واخذت من اقواله وارائه وانه اثناء مجئه لباميان لاقى حسداً ومعارضة من صدورها لعلو رفعته وغيرتهم منه، وله شعر سلس يتميز باللطفة ودقة التعبير وخفة الروح والذوق⁽²⁾ ، واورد فما ذاج منها بالفارسية. وفي ترجمة لا تمت صلة بالاولى تخص ادارياً غوريأً كبيراً بأسم فريد الكافی⁽³⁾ ، صاحب دیوان الاستیفاء،

(1) الذي كان معاصرأً للجاجري واحد معارفه، انظر عوفي، لباب الالباب، م، 1، ص 222. ولباب الالباب وفره لنا مشكوراً زميلنا الاستاذ الدكتور كمال مظہر احمد، من قسم التاريخ بكلية الاداب، جامعة بغداد.

(2) عوفي، لباب الالباب، م، 1، ص 223-225.

(3) الصدر الاجل شرف الدولة والدين سید الكتاب، فريد الزمان احمد بن محمد ایزدیار الكافی، المعروف بفريد الكافی ؛ مشهور بمکاتباته مع دولة الخلافة زمن الناصر لدين الله، انظر عوفي، لباب الالباب، م، ص 120-135؛ عوفي، جوامع الحکایات، م، 1، ص ثانزدة.

الذى كان قد عزل منه بعد مدة، والتي اوحت المناسبة بالكافى، على ما يضيف عوفى، الى ان يرسل له كتاباً بالخصوص مع عدد من الابيات الشعرية التي كان قد عبر بها عن مدى تقديره الشخصى لسيرة الجاجرمي ورقى مهنته واخلاقه، ويحثه على العمل في مجال الادب لاجل استغلال مواهبه في البديع⁽¹⁾. ويعلق عوفى على هذه العلاقة بأنه كان بين الجاجرمي الصدر الاجل جمال الدين افضل العصر (اعنى افتخار الملك) وبين فريد الكافى مكاتبات ومشاعرات من ذلك الذى ارسله في مناسبة عزله.

واذا ما سلمنا بهذه المعلومات التي اوردها عوفى عن الجاجرمي الانف الذكر، كان لابد قبل القفز الى اية نتائج انية، ان نستوضح فيما اذا كان هذا المستوفي الذي يحمل اسم جمال الدين افتخار الملك هو الجاجرمي نفسه الذي يرد على صفحة نكت الوزراء باسم ابي المعالى المؤيد بن محمد الجاجرمي ؟ الجواب في التحليل الاولى هو انهما ليسا كذلك، لعدم وجود قرائن مشتركة في الاسمين سوى ما يرد في مفتح التسمية الصدر الاجل الكبير والتي تتكرر في ترجمات اخرى مماثلة من عوفى للمترجم لهم، وفي التشابه بصفة افضل العصر لديهما. لكن هذه المعلومات اينما وجدت في الترجمة الخاصة به، او من خلال التعليقات في ترجمة الكافى لا يرد فيها ذكر لنكت الوزراء، اصل الكتاب موضوع التحقيق⁽²⁾.

ومع ذلك فأن الاسمين افتخار الملك، وبا المعالى المؤيد في التحليل النهائي لابد ان يكونا شخصاً واحداً، هو ذاته الذي يظهر على صفحة غلاف الكتاب (المخطوطة). وما يسبب القناعة الشخصية هذه يوفرها موضوع اللغز المحير نفسه، مع ان الوصول الى هذا النوع من الترجيح ليس شيئاً سهلاً ما لم يكن المؤرخ قد وضع يده شخصياً على سر تلك العقدة. اما ما هو هذا الجواب الذي يتقدم به المصنف من دون ان يأخذ بسره ذهن الباحث فهي تلك الكلمات الافتتاحية من نكت الوزراء التي ضمن بها اسم الجاجرمي بالمعنى والكلمات الضمنية المعبرة التي تقول : ((الحمد لله الذي خلق الانسان من صلصال كالفخار، وايده بروح سحبت على الملائكة ذيل الفخار، وجعله ونبيه خلفاء الارض وملکهم ازمه البسط والنقض، ومكنته من اعنة الرفع والخفض))⁽³⁾. فهذا

(1) عوفى، بباب الالباب، م، 1، ص121.

(2) المتصدر ذاته، م، 1، ص121.

(3) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص17.

التضمين لنعوت متمثلة بالفخار، والتأييد، والفخار والملائكة ما هي الا مفردات لالقاب مما يقف بشخص افتخار الملك المؤيد⁽¹⁾، وحينئذ يسمح بأن نرجح ان جمال الدين افتخار الملك هو نفسه ابا المعالي المؤيد بن محمد الجاجرمي، الذي هو (افضل العصر)، فارس مضمار المجتهدين (واستاذ الدنيا)⁽²⁾.

وفي ضوء هذه الاشارات يستدل ان الاسم الكامل للمؤلف هو جمال الملك ابا المعالي المؤيد بن محمد الجاجرمي. احدى شخصيات العلماء المعروفة في باميان، من طبقة الصدور-الادارتين، بمرتبة مستوفي السلطنة الغورية، مسؤولاً عن إدارة اموال وواردات السلطنة وبخدمة حاكمها السلطان غياث الدين محمد الغوري، لكنه كان محاطاً باعدهاء كثريين من اعضائها، كما انه صدرُ ذو قدرات كبيرة في ميدان الادب، وله اهتمام خاص بهذا اللون من فروع اللغة. ويبدو انه في البداية كان من اتباع الامام الشافعي الكبير فخر الدين الرازى (ت606هـ/1209م) والذي مدحه بقصيدة يوردها عوفي ضمن ترجمته للجاجرمي⁽³⁾، لكنه لا يبدو انه كان من اتباع المذهب الشافعي، بل حنفي المعتقد، لعدم وجود سجل له بين رجال الشافعية، ولأن المذهب الحنفي كان شائعاً إلى حد كبير بين الغزوينيين والغوريين، مع ان مؤلفي طبقات الحنفية، كلُّ من الجواهر المضيئة، والفوائد البهية لابن اي الوفاء والكتأوى وتأج التراجم لابن قطلوبغا لا يشيرون اليه ضمن اتباع مذهبهم.

في هذا المحتوى الكرنوولوجي نوعاً ما، يكون ما تعلمناه عن الجاجرمي لحد الان هو انه هذا الذي يعرف ابا المعالي الجاجرمي ما هو الا شخص من اهل جاجرم، احدى مدن خراسان من جهة جوين، وانه قضى عهد الصبا في العاصمة الغزنوية غزنة، حيث تابع تعلميه هناك، واغرم بالشخصيات الادارية الغزنوية حدّاً سيشكل جزءاً هاماً من اهتمامات نكت الوزراء فيما بعد، وربما خدم في احدى اداراتها رديحاً من الزمن قبل ان ينتقل في فترة متقدمة من حياته الى بخارى، حيث اكمل تعليميه هناك ضمن حلقات الادب الخاصة بالصدور، وحيث تعرف عليه هنا سعيد الدين عوفي، احدى الشخصيات العاملة في الادارة

(1) عوفي، لباب الالباب، م، ص121؛ ايضاً الجاجرمي، نكت الوزراء، ص17.

(2) نكت الوزراء، ص17.

(3) لباب الالباب، م، ص ص 223-225.

المحلية بخاري⁽¹⁾. وملزلة واهمية الدولة الغورية في هذا الوقت، انسحب الجاجرمي في تاريخ غير محدد من هناك إلى باميان في الجانب الثاني من النهر ليحصل على عمل مهم في ديوان الاستيفاء لمدة غير محددة كمستوفي للسلطنة عند الغوريين. إذ كانت باميان مقراً لأحد فروع الغور الحاكمة، وظل يشغل الاستيفاء مدة إلى أن تمكن مناؤيه من الصدور من تأليب السلطان عليه، فعزل من الاستيفاء على ما يبدو. وكان آخر العهد بأعماله الإدارية في الديوان، ليتفرغ للتأليف والتدريس في العربية والادب من أجل أخذ التعليقة عليه، وربما زار في هذه الفترة لاهور ودلهي. وكانت مؤهلاته وقدراته الفكرية تساعده على التصدي إلى التأليف، إذ كان من الصدور، الذين يجيدون الكلام والتعبير باللغتين العربية والفارسية ومن الشهير في اتقان البديع ونظم الشعر. فجمع ما يشكل مسموعاته ليكون منها المسودات التي اعتمدت عليها النسخة النهاية لنكت الوزراء وكانت وفاته قبل 1220/617 تاريخ الموجة المغولية الكبرى على التركستان وخراسان، اذا ان عوبي يشير إليه (برحمة الله عليه) ولأن عوبي كان قد انتهى من تأليف كتابه المعروف بباب الالباب في 1221/618 لكن الجاجرمي في كل الاحوال لم يصل إلى مرتبة الوزارة في محاولاته ارتقاء درجات السلم الإداري، اذ لا يوجد ما يشير بين القابه التي تسبق اسمه ما يدل على ذلك، بل ترك منامدات الدرakah، واقبل على التقاعد بعد سن طويل متقدم. ويظهر ان الجاجرمي كان احد اعلام الشريعة لما كان يتمتع به من مكانة دينية مرموقة يستدل عليها من القابه (العلامة مجذ الحق والدين، محرز ممالك الفضل، محبي علوم العقل والنقل)⁽²⁾. فهذا ما يتعلق بالبحث عن هويته بقدر ما تسمح له معلوماتنا المحددة عن الكتاب.

محتوى نكت الوزراء

قبل البدء بوصف نكت الوزراء واهم محتوياته لابد من ان نقدم في البداية، تعريفاً له، اذا ما اردنا التقدم في مجال تقديم اهميته وقيمتها التاريخية، فنكت

(1) الم المصدر ذاته، م، 1، ص222.

(2) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص17.

الوزراء في التعريف الاولى هو كتاب ادبي تاريخي يدور حول مواقف الوزراء الذكية اثناء توليهم المسؤولية بدولة الخلافة، او دولة الامارة والسلطنة، بحيث يعالج من خلالها موقف احد الوزراء من مسألة ما يعكس ذكرها الدرس وحسن التدبير بأروع الكلام نثراً او شعراً. من هذه الوجهة هو موضوع يعبر عن حالات من المواقف المحرجة التي حصل ان واجهها الوزير مع سيده الاعلى الخليفة، وما يماثله في الحكم، او قرينه، لها علاقة بحادثة ذات خصائص نادرة خرج الوزير منها منتصراً، يوردها بأسلوب بلاغي رائق، واقوال منتقات تعود الى وزراء الاسلام الاوائل والواخر⁽¹⁾. اما ما هي مادة هذه المواقف فيحددها الجاجرمي بأنها تضم ما جمعه من : (البدائع والطرف، والروائع والنتف، والعيون والغرر، والنواود والفقر من كلام الرؤساء والصدور، الذين تزيينت بهم دستور الوزارة وانتظم بتدابيرهم الصائبة عقود الامارة، واحتوى من قلائد كلامهم وفرائد نظامهم على ما هو درة التاج وطراز الديباج⁽²⁾.

وطبقاً لهذه الشهادة الشخصية من الجاجرمي، فأن مادة تراجم الكتاب، هي ما تتكون من نماذج نثرية وكلامية ملائمة من الوزراء تجمع فيها البدائع والطرف والروائع والنتف وما اشبه من نكت الوزراء بكلامهم وتوقيعاتهم، وطرفأً من محاسن احوالهم، الا ان هذا لا يعني ان الجاجرمي قد استعمل في كل ترجمةٍ من تراجمه مثل تلك الاصناف جميعها، وإنما جاء احياناً على شكل بدائع، واحياناً بصفة روائع، او عيوناً وغرر، وهكذا، فمثلاً في ترجمة الفضل بن سهل (ت 818/202) يورد ثلاثة الوان هي: (1) طرف من محاسن حاله، (2) بدائع كلمه، (3) ونماذج من توقيعه⁽³⁾، وفي ترجمة ابو الحسن ابن الفرات يورد لطائف كلامه وملع منها، وفي ترجمته لشمس الكفاءة ابو الحسن الميمendi (ت 424/1033)، ينتهي بدائع من كلامه⁽⁴⁾.

(1) يمثل النكت موضوعاً من اكثر من حقل، وهناك عناوين تضم نكت النحوين والفقهاء وحالات اخرى يضمنها بركلمن في طبعة سوزكين الحديثة، انظر فهارس الكتاب بمجملاته المختلفة.

(2) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص 17.

(3) المصدر ذاته، ص 27، 39، 42-39، 54.

(4) كذلك، ص 73، 75، 124. وللوزير احمد بن عبد الصمد من الغزنوية يورد نموذجاً من كلامه، وبالنسبة لآخرين يكون المنتقى للامثلة اما ((من غرر نظمه)) او ((من نثر المستعبد)) او ((من بدائع نظمه)) وهكذا، انظر المصدر ذاته، ص 146-148، 149، 153-149، 161، 165، 185، 188.

غير ان الحقيقة تبقى ان هذه المعايير التي يتستخدمها الجاجرمي لانتقاء مواد الامثلة الخاصة بنماذج المترجم لهم تشمل فقط نسبة محدودة من الوزراء لأن الجاجرمي في معظم ترجمته لا ينبعه اصلاً الى نوع المادة التي يقتبسها في مدخل الفقرة الواحدة، بل يترك نماذجه النثرية والكلامية تتكلم لوحدها، دون تخصيص نوع المقتبس لها.

مخطوططة نكت الوزراء :

ان نكت الوزراء، هي بدون شك، من تصنيف ابا المعالي المؤيد بن محمد الجاجرمي، كما يدل على ذلك وجود كثير من الاشارات في ثنايا المخطوطة تبين ان الجاجرمي هو الذي قام شخصياً بتصنيف الكتاب، كالوصف الذي يعرضه الجاجرمي في الديباجة عن دوره في هذا العمل، من ان نكت الوزراء (كتاب جمعت فيه البدائع والظرف.. لوزراء الاسلام) او قوله عند انجاز الكتاب : (وما انتهينا الى هذا المقام (أي الى آخر ترافق النكت)، تم الكتاب، وحصل المرام، وانتظم في هذا الاجزاء كلام مائة من الوزراء، والحمد لله على كل حال⁽¹⁾).

ورغم الاشارات المباشرة الى شخصية المؤلف نفسه، توجد اقوال في النسخة التي اعتمد عليها التحقيق، تدلل على ان هناك شخصية اخرى، لم يثبت اسمها قام بدور ما في تحرير الكتاب، او جوانب منه لأن الديباجة تنص صراحةً على ان الجاجرمي اثناء تحرير مخطوططة النكت كان قد توفاه الله، والتي تبدأ بعبارة : (قال الصدر الاجل الكبير افاض الله عليه سجال الرحمة والغفران) وهذا المحرر هو شخص اخر لم يرد ذكره في مخطوططة التحقيق، ولا دون اسمه عليها، بعد الفراغ من كتابتها، ولذلك فأنا لا ندري فيما اذا كنا نتعامل مع النسخة الاصلية التي منها اجاز الجاجرمي سماع الكتاب على طلبه، ام انها نسخة متأخرة حررها احد الكتاب بعد وفاة المؤلف⁽²⁾، مع ان عائدية نكت الوزراء والكلام الذي تحتويه هو للجاجرمي دون غيره.

(1) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص.219.

(2) الم المصدر ذاته، ص17، ونوثق ان تاريخ نسخ المخطوطة هو سنة 877هـ ولكن لم يذكر اسم الناسخ، انظر نبيلة عبد المنعم داود، مقدمة نكت الوزراء، ص6، التي لم تعر اهتماماً بالمسألة.

متى انجز الجاجرمي نكت الوزراء ؟

تماماً كما نجهل سيرة الجاجرمي وخليفته، كذلك يكتنف الغموض كل شيء يتعلق بوقت شروع وانجازه نكت الوزراء. ونجهل أيضاً فيما اذا كان قد شرع في التأليف اثناء وجوده في الوظيفة، او بعد احالته على التقاعد وتركه منصب الاستيفاء. واكثر ما يوجد من دليل، في ضوء معلوماتنا الحالية نجده في ترجمة الوزير الغزنوی ابو طاهر احمد ما يشير الى ان الجاجرمي كان قد شرع في تطوير مصنفه قبل نهاية حكم الغزنويين في 598هـ/1202م، لأن فيها اشارة ما يدل على ان حكمهم لم يكن قد انتهى بعد، كما يظهر من قوله غزنه اجلها الله⁽¹⁾. وقد يكون هذا التعظيم والاجلال لغزنه مرده الى ما كانت تتمتع به هذه المدينة من مكانة تاريخية وحضارية، وليس بسبب الجهة التي كانت تحكم فيها، من الغزنويين اولاً والغوريين ثانياً. كما ان هذا لا يبدو متفقاً مع وقت تقاعده وانصرافه للتأليف والتدريس، الذي حصل في وقت ما من عزله عن الوظيفة، على الارجح بعد هذا التاريخ كثيراً⁽²⁾.

كذلك لا نجد من جانب الجاجرمي او محررها ما يدل على وقت الانتهاء من تأليف الكتاب. فقط يعلن الجاجرمي تحقق الانجاز بقوله : ولما انتهينا الى هذا المقام (وهو نهاية لترجمة غير معنونة لوزير ما من وراء النهر)⁽³⁾ ، تم الكتاب وحصل المرام وانتظم كلام مائة من الوزراء والحمد لله على كل حال)⁽⁴⁾ ، والتي لا تدل على شيئاً من ناحية تحديد الزمن الذي انتهى فيه الجاجرمي من تصنيف نكت الوزراء. ومما يزيد من تعقيد هذه المسألة ان التراجم الاخيرة من نماذج الجاجرمي المترجم لهم، جاءت مبتورة وناقصة وليس فيها من المحتوى شيء سوى اسم المترجم لهم، واحياناً بلا اسم ايضاً: فالترجمتين الاخيرتين وهما لوزير⁽⁵⁾ مجهول من الغزنويين استوزره تاج الدولة خسرو - ملك⁽⁶⁾ ،

(1) كذلك، ص 196.

(2) سدد الدين عوفي، بباب الالباب، م، ص 121.

(3) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص ص 218-219.

(4) الم المصدر ذاته، ص 219.

(5) يلمح الجاجرمي بقوله : ((الا ان يدي لم ترد من كلام الشريف الا بيتين، انظر نكت الوزراء، ص 217)).

(6) تاج الدولة خسرو ملك بن خسرو شاه قضى سلطنته في لاهور من البنجاب، وقد احتفظ به في البداية في العاصمة الغورية فیروز-کوه سنة 583هـ ثم اصدر السلطان الغوري غیاث الدين بحقه فرماناً يقضي بحبسه في قلعة بلوان بخرستان، ثم اعدم في 598هـ/1202م لنشاطه المعادي للغوريين، وكذلك تم قتل ابنه بهرامشاه، الذي كان محبوساً في قلعة سيفرود بالغور، حيث ينتهي به حكم البيت الغزنوی الذي اقامه الامیر ناصر الدين سبکین باسم الغزنويين، انظر منهاج سراج جوزجانی، طبقات ناصري، تحقيق عبد الحي حبیبی، ط 2، ج 2، کابل : انجمن تاريخ افغانستان، 1963-1964، ج 1، ص ص 243-244 : ((ثم قتلہ در شهر سنه 598هـ))، اما المحقق فيذكر اعتماداً على زامبور سنة 587هـ كتاريخ لوفاة خسرو ملك، انظر الجاجرمي، نكت الوزراء، ص 217، 25.

السلطان الغزنوی الخامس عشر في قائمة السلاطين الغزنویین، وكذلك لوزیر اخر من وزراء السلطان الخوارزمی محمد بن تکش هو الخاقان الشهید، ففيهما ما يلمح الى ان الجاجرمی كان قد توقف عن التأليف في حدود سنة 596/1200م، وما بعدها، وان كان ذلك بأي حال من الاحوال لا يتعدى حدود السنوات المشارفة لنهاية القرن السادس الهجري، فيلاحظ ان الجاجرمی يستعمل تعبير (انار الله برهانه) بالنسبة لخسرو-ملك، مما يوضح ان وفاة هذا السلطان لم تكن قد حصلت بعد، اما في اشارته للخاقان الشهید الوزیر نظام الملك مسعود بن علي، الذي كان قد قتل في 596هـ فيستعمل عباره (رحمه الله)⁽¹⁾ وفيما يخص بقية الشخصيات وعددها ثلث⁽²⁾ التي ترد في الترجمتين، وهي شخصيات كبيرة من آل برهان، احدى العوائل الهامة في بخارى وتشغل اعمالاً ادارية متقدمة للخوارزميين، فكانت على قيد الحياة زمن التأليف. غير ان هذه الملاحظات الداخلية لا تحل مشكلة متى انتهى الجاجرمی من تأليف نکت الوزراء، ويبقى البحث عن دلائل كرونولوجية هو الاساس في اية محاولة تستهدف متابعة المسألة بنوع من اليقين.

ماذا صنف الجاجرمی نکت الوزراء ؟

لا تظهر الدبياجة التي يتحدث فيها الجاجرمی عن الخلفية التي دفعته الى تأليف هذا اللون من کتب الوزراء فلا يوجد ما يدلل الى انه قام بتأليفه بناء على طلب شخصی من سیده السلطان الغوری غیاث الدين، لأن المقدمة القصيرة التي كتبها لا تشير الى أي تکلیف شخصی تقدمت به جهة عليا له⁽³⁾، كما لا يرد فيها اسم السلطان الغوری اطلاقاً، او اسم الوزیر فرید الدين الكافی، الذي كان

(1) نکت الوزراء، ص 218؛ ابن الاثیر، الكامل في التاريخ، م 12، ص 158.

(2) كل من الملك العزيز قطب الدين ابی يعقوب يوسف بن علي، والصدر الحمید برهان الدين محمد بن مارة، وصدر العالم سیف الدين عمر بن محمد بن عمر. وهذه الشخصيات الادارية اهملت من قبل المحقق، لكنها مذکورة في ملاحظات میرزا محمد قزوینی المرفقة مع عوی في لباب الالباب، م 1، ص 336-332. اما کلمة مارة من اسم الصدر الحمید، نکت الوزراء، ص 218، فتقراً مازة، وصدر العالم براد به صدر -جهان، احد رؤساء بخاری المهمین قبل الغزو المغولي للترکستان، انظر بارتولد، تركستان حتى الغزو المغولي، ص ص 326-342 (بالانگلیزیة) ان وانظر ايضاً مقالة آل برهان في EI.1، م 1، ص ص 797-798.

(3) كما نجد في تکلیف السلطان ملك - شاه (ت 485هـ/1092م) ثلاثة من رجال ادارته فاز بها الوزیر الشهیر نظام امیرک بكتابه سیر الملوك، او سیاستہ نامہ، انظر نظام امیرک، سیاستہ نامہ، تحقیق هیوبرت دارک (طهران : بنک ملي، 1962)، ص ص 3-4.

يشتغل تحت امرته. ولا يبدو انه شرع بتأليفها من اجل اهدائها الى السلطان كذلك، حتى ينال رضاه وعطفه عليه، كما تجري عادة كثير من الكتاب من اجل الاحتفاظ بعمله الاداري الذي يشغلة في الدركان، او الديوان، او يرتفقى الى درجة اعلى في الوظيفة بالترشيح لمنصب الوزارة، مع ان الواقع التاريخي هو انه وجد نفسه مغضوباً عليه في نهاية حياته مع الغوريين، وفيما عدا ذلك، يبدو من التلميذات الظاهرة في متن المقدمة حول مهنة المؤلف التي ينتسب اليها ضمن طبقة الصدور الاداريين. ان باعث الجاجرمي على التأليف كان امراً شخصياً اكثراً مما تبرره مسائل المهمات الرسمية، او حالة الرغبة في نيل الحظوظ عند سيده لاعلى⁽¹⁾، ويدور حول شعوره بأن هذا اللون من التأليف لم يكن قد تصدى له من قبل نفرٌ من رؤساء الكتاب والادارة بخراسان، بصفة مستقلة، وانه اراد بالمؤهلات التي توفر لديه، ان يقوم بملء هذا الفراغ في الحقل الذي يستهوي اهتمامه شخصياً، فجاء مشروع تأليف نكت الوزراء ليؤدي هذه المهمة. كما ان من المحتمل ان يكون الجاجرمي قد قام بهذا العمل من اجل ان يوفر للمبتدئين من الكتاب نصاً ادبياً-تاريخياً يدرسونه لاخذ التعليقة عليه من خلال مهمة التدريس التي تفرغ لها بعد تقاعده عن وظيفة الاستيفاء، كما كان قد حصل من قبل لاي بكر الصولي⁽²⁾ ، في ادب الكاتب، لمكانة الادارية الكبيرة التي كان يتمتع بها في الادارة الغورية بباميان، والتي تعززه تلك الالقاب الكبيرة التي تسبق اسمه مباشرة ، وهي (الصدر الاجل الكبير) وفارس مضمار المجتهدين واستاذ الدنيا) ،

(1) كنت اود ان احظى برأي المحقق لهذه المسألة الهامة، ولكن لا يبدو انها تثير اهتمامها الشخصي، لأن المقدمة التي عرفت بها الكتاب القارئ جاءت خالية من اعتبار لها.

(2) ابو بكر الصولي، محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس (ت 335/946) يشتهر بشخصيته كأديب ومؤرخ ونديم للخلفاء وارخ لدولة الخلافة، له مجموعة من المصنفات كان الجاجرمي قد اطلع على قسم منها، وهي كل من كتاب الوزراء الذي يضم وزراء بنو العباس بين حكم ابو العباس السفاح وال الخليفة المقتدر، وقد اطلع عليه الجاجرمي في نكت الوزراء، ص 76-89: ثم مناقب الوزير ابن الفرات، وربما كان هذا جزءاً من ترجمته المخصصة لابن الفرات في الوزراء، لأن الصولي في تلك يحيى القارئ على كتاب الوزراء، وليس على مناقب الوزير ابن الفرات، كما يفترض في محتوى سياق الترجمة، والجاجرمي له اطلاع على ذلك ايضاً، ادب الكاتب، وهو كتاب كان الصولي قد صنفه في وقت ما من خلافة سيده الراضي، وخصصه لمعالجة ما يحتاجه الكاتب من اصول وقواعد تخص تحرير المکاتبات بين كتاب دولة الخلافة، الذي ضم، على صغر حجمه كل ما يحتاجه الكاتب العباسي وهناك كتب اخرى كالاوراق واخبار القرامطة وغيرها، انظر ابو بكر الصولي، ادب الكاتب، تحقيق الاثنري (القاهرة : المطبعة السلفية، 1341)، ص 163، ياقوت، معجم الادباء، تحقيق احمد فريد الرفاعي (بيروت : دار احياء التراث / د.ت)، ج 19، ص 109-111؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، 4، ص 351؛ ابن النديم، الفهرست (بيروت : دار المعرفة، 1978)، ص 215-216.

بحيث جاء شعوره حافزاً في تصنيف نكت الوزراء لوضعه تحت تصرف الكتاب جيلاً⁽¹⁾ بعد جيل.

ومن الواضح، انه كان تحت تصرف الجاججمي أدبيات كثيرة في تصانيف الكتاب على هيئة كلام للرؤساء والصدر من مستخدمي دولة الخلافة، او الدول التي تفرعت عنها، وانه اراد انتقاء : ((البدائع والطرف والروائع والنتف والعيون والغرر والنواود والفقر))⁽²⁾ بأن يعمل منها مصنفاً جديداً مخصصاً لهذه الانتقاءات ومن هنا جاءت تسميته بنكت الوزراء وليس شيئاً آخر.

والظاهر ان الجاججمي كان قد الف نكت الوزراء على العجالة، ولم تأخذ تكملته وقتاً طويلاً، فهو لم يكتب مقدمةً مستفيضة للكتاب، ولم يعمد الى توسيع نماذج مسودته، كما يفعل اصحاب كتب التراجم، بل انتقى مائة نموذج مصغر فقط⁽³⁾ من مجاميع كبيرة من وزراء الاسلام تولوا الوزارة داخل وخارج دولة الخلافة، الا ان التسمية هذه، بدون شك، لها علاقة وثيقة بما ي Arbor المؤلف وأهدافه، التي هي بالنسبة له محور اهتماماته الشخصية، كما يعكسه هذا الحقل الجديد من الوان كتب الوزارة، الذي ينوي وضع الاسس والقواعد الخاصة به، فما هو المراد بنكت الوزراء في ضوء التسمية غير المألوفة التي اطلقتها المؤلف عليه ودلائلها.

تعرف السيدة نبيلة عبد المنعم نكت الوزراء بأنه كتابٌ في ادب الوزراء والاهتمام بأشعارهم ونماذج من اقوالهم وتوقيعاتهم، او نكت الوزراء كما سماه⁽⁴⁾، فهي تقرن مفهوم النكت هذا بادب الوزراء⁽⁵⁾. غير اننا لا نعتقد ان مفهوم النكت هنا يتساوى مع ادب الوزراء، الا من جانب واحد منه، لجملة من الاسباب نحددها بما يلي : فمن جهة، ان النكت في اللغة تعني الكلام في مسألة ما بنوع من الحكمة والظرف احياناً⁽⁶⁾.. وعلى هذا فأن ما يقال بأنه نُكت للوزراء هو اساساً شيء محدد من الادب، بينما في معناه العام يدخل ضمن نفس الحقل

(1) نكت الوزراء، ص 17.

(2) المصدر ذاته، ص 17.

(3) كذلك، ص 219.

(4) ذاته، ص 13.

(5) كذلك، ص 5 : ((الذي تناول نكت الوزراء او ادب الوزراء)).

(6) انظر ابن منظور، لسان العرب، مادة نكت.

كثير من الادبيات الادارية للوزير، من التصرف والسلوك والجلوس، وغيرها، مما لم يفكك الجاجرمي بحشرها في مصنفه فاذا ما اردنا ان نتعدد بهذا المعنى فلا بد حينئذ ان يكون معناها محصوراً بتصرف ما لوزير، او صدر من صدور الوزارة في موقف من مواقف العمل عبر عنه الوزير المعنى ومثله في اطار ادي نقله احد الرواة من الحضور شعراً او نثراً، لتكون مادة احدى الوثائق الادارية، او ان يأخذ شكل قصة، وهكذا من جهة اخرى، ان ما اقتبس من كلام للجاجرمي بتسميات البدائع والطرف والروائع والنتف والعيون والغرر والنواود والفقر)، على ان هذا هو ادباً محظياً للوزراء، فهو ليس كذلك، لانها تمثل ما كان وقع له من كلام الوزراء وتوقعاتهم، وطرفأً من محاسن احوالهم بتلك التسميات من النماذج، فضلاً عن ان هذا (اعني ادب الوزراء)، هو ليس بحقل جديد لينوي الجاجرمي الكتابة فيه، لان الكتب التي تعالج ادب الوزراء كثيرة⁽¹⁾. لكن الاهم من ذلك في ان النكت هي ليست ادباً هو انه لو صح ذلك لكان الجاجرمي قد سمى كتابه بأدب الوزراء، وليس نكت، كما جاء علينا. وفي ضوء هذا، يكون الوزراء ما هو الا مصنف للجاجرمي عن مواقف وزراء الاسلام بصيغة ادبية يغلب عليها التعقل والطرف في مسائل لها علاقة بكلامهم وتوقعاتهم وموافقهم الذكية. وستتضح هذه المسألة اكثر عندما نعرض بعد برهة محتوى الكتاب.

ان نكت الوزراء هو حقل جديد من التأليف لم يسبق احد الجاجرمي اليه حسب معلوماتنا التاريخية المتواضعة على مستوى كتب الفهرسة للمؤلفين، والتراجم والوفيات، ومع ذلك فأن فكرة النكت كانت لا تبدو، على ما يظهر غير مألوفة بالنسبة للمؤلفين الاداريين او غريبة عنهم، فيوجد دليل قوي على ان الجاجرمي بعمله للنكت اراد ان يحذو حذو اداري- مشرقي آخر شهير سبق عصره بأكثر من قرن ونصف، وهو ابو نصر العتبى (427 او 1036/430 او 1041) كاتب رسائل السلطان محمود الغزنوى، والذي كان من بين تصانيفه المختلفة التي تأثر بها مصنف باسم لطائف الكتاب كان الجاجرمي قد اطلع عليه شخصياً واستعمله ضمن المصادر التي تشكل مادة تراجمته الرئيسية للوزراء الغزنوين⁽²⁾.

(1) مثلاً، ادب الكاتب للصولي، وادب الوزير للماوردي وغيرهما، مع ان حقل النكت بدأ قبل الجاجرمي، ثم توسع على يده شخصياً، انظر مقدمة المحقق في نكت الوزراء، ص.13.

(2) انظر ترجمة ابو نصر العتبى نفسه في نكت الوزراء، ص.182.

ان مخطوطه لطائف الكتاب لا يعرف ان تكون قد وصلت اليانا مباشرة، ولا تتوفر نماذج من نصوصها في ياقوت لعمل مقارنة، بين ترجمتها وتلك التي وصلت عن طريق النكت حتى نقرر مدى ما عول على محتوياتها الجاجرمي لتغطية نماذجه من الوزراء الغزيويين. وربما من غيرهم، لكن اللطائف في كل الاحوال هي اقرب ما يمكن ان تكون الى النكت في المفهوم، وفي الارجح انها تقف وراء الفكرة التي خرج بها الجاجرمي بنقل المسمى من لطائف الكتاب الى نكت الوزراء. وفي مثل هذه الاحوال، لابد ان يكون تصميم النكت قد تأثر باللطائف، الا ان هذه الملاحظات في حالة غياب مقارنة للنصوص بين اقوال وكلمات النكت واللطائف تبقى غير قطعية لغياب نص الاصل، مع ان ذلك لا ينفي ان يكون الجاجرمي قد اقتبس فكرة النكت من العتبى اساساً، لانه هو شخصياً يعترف ان كتابه يضم ما هو منتقى من بطون الصحف والدفاتر المشتمل على كلام الاولئ من وزراء الاسلام والاواخر، وبقدر ما يتعلق بمحاسنهم ونثاثهم، ثم اضاف اليها اسهاماته الشخصية من المسموعات والمعلومات الخاصة⁽¹⁾.

لماذا أله الجاجرمي نكت الوزراء بالعربية؟

كان المشرق اواخر القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي زمن تصدى الجاجرمي للكتابة قد شهد تبدل ملحوظ وانتقال بالنسبة لادبيات الادارة وخلفياتها. وكان هذا التبدل قد شمل الشعر والادب اولاً، ثم انتقل الى حقل الادارة، حيث اخذ كثير من كتاب الانشاء يدفعون بتصنيفاتهم في اللغة المحلية التي يستعملونها في ادارة التخاطب والمراسلات باستثناء ما كان يتم مع دولة الخلافة، حيث ظلت اللغة العربية هي لغة التخاطب المعول عليها في المراسلات ويرى المحقق ان تأليف الجاجرمي لنكت الوزراء بالعربية يدل على ان اللغة العربية كانت لا تزال لغة الثقافة والسيادة والادب في المشرق. وانه من خلال نكت الوزراء يمكن ان نلقي ضوءاً على وحدة الثقافة في الدولة العربية الاسلامية في المركز والاطراف⁽²⁾. مرة اخرى هذا الحكم على تأليف النكت

(1) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص17.

(2) نكت الوزراء، ص15 (المقدمة).

بالعربية واهميته فيه تسرع ولا يعكس واقع الحال للطبقة الادارية الحاكمة في المشرق.

بادئ ذي بدء ان المؤرخ لابد ان يثير سؤال مهم اساساً وهو انه لماذا يصنف احد الصدور الغوريين كالجاجرمي مصنفه بالعربية بالذات، رغم هذا التحول الادبي الذي بدا قوياً اندماجاً في المشرق، خاصة ان الجاجرمي هو شخصياً يجيد اللسانين وضليعاً فيهما ؟ انا لا اعتقد ان هذه الحالة في تفاصيلها تمثل حالة قياسية يمكن التعليم عليها والاخذ بالاستنتاجات الازمة لها:(1) لان الجاجرمي في مؤلفه لم يكن بإمكانه ان يكتب بلغة اخرى غير العربية، فالوزارة مؤسسة عباسية نشأت وتطورت عند العباسين، وكل ما يتعلق بأدبياتها محفوظ في مصادر مصنفه باللغة العربية. كما ان معظم الترجم التي يشملها هذا الوضع، كما اختارهما الجاجرمي، تتوفّر المعلومات عنها باللغة العربية ليس الا، الاكثر من ذلك، ان موضوع الكتاب كنكت تتعلق بتصريحات الوزراء والصدور في موقف من مواقف العمل يعبر عنه او مثيله في اطار ادي هو اساساً موضوع قائم على ادبيات اللغة العربية وامثالها. ولذلك فأن الجاجرمي لم يكن له من خيار امامه سوى ان يكتب باللغة العربية، فمن اين يأتي بمعلومات لتغطية وزراء عباسين او غيرهم ان كان قد ارتى التأليف في لغة بديلة، (2) ومع ذلك، فأن هذه الحالة الخاصة بالتأليف من جانب الاداريين في مسائل تخص شخصيات الوزارة هي حالة استثناء، لان التوجه كان قد استقر منذ زمن على التأليف في الجوانب الادارية باللغة التي يخاطب بها الصدور في الديوان والدرکاه، كعتبة الكتبة ملتجب الدين بدیع اتابک، صاحب دیوان الرسائل في ادارة السلطان سنجر، ومؤلفات رشید الدين الوطواط (ت 578/1183) ولباب الالباب لسید الدين عرفی، احد معاصري الجاجرمي ومصدر مهم لترجمته الفريدة، نعم كانت اللغة العربية هي لغة الدين الحنیف، والمعمول عليها في مسائل الصلاة والشرع ولاتزال. اما التوجه في الكتابة باللغات المحلية التاريخية في هذه الحالة، فقد نما منذ مدة وبتشجيع من سلاطین الدول القائمة هناك، من خوارزميين وغوريين وخانات التركستان وغيره، والاطراف قطعت شوطاً بعيداً في مجال الاستقلال بالادارة خاصة في اقاليم المشرق. وهذا التقسيم ينطبق على حالة اية تعليمات لا تأخذ بنظر الاعتبار التطور التاريخي للمسألة.

ان الترجم التي خصصها الجاجرمي لتغطية محتوى نكت الوزراء هي مائة ترجمة من الوزراء الذين حظوا بمنصب الوزارة، كما هو يصرح في النكت⁽¹⁾. لكن النسخة التي في متناول الباحثين لا تحوي الا على خمساً وتسعين ترجمة⁽²⁾. ولا يعرف فيما اذا كان هذا النقص ناجم عن اهمال شخصي من المؤلف مباشرة نتيجة لعدم التزام تام بفردات الخطة التي وضعها لتطوير متن النكت، ام ان ذلك تسبب نتيجة حذف نجم عن تصرف قام به شخص آخر غير المؤلف، كالمحرر مثلاً سبب سقوط هذه الترجم بعد إكمال الجاجرمي عمله، ولكن لماذا حدد المصنف ترجمته بهذا العدد حصرياً، في وقت هو على اطلاع تام بالعدد الهائل لوزراء الاسلام الذين شغلوا منصب الوزارة بين وقت قيامها ووقت الشروع في الكتابة تجاه نهاية منتصف العقد الاخير من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، مثلاً الدولة السلاجوقية وحدها كان لها من وزراء المركز فقط ثلاثون وزيرأً بين الفترة 429-582هـ لخص سيرتهم المؤرخ المعروف عباس اقبال في الوزارة خلال عهد سلاطين السلاجقة⁽³⁾. اما اذا ادخلنا وزراء بقية حكومة السلاجقة الذين امتد حكمهم الى سنة 1194/590هـ، وكذلك الوزراء المحليين بما يمتاز عددهم بالكثرة، فقد يشكلون وحدتهم عدد الجاجرمي في امثالته او يزيد، ناهيك عن العدد الكبير غير المحسوب لوزراء الدولة البويمية والسامانية والغزنوية، وفوق كل شيء العباسية⁽⁴⁾.

احد الاسباب المنهجية لهذه الظاهرة عند الجاجرمي هو ان المصنف كان قد صمم نكت الوزراء كتاب مختصر، كما يشير الى هذا الغرض من تأليفه صراحةً في الترجمة التي خصصها لوزير مؤيد الدولة البويمي، الصاحب بن عباد (ت 385/695هـ)، حين يعتذر عن بيان فضائله بسبب هذا الالتزام الصارم منه في

(1) نكت الوزراء، ص 219، وانظر ايضاً نبيلة عبد المنعم، مقدمة نكت الوزراء، ص 13.

(2) بما فيها الترجم الاربعة التي سقطت اسمائهم من النسخة، انظر مقدمة نكت الوزراء، ص 16. ومما تجدر الاشارة ان المحقق لا يلاحظ الاختلاف بين الرقم المثبت عند الجاجرمي والعدد الفعلي للتراث، واعتبر كأمر مسلم به.

(3) حيث يبدأ بعد الحميد الكاتب، انظر نكت الوزراء، ص 18-19، والرقم لا يشمل وزراء الولايات لمملكة حكم ما قبل السلطنة، انظر وزارات در عهد سلاطين سلاجقة، ترجمة احمد حلمي (الكويت : ذات السلسل، 1980)، ص 407.

(4) مثلاً دراسة دومنيك سورديل عن الوزارة العباسية بالفرنسية في مجلدين.

هذه المسألة. مع ان هناك دلائل تبين ان الجاجري لم يلتزم بهذا المعيار في ثنايا الترجم جميعها، لانه يخرج في ثلاث مناسبات⁽¹⁾ عن هذا التعهد، لكنه في كل لاحوال على قناعة بأن هذا العدد من الترجم امائة هو وحده الذي يتفق مع المعايير التي وضعها لاختيار مفردات النكت. وقد توجد اسباب اخرى غير واضحة، ولكن في كل الاحوال، ان حصر العدد من النماذج بمائة هو امر لا يخص الجاجري وحده اذ نجد الحالة لدن عوفي كذلك⁽²⁾.

وزع الجاجري ترجمته، كما ملح في مقدمة كتابه، على شخصيات متباعدة من وزراء الدولة الاسلامية، الاوائل والاواخر منهم، فلو زراء الدولة العباسية خصص اثنان واربعون ترجمة، هي في حقيقتها تشكل ما يقرب من نصف وحدات الكتاب عدداً: اربعة عشر منها لوزراء العصر العباسي الاول وحده، والبقية موزعة بين وزراء العصر العباسي الثاني وما تلاه، ومع ان الجاجري يرجع على ذكر نكت تمثل شخصيات منبني الفرات والجراح وبنو وهب وغيرهم، الا ان المؤلف يسمح باستعمال تعبير تسيء بالعباسيين، مثلاً يسمى شخص كال الخليفة القدير المنصور بالدوانيقي، مع انه يظهر تقديره للنسب العباسية⁽³⁾، وقد يكون هذا القول ممثلاً لرأي المصدر الذي يقتبس منه، كما يظهر ميلاً للبرامكة وبنو سهل ووزراء معروفون بميلتهم الشيعية، كأبن الفرات (ت 312هـ/924) وزير الخليفة المقتدر ثلاث مرات. وبالنسبة للدولة البوهيمية يخصص عشرة ماذج ويعتبر وزرائها نموذجاً رائعاً ل موضوع الكتاب، كذلك ييدي اعجاباً مماثلاً بالغرونيين من خلال الترجم السبعة النموذجية التي خصصها لوزرائهم، وهناك عشرة ترجم للسامانية واثنتا عشر ترجمة للسلاجقة، وتوجد ثلاث عشرة ترجمة متفرقة، وواحدة للأمويين بشخص عبد الحميد الكاتب.

في المقابل لا توجد بين ترجمته ذكر لبعض الوزراء الكبار في دولة الاسلام، فمثلاً يهمل ذكر الوزير الذائع الصيت نظام الملك، وزير السلاجقة خلال حكم السلطان الب-ارسلان وابنه ملك شاه، لاكثر من ثلاثين سنة في ادارة المركز

(1) نكت الوزراء، ص 109: ولا يتسع هذا المختصر لبيان فضائله وانظر مثلاً نكت الوزراء، ص ص 135-136، لكنه لم يوردها الا لحسن ديباجتها، مع ان ذلك يعد خروجاً على التزامه بنظامه الصارم.

(2) عوفي، جوامع الحكايات، م 1، ص 4.

(3) نكت الوزراء، ص 21، 149.

وحده، مع ان كتابه سياسة نامة كان قد حصل على جائزة افضل كتاب الف للسلطان من قبل ثلاثة من كبار رجال ادارة السلاجقة العظام⁽¹⁾. ويلاحظ ان كثير من هذه الترجم وهي ليست قليلة تحمل اسم الترجمة فقط، لانها لا تحوي على شيء يذكر اساساً، كما لا نجد اشارة الى نماذج من الدولة الايوية كالقاضي الفاضل (ت6596/199)، او من سابقتها الدولة الفاطمية، وغيرهما من الدول الفرعية، وحتى الغورية نفسها، التي انتسب اليها تجاه المرحلة الاخيرة من حياته واخيراً يلاحظ على محتوى الكتاب، ان الترجم فيه للوزراء لم ترتب على اساس الدول التابعين لها، وذلك بعمل مجتمع تخصص الدولة العباسية والبوهيمية والغزنوية وغيرها. ولا ايضاً على اساس حروف المعجم، كما يعمل في كتب الوفيات والترجم. كما لا يوجد أي ترتيب حولي لترجمته، لكن هذا لا يعني ابداً ان الجاجري لم يضع لصفاته تصميماً او تصوراً يسير عليه في تطوير الكتاب. فهو اولاً اعتبر ما يكون العالم الاسلامي دولة واحدة، هي الدولة الاسلامية وبموجبها افتتح ترجم الكتاب⁽²⁾، وفي ضمن هذا استعرض وزراء من العباسية، يتبعها وزراء البوهيم⁽³⁾. وهكذا من امراء السامانية⁽⁴⁾، ثم نماذج من وزراء الدولة الاسلامية، الذين زينوا دستور الوزارة من الاولى والاخيرة⁽⁵⁾، دون الالتزام باعتبارات كرونولوجية لمن شغل منهم المنصب اولاً فهو يضع نصب عينيه وزراء الدولة الاسلامية من الذين ارتفعوا منصب الوزارة بين وقت قيامها وزمن توقفه عن التأليف ثم انتقى منهم فقط تلك الشخصيات التي تتتوفر فيهم المواقف النموذجية التي تمثل موضوعه، وفي ضمن هذا التصور، كان لابد ان تبرز على قائمة ترجمته للعوائل تلك الاسماء الكلاسيكية الالامعة في تاريخ مؤسسة الوزارة، كشخصيات البرامكة، وبنو سهل، والفرات، وبنو الجراح، او على مستوى ترجمته للأفراد العباس بن الحسن من العباسيين، والصاحب بن عباد⁽⁶⁾،

(1) سياسة - نامة، صص 3-4.

(2) نكت الوزراء، ص18 (اول الترجم)، لكنه يذكر احد عمال الدولة الفاطمية، نكت الوزراء، ص131.

(3) نكت الوزراء، صص 20، 88، 94.

(4) الم المصدر ذاته، صص 86، 87، 88، 103، 122، 171، 172، 173-172، 174، 179، 181.

(5) كذلك، ص17.

(6) ذاته، ص109 : ((سبق المتقدمين بحسن اثاره، واعم المتأخرین عن ان يدركوا مثار غباره)).

وابن العميد⁽¹⁾ من وزراء البوهيين وشمس الكفاءة احمد بن الحسن الميمندي من الغزنوية، بينما يتعجب بشخصيات خدمت السلاجقة مثل مجير الدولة ابو الفتح الاردستاني⁽³⁾ وزير السلطان سنجر.

ت تكون الترجمة الواحدة في احسن احوالها من ثبت جنيلوجي باسم شخص الوزير وشهرته وعائلته وبعض التلميحات عن تدرجه الاداري من اجل التعريف بسيرته وابداء رأيه فيه ثم يورد اقوال بعض الرؤساء والصدور حوله، فإذا ما انتهى من ذلك للحالات الاعتيادية يوفر للقاريء بعدها اقتباسات من رسائل تمثل المترجم له، اما بصفة كتاب او توقيع⁽⁵⁾ وغيره ثم ينتهي بآياته اقتباسات من نظم المترجم له من ععظ ووصف ومدح حتى يعطى به نثراً المستعدب وغير نظمه⁽⁶⁾ ولما كان نكت الوزراء كتاب مختصر عن آثار الوزراء البلاغية نثراً ونظمأً فلا يتوقع ان يذكر الجاجرمي فيه عيون اخباره، ومحاسن المترجم له. مع ان تغطيته المثالية لسيرته، او خصوصيات عمله تعكس، بدون شك جوانب يفترض منه عدم الولوج فيها، وفي اسوء احوالها، يفتح الترجمة باسم الوزير اختصاراً، ثم يذكر من نظمه أي شيء يشتهر به، طبقاً للمعلومات والمسنونات التي كانت تتوفر تحت تصرفه عند زمن كتابة نكت الوزراء. كما ان هناك ترجمات تتراوح في مادتها بين نمط الحالة الاولى والأخيرة. ولكن كم من الترجمات التي ترد في حياثاته تعكس هذا التركيب الفعلي للمترجم له، فهي في حقيقة الحال ليست كثيرة، وهناك اربعة عشر ترجمة فقط تمثل النوع الاول، اربعة منها غزنوية، وسبعة بوهية، وترجمتان سلاجقة من ترجمات مختلطة متنوعة⁽⁷⁾. واخيراً واحدة

(1) ايضاً، ص 94 : ((عين المشرق وصدر وزراء آل بويه، من لا نظير له من العلم والدرية والكتابة)).

(2) نكت الوزراء، ص 124 : ((فطارت توقيعاته في الاقطان يستحسنها جميع الافضل والكبار)).

(3) المصدر ذاته، ص 205 : ((كان افضل وزراء عصره واكمل رؤساء دهره)).

(4) ولكن ليس تقليداً كما يفعل مصنفو الوفيات.

(5) نكت الوزراء، ص 78.

(6) المصدر ذاته، ص ص 110-117، وغيرها.

(7) كل من شمس الكنة احمد حسن الميمندي، وابو نصر محمد بن عبد الجبار العتبى، وابو القاسم عبد الحميد بن احمد بن عبد الصمد، والوزير اكفى الكفاءة احمد بن محمد بن عبد الصمد؛ وللبوهيين كل من الوزير ابن العميد والمهلبي، والصاحب بن عباد. وكذلك ابو القاسم الحسين المغربي، وابو القاسم عبد العزيز بن موسى، وابو العباس احمد، وابو سعد منصور بن الحسين الابي؛ وللسلاجقة كل من مجير الدولة ابو الفتح الاردستاني وصفي الملك الطغرائى، انظر الجاجرمي، نكت الوزراء، ص 99-128، صص 124-149، صص 146-148؛ صص 182-186؛ وانظر المصدر ذاته، صص 94-124، صص 103-100، صص 104-108، صص 109-121، صص 131-136، صص 160-163، صص 163-167، صص 170؛ وللسلاجقة انظر المصدر ذاته، صص 202-207، صص 210-215.

فقط من هذا الخط تمثل العباسين بشخص الوزير ابو الحسن علي بن عيسى الجراح⁽¹⁾، وزير الخليفة المقتدر، وفي مستوى ادنى من هذا هناك اربعة وعشرون ترجمة يذكر فيها اسماء من وزراء من العباسين من امثال ال برمك، وبنو سهل وابن الزيات، وبنو الفرات، وبنو وهب وغيرهم⁽²⁾.

اما في تراجم النمط الثاني فالكتاب يضم نسبة كبيرة منها، تقع بين حالة من الاختصار التام، او اقل من ذلك، فهناك اثنان وثلاثون ترجمة مختصرة جداً، واربعة وعشرون ترجمة هي اقل بذلك⁽³⁾ ، ولكن على العموم تكون هذه النماذج اكثراً من نصف التراجم التي يقدمها لنا في الكتاب.

ولا يوجد بين جميع هذه التراجم افضل من التراجم التي خصصها الجاجري لممثلي الادارة الغزنوية والبوهية من كتاب الانشاء والرسائل ولا يوجد اقرب بين هؤلاء الوزراء والصدور الى التصميم الذي وضعه المصنف للنكت منها. وهذه مسألة هامة في التحليل النهائي اذا ما بحثنا عن دلالة في هذه الارقام بالنسبة لأهمية الكتاب فكما سترى ان اهتمامات المصنف من زاوية هذا التخصص هي بالدرجة الاولى غزنوية ثم بوهية وبعض النماذج من السلجوقية اما وزراء العباسية فالبالغ من وجود نماذج كلاسيكية من بين تلك التي يوردها المصنف لنكت الوزراء العباسين كابن الجراح والبرامكة وبنو سهل والفرات الا ان اهتماماته لا تبدو عباسية.

تعكس التراجم من النوع الاول اراء صريحة في المترجم لهم، مع ان بعضًا من هذه الاراء الواردة تعكس اراء مصادره قبل أي شيء آخر، مثلًا، الفضل بن يحيى البرمي، يصفه الجاجري بأنه ((صدر جريدة البرامكة))⁽⁴⁾، قوله في وزير الخليفة الامين، الفضل بن الربيع : ((كان من اعلم الناس بخدمة الملوك ولطائف آدابهم))⁽⁵⁾، قوله في وزير المقتدر ابو الحسن ابن الفرات : ((بنو الفرات يضرب بهم المثل في البلاغة.. وابو الحسن اجهلهم نفساً وكرماً ووفاء))⁽⁶⁾، وبالنسبة

(1) الجاجري، نكت الوزراء، ص 70-79، وهو وزير معروف جداً بين وزراء العباسين، يتميز بنزاهته ودبلوماسيته الادارية والمالية، كتب عنه المستشرق الانكليزي الراحل هارولد باون دراسة موسعة بالانكليزية.

(2) انظر نكت الوزراء، ص 26، ص 31، ص 34، ص 39، ص 43، ص 55، ص 65، ص 67، ص 72، ص 74، ص 76، ص 90.

(3) وهي معظم ما تبقى من تراجم الكتاب، ولا يمكن حصرها.

(4) الجاجري، نكت الوزراء، ص 31.

(5) المتصدر ذاته، ص 36.

(6) نفسه، ص 72.

معاصر ابن الفرات ومنافسه الوزير علي بن عيسى يشهد به بالكلمات التالية : ((لا اعلم انه ولي العباسية وزير قط مثله في عقله وزهده وعفته وحفظه القرآن وعلمه لمعانيه واعربابه)).⁽¹⁾ الذي هو كلام ابو بكر الصولي كما يصرح بذلك شخصياً.⁽²⁾

ولغير العباسين، يقول عن الوزير البوهي الشهير ابن العميد : ((عين المشرق، وصدر وزراء آل بويء، ومن لا نظير له في العلم والدراءة والكتابة والكفاية واستكمال آداب الوزارة واستجماع ادوات الرئاسة⁽³⁾، وعن الصاحب بن عباد يقول : ((بكر الفلك وغرة الزمان، وتاريخ المعالي، وينبوع المساعي، وواسطة عقد الوزراء بالاطلاق، وصدر جريدة الرؤساء بالاجماع والاطباق))⁽⁴⁾، واخيراً عن الوزير الغزنوی عبد الحميد بن احمد بن عبد الصمد وصفه : ((الصدر الكبير الذي فات عن استقصاء البيان شاؤه، وفي الشرف والنسب يحوز اعلى الرتب لصلته بالنسب العاسي))⁽⁵⁾. وهو يخصه بمنزلة متميزة بين اهل الصنعة من الكتاب المحترفين لا يضاهيها وضع مشابه لاي من اقرانه من الوزراء الاوائل والاواخر، كما يظهر من مقوله شهيرة- يستشهد بها مفادها ان الكتابة : ((بدئت وختمت بعد الحميد))⁽⁶⁾ في تعليقه على منزلة عبد الحميد الكاتب وهذا الوزير الغزنوی بالنسبة لصنعة الكتابة، مع ان هذا لا يغير من اعجابه المطلق بالصاحب بن عبد الوزير البوهي السالف الذكر.

اسلوب الجاجري في نكت الوزراء

يلاحظ ان الجاجري يستعمل في عرض مادته كثيراً اسلوب الدعوات لل الوزراء المترجم لهم، مصحوباً بتعابير الثناء والحمد والاثابة وما يشابهها، ومع ان هذا في كتاب لا يعبء للتواريخ والحوادث والوفيات اساساً، يساعد على تحديد

(1) كذلك، ص100.

(2) كذلك، ص100.

(3) كذلك، ص94.

(4) كذلك، ص109.

(5) كذلك، ص149 : ((اذ هو غصن تفرع من الدوحة العباسية)).

(6) كذلك، ص149.

بعض التواریخ الہامۃ فيما یخص المترجم لهم، لكنه یخلق احياناً حالة من الارباك وعدم الوضوح في المعلومات المقدمة، الاکثر، انه اسلوب لا تعرفه المصنفات العربية، بل اختص به مؤلفو العجم من الكتاب في كتاباتهم باللغة العربية او الفارسية. فمعظم شخصيات المترجم لهم یشير اليها الجاجرمي بتعابیر دعائیة خاصة، عبارات من قبيل ((رحمه الله))^(۱) بصيغة المفرد، او ((رحمهم الله))^(۲) بصيغة الجمع، و((رحمها الله))^(۳). او ((تغمده الله برحمته))^(۴)، و((تغمده الله بمغفرته))^(۵). وهذه في طبعتها تمثل تعابیر شائعة لكن الجاجرمي في حالات اخرى یستعمل بدلاً تعابیر دعائیة خاصة كعبارات ((انار الله برهانه))^(۶) في التماس من الخالق جلت قدرته على ان یرفع من علو قدر المترجم له بهذه الدین. وبالنسبة للآتابة في الآخرة تعابير ((سقى الله ثراه))^(۷)، وبرد الله مضعه^(۸)، و((بیض الله غرتهم))^(۹) و((فاض الله عليه سجال الرحمة والغفران))^(۱۰)، و((اجلها الله))^(۱۱). لكن هناك حالات یعدم فيها الى تجنب استعمال هذه التعابير مع اشخاص المترجم لهم^(۱۲) وبدون شك ان توظيف مثل هذه التعابير مع الحقائق التي يوردها الجاجرمي هو اسلوب من شأنه ان یؤکد على مآثر وحصل المترجم لهم بصفة اللطائف. لكن هذا الاسلوب جميعه في حشر مسائل البسملة والثناء والشك وغيرها بالحقائق والمعلومات التاريخية هو وليس من تخریج الجاجرمي نفسه، بل كان شائعاً عند المعاصرین ومن سبقوه من كتاب العجم، مثلاً مؤرخ الغوریین ابو عمر منہاج الدین عثمان

- (1) الحالات الموجودة في نکت الوزراء، صص 18، 47، 52، 55، 58، 61، 62، 63، 68، 69، 70، 71، 74، 80، 85، 88، 89، 92، 124، 137، 141، 144، 146، 200.
- (2) نکت الوزراء، صص 21، 67، 76، 83، 93، 103، 145، 171، 172، 180، 182، 191، 196.
- (3) نکت الوزراء، ص 160.
- (4) نکت الوزراء، صص 94، 215.
- (5) نکت الوزراء، ص 22.
- (6) نکت الوزراء، ص 123.
- (7) نکت الوزراء، ص 131.
- (8) نکت الوزراء، صص 149، 205، 210، 218.
- (9) نکت الوزراء، صص 203، 208.
- (10) نکت الوزراء، ص 17.
- (11) نکت الوزراء، ص 198.
- (12) نکت الوزراء، صص 26-35.

بن سراج المعروف بالجوزجاني⁽¹⁾ (ت.النصف الثاني من القرن السابع الهجري)، صاحب كتاب طبقات ناصري لاحدى وعشرين طبة، كان معاصرًا متأخرًا للجاججمي، ويستعمل ضمن الترافق التي يسوقها نفس التعابير التي اقتبسها عن الجاججمي، حتى كأنك تشعر بأن الاثنين لا يمكن لهما أن يكونا كذلك، الا اذا كانا ينتميان لمدرسة تاريخية واحدة هي المدرسة التاريخية الغزنوية ((كتعبير في رحمة الله عليه)), بصيغ المفرد والمثنى والجمع، وعليه الرحمة والغفران)، وتغمده الله برحمته)، نجدتها في أماكن مختلفة من طبقات ناصري، كالتي وردت عند الاشارة إلى طبقات الملوك الخوارزميين والغوريين⁽²⁾، ومثل ذلك أيضًا ما يخص ((انار الله برهانه)) في عدة امثلة⁽³⁾، ونور الله مضجعه، او مرقده)⁽⁴⁾ والذي يلفت النظر أكثر في المقارنة هنا هو تطابق البسمة في المفتاح لكل من نكت الوزراء وطبقات الناصري. فمقدمة نكت الوزراء تنتهي بعبارة : ((والله اعلم بالصواب، واليه المرجع والمأاب))⁽⁵⁾. والعبارة ذاتها ترد في مقدمة طبقات الناصري نصاً، وقالباً⁽⁶⁾ ربما يؤكّد شيوع هذا الاسلوب بين الكتاب الغزنوين.

فهذه الحالة لمسائل البسمة والثناء والشكرا، وما إلى ذلك، تكشف فيها المقارنة عن وجود تشابه كلي بين الجاججمي والجوزجاني، اللذان ينتميان على ما يبدو إلى مدرسة واحدة، هي المدرسة الغزنوية، التي كانت تتخصص بمناطق غزنة والغور وفيروزكوه وباميان وما حولها، مع ما يفصل بينهما من فارق زمني يقرب من ثلاثة عقود، الجاججمي ككاتب معاصر من الصدور، والجوزجاني كمؤرخ معاصر متأخر عن المؤلف.

لكن الحقيقة تبقى ان هذا الاسلوب الانف الذكر، الذي يوظف تعابير الدعاء والثناء ضمن الوثائق التي تخص سيرة المترجم لهم هو ليس بجديد عند كتاب المشرق، ولم يكن حتى الجاججمي مسؤولاً عنه، اذ يرجع إلى اسهامات

(1) بوزورث، الغزنويون، صص 11-10 (الانكليزية)

(2) انظر طبقات الناصري، م، صص 29، 298، 299، 301، 302، 305، 308، 311، 313، 314، 314، 327، 327، 334، 335 .389، 388، 384، 367، 363، 362، 361، 359، 354، 353، 351، 343، 339، 338، 335

(3) الم المصدر ذاته، م، صص 302، 302، 318، 319، 326، 327، 337، 338، 339، 339

(4) الم مصدر ذاته، م، صص 322، 334، 338

(5) الجاججمي، نكت الوزراء، ص 17.

(6) الجوزجاني، طبقات الناصري، م، ص 13: ((والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمأاب)).

رجال كبار اهم من الجاجرمي كثيراً ينتمون الى المدرسة الادارية القائمة في خراسان، والتي تشكل احد عناصرها المدرسة الغزنوية. فهذه المدرسة قامت في بداياتها على اساس من توظيف اللغات المحلية وادبياتها في الادارة. بجانب اللغة العربية، ثم تطورت بشكل تدريجي خلال حكم الغزنوين والسلجوقيين من قبل الوزير السلجوقي نظام الملك⁽¹⁾، ومنتجب الدين بديع اتابك⁽²⁾. شبيه هلال الصابي في منزلته الكتابية عند العباسين، والذي وضع لداري زمانه عنبة الكتبة، ثبت فيه عمل التواقيع والرسائل بالاسلوب الانف الذكر، الذي تمتاز به المدرسة الخراسانية.

اما في محتوى الموضوع فيبقى اسلوب الجاجرمي القائم على الانتقاء مما تركه رؤساء الكتاب والصدور من كلام بمحتواه، شعراً ونثراً سوية هو الاسلوب المميز للمصنف، والاكثر تعديلاً لديه، مما يتتوفر على شكل وثائق مدونة.

أهمية الكتاب ومصادره

ظل مصنف نكت الوزراء مجهولاً بالنسبة لمؤلفي كتب الوزراء المتأخرین. لاننا لا نجد في مصادر الوزارة المتأخرة ما يدل على ان هذا المصنف يشكل احد مصادر المعلومات التاريخية عن الوزارة. وهذا بشكل دقيق حالة كل من نسائم الاسمار، للمنشي الكرماني واشار الوزراء لسيف الدين العقيلي، او دستور الوزراء لخواند-مير. كما لا نجد له اثراً عند ابن الفوطي في تلخيص معجم الاداب، او كما اسلفنا، عند حاجي خليفة، وبروكلمان وفؤاد سوزكين. وربما يمكن ان يكون الجاجرمي قد ابقى مصنفه مخطوططة لم تر النور بعد اخذها شكل المسودة، كما لم يعلق عليها، حسب علمنا، احد من مؤسيه او تلاميذه وييمكن ان يكون قد ترك نسخةً كاملة محدودة التوزيع، لكنها لم تشتهر لان اللغة التي كتبت بها نكت

(1) نظام الملك، سياسة، نامة، صن 3 : ((انار الله برهانه)) ص76، ص222: ((قدس الله سره))...الخ.

(2) مؤيد الملك منتجب الدين بديع اتابك، ينتمي لاحد بيوتات خراسان القديمة، لا يعرف تاريخ ولادته ووفاته، لكن من المعروف انه كان يعمل في ادارة (دار الملك) في مرو في 516هـ وانه كان قد كتب عنبة الكتبة قبل وفاة السلطان سنجر في 552هـ مع ان هناك من يدعى انه كان قد انجزها بعد وفاة سيده السلطان المذكور، وله مؤلفات غير عنبة الكتبة مثل (قيمة العلم) وعبرات الكتبة. وعنبة الكتبة موضوع دراسة موسعة منشورة للمستشرقة الانكليزية آن لامتون. عن سيرة منتجب الدين انظر مؤيد ثابتی، اسناد ص 89، 112.

الوزراء قد ساهمت في عدم ذيوع اخبارها بين مؤلفي كتب الوزراء بعد الجاجري، فقد اصبحت اللغة الفارسية، في اعقاب الموجة المغولية الكبرى في 617 هـ/1220 م هي اساس لغة التعامل في وحدات مؤسسة الوزارة والدواوين التابعة لها في بلاد المشرق، والتي تتم بين الديوان ودركاه السلطان. وبقى الاستثناء، الى ما قبل هذا الغزو بالنسبة للمراسلات مع دولة الخلافة، حيث ظل التراسل معمولاً به باللغة العربية تقديرأً لمكانة الدولة العباسية وشخص الخليفة العباسي. فاذا ما اخذنا هذا التحديد على اهمية الكتاب من حيث توفره واستخدامه من لدن مصنفي كتب الوزارة الذين جاءوا من بعد الجاجري، ومن حيث تحديد خصوصياته كحقل للكتابة، يمكن ان نثبت عن اهميته الملاحظات التالية:-

ان نكت الوزراء، اذا ما اخذنا محتواه ككل، فهو بمحض طبيعته كتاب ثقافي- ادبي يعالج مسائل تخص شؤون الوزير في احدى المناسبات الحاصلة، ويتبع طبقاً لذلك، ان كثيراً من مادته المحفوظة لا تعنى المؤرخ المتخصص في شؤون الادارة والنظم، لانها لا تزيد في احسن احوالها عن مادة شعرية، واقوال ادبية مؤثرة، مع ان مثل هذه المادة قد تكون مفيدة للمؤرخين-السوسيولوجيين، لكن يريد منهم ان يتبع ملامح من الوضع الاجتماعي والأخلاقي للطبقة الادارية المسئولة عن مؤسسة الوزارة، وفيما عدا ذلك، فان الكتاب من حيث عناصر مفرداته متخصص بأقوال الوزراء ونوع توقعاتهم، وهو من هذه الوجهة، يفيد في التعرف على الفروق الفردية والمهنية التي تعكسها نماذج الوزراء، كذلك في حالة توازن المعلومات لاغراض المقارنة، وفي تحديد منزلتهم الوظيفية والثقافية.

ان الترجم الموجودة في الكتاب هي ليست من نوع الوفيات، ولم يصممها الجاجري لكن تكون هكذا، مع انها قد تشارك مع الترجم الاولى في مدخل الترجمة الواحدة بصفة الاسم ولوازمه، وبالنسبة للبعض منها، في تحديد جانب من فضائل ومحاسن المترجم لهم، من وجهة النظر الوظيفية والادارية.

اعتمد الجاجري لتطوير مادة ترجم النكت على نوعين من المصادر:

- 1- مسموعاته الخاصة التي حصل عليها من خلال ارتباطه بالادارة الغزنوية والغورية ومن خلال تراكم خبراته الادارية والتعليمية.
- 2- المصادر الادارية والأدبية التي لها صلة مباشرة بعمل ((الكتاب والصدور)) والطبقة الادارية الحاكمة في الدولة العباسية وفي خراسان.

بالنسبة معلوماته الخاصة، يلاحظ ان الجاجرمي كان قد عول في الاساس على مجموعاته ومجموعاته المنتخبة، في قوله شخصياً: ((من بطون الصحف والدفاتر، المشتمل على كلام الاولئ من وزراء الاسلام والاواخر)), متنقياً ما يخص ((محاسنهم ونشرهم))⁽¹⁾ ليضمنها ثانيا الاجزاء التي تتكون منها نسخة نكت الوزراء، وتضم هذه الصحف والدفاتر وثائق وتوقيعات ورسائل لبعض الشخصيات الادارية الخراسانية الهامة، التي كانت تتوفر لديه اثناء تطويره مسودة النكت، خاصة ((تلك التي ترتبط بالادارات التي خدمت السلاطين الغزنويين، ومن قبل ملوك البوهين في الري، مثل المعلومات التي تغطي عمل الوزير الغزنوي ابن عبد الصمد⁽²⁾، وهو لا يسمى الا القليل من هؤلاء الرواة⁽³⁾، لكن واحداً منهم هو شخصية ادارية كبيرة من بلخ باسم ((الامير الامام العميد نصير الدين، ملك الكتاب ابو الفضل محمد بن الحسين الارديستاني البلاخي⁽⁴⁾، الذي لا نعرف عنه بشيء في وضع معلوماتنا الحالية سوى ما اشار اليه الجاجرمي ضمناً من ان الارديستاني هذا من اختصاصه ((ملك الكتاب)) وانه، لذلك، لا بد ان يكون قد تأثر به شخصياً في توجيهه نحو التأليف في حقل يحظى فيه بمثل هذه المنزلة وضمن هذا المحتوى، يضيف الجاجرمي اليها الاراء التي يبديها والتعليقات التي يقدم بها عند سياق بعض الامثلة الخاصة بالمتجم له، والتي تكون في طبيعتها الاساس لاسهامات الجاجرمي الشخصية.

اما ما يخص المصادر⁽⁵⁾ التي عول عليها لتغطية تراجمه بالمعلومات الازمة، فهي تكون اما من المصادر الكلاسيكية لطبقة الكتاب التي تركها كتاب مشهورون كأبي بكر الصوالي في ادب الكاتب. او اخبار الوزراء، وابو الحسن بن الفرات⁽⁶⁾، او في الاعتماد على محتويات بعض التواريخ المحلية الهامة، ذات

(1) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص 17.

(2) المصدر ذاته، صص 149، 196.

(3) مثلاً الراوي محمد بن العلامة المشرزي، (السجزي) والشيخ ابو الربيع سليمان بن الفياض الاسكندراني، انظر نكت الوزراء، صص 90، 130، ولا يعرف عنهم كثيراً.

(4) الجاجرمي، نكت الوزراء، ص 22 (بهمل المحقق الاشارة اليه).

(5) هذا البحث ليس عمل تحقيق، وإنما تعريف بسيرة وكتاب قام المحقق بتحقيقه ولذلك لم تأخذ مسألة المصادر مكان الصدارة في مفردات البحث.

(6) نكت الوزراء، صص 72، 74، 76، 80، 89، 90 وعن اخبار الوزير ابي الحسن بن الفرات انظر هلال الصافي، الوزراء، تحقيق عبد الستار احمد فراج، (القاهرة : عيسى البابي الحلبي، 1958)، صص 228-

الصلة بالدول التي قامت في المشرق. فالاولى عول عليها، ضمن مدخلاته لتغطية تراث الوزراء العباسيين الاولى بين وقت قيام الوزارة وعصرها الذهبي خلال خلافة المقطر، حيث استعملها كما يبدو مباشرة⁽¹⁾ والآخر ذات صلة بالغزنوين والبوهين والسلاجقة وغيرهم حيث ميزت عهود حكامهم بظهور وزراء وصدر كبار اكفاء، كأبي نصر مشكان، الاداري المحنك، وكاتب الرسائل الشهير لدن السلطان محمود وابنه مسعود الغزنوين، مثلًا مؤلفات ابو نصر العتبى (ت427هـ او 431هـ)، كل من التاريخ اليمني، تاريخ السلطان محمود الغزنوى، كما يدل على ذلك لقب السلطان يمين الدولة وناصر املة⁽²⁾ وكتابه عن الكتاب، لطائف الكتاب، وشذور النصر في كلام اي نصر⁽³⁾ ومنها ايضاً التاريخ الناصري مؤلفه ابو الفضل البيهقي (ت1077/470هـ) والذي يعرف قسمًا منه بالتاريخ المسعودي تيمناً باسم سيده السلطان مسعود⁽⁴⁾.

وبالاضافة الى العتبى اعتمد الجاجرمي على مصنفات ابي منصور الشعابى (ت1038/429هـ) الكثيرة بشكل خاص يتيمة الدهر⁽⁵⁾، مصدره الرئيس لاقواله وامثلته النثيرة، وبدرجات اقل تتيمة اليتمة⁽⁶⁾، وبعض من مصنفات الشعابى الاصرى كثمار القلوب، وكتاب فضل من اسمه الفضل، وربما لطائف المعارف⁽⁷⁾. اما لماذا هذا الاعتماد الكبير على ممؤلفات الشعابى لتغطية موضوع مثل نكت الوزراء فهو بدون شك، له صلة بالحقل الذي يقوم بتغطيته، والذي يجد في

(1) وعلى مصادر غير مباشرة كالجهتىاري (ت331هـ/943) في الوزراء والكتاب بالاقتباس من مصادر تحت تصرفه.

(2) وهو مطبوع.

(3) ويعرفهما على انها كتب بديعة، انظر الجاجرمي، نكت الوزراء، ص ص 103، 146، 182.

(4) المؤرخون يشيرون اليه عادة بالتاريخ البيهقي، وهو يعطي تاريخ الغزنوين من ايام اميرهم سبكتين الى ايام السلطان ابراهيم بن مسعود، ويسمى بالتاريخ الناصري نسبة الى كنية مؤسسهم، وهي الامير ناصر الدين سبكتين، وبه اشتهر بالتاريخ الناصري، نشر كرمي وترجمة يحيى الخشاب، قارن بما تقوله المحققة عن هذه المسألة في مقدمة نكت الوزراء، ص ص 11-12.

(5) لكن هذه المصادر المحلية التي استعملها لا تبدو كثيرة، فلا يبدو انه وظف تاريخ البيهقي في قسمه الخاص بالسلطان مسعود، او بشخص كاتبه ابو نصر مشكان، او في استعمال عبد الغافر (ت1135/529هـ) بكتابه السياق على تاريخ نيسابور، الذي يعطي في مادته كثير من الشخصيات الادارية الخراسانية بما فيها المركز نيسابور، بشخصياته الكبيرة التي قدمها هذا الاقليم مؤسسة الوزارة.

(6) وهو مطبوع بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد (4 اجزاء في مجلدين : القاهرة: مطبعة السعادة، 1956).

(7) وهو مطبوع ايضاً (طهران، 1353).

مصنفات الشعالي مادة ذات قيمة له، فهذه الشخصية النيسابورية الادبية اللامعة هو احد كبار المصنفين المهمين في خراسان. ومن الذين ساهموا في وضع اسس كتابة رسائل الصدور في المشرق، وكثير من رجال المدرسة الغزنوية في الترسل، خاصة نموذجه الذي يقتدي به وهو ابو نصر العتبى، تدين له شخصياً بتبعيتها في هذا الحقل، وبلطائف الكتاب، التي تأثر بها الجاجرمي كثيراً ومع ان الجاجرمي لم يعلق في مستهل نكت الوزراء عن المصادر التي عول عليها في مصنفه، وطبيعتها لكنه يسمى الشعالي (بالشيخ اي منصور الشعالي)، ويعتمد عليه كثيراً في تغطية المآثر النثيرة والشعرية الخاصة بترجمة من الذين ذكروا في الitemة ومصنفاته المهمة الاخرى وفي حقيقة الامر الواقع ان هناك تشابهاً كبيراً بين اسلوب الجاجرمي والاسلوب الذي يعرف به الشعالي والذي يشتراك فيه مع العتبى من هذه المسألة بما للشعالي من تأثير على كلٍّيهمَا، وربما بأسلوبه وطريقته في تصميم الترجم. كما ان ملك الكتاب ابو الفضل محمد بن الحسين الاردستاني له مساهمته الظاهرة كذلك، من خلال (الصحف) التي يمتلكها شخصياً والتي وضعها تحت تصرفه عند تأليف الكتاب. بينما لا يجد تأثير ابا الحسن الياخري (ت 1074/467) عليه كثيراً، الذي شغل كتابة ديوان الرسائل لدن السلطان طغرل بك خلال حكم السلجوقية العظام، واستخدمها عند تصنيف دمية القصر وعصره اهل العصر⁽¹⁾، والذي يظهر كأحد مصادر الجاجرمي دون ان يسميه صراحة⁽²⁾.

ومهما يكن، فإن اراء اصحاب هذه المصادر. لابد ان تكون قد اختلطت مع اراء وملحوظات الجاجرمي الشخصية، والتي لا يمكن تحديد معظمها منهجهياً لغياب الاقتباسات المباشرة من المصادر، وعدم وصول نصوصها اليانا كذلك.

والخلاصة ان الجاجرمي ابا المعالى المؤيد بن محمد يظل شخصيةً مجهولة في ضوء معلومات كتابه نكت الوزراء وحدها، وكذلك في ضوء المصادر الاخرى المتوفرة للمؤرخ حسراً. فقط سيد الدين عوفي يشير في ترجمة مختصره الى جاجرمي معروف له شخصياً يحمل اسم افتخار الملك فريد الدولة والدين

(1) ثمار القلوب من تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم (القاهرة : دار النهضة، 1965)، ولبقية المؤلفات انظر نكت الوزراء، النماذج المذكورة في ص ص 31، 36، 39، وبالنسبة لثمار القلوب انظر المصدر ذاته، ص ص 43، 54، 72.

(2) تحقيق سامي مكي العاني (جزءان، بغداد والنجف، المعارف والنعمان 1971-1973).

الجاجري وفي غير ترجمته الى جمال الدين افتخار الملك الجاجري ذاته. لكن هذه المعلومات وحدها ايضاً لا تكشف شيئاً ثابتاً كذلك. الا ان المقارنة الدقيقة بين مدخل نكت الوزراء ومعلومات عوفي تبين ان الجاجري الذي يذكره عوفي، هو نفسه الذي يظهر في دليلاً نكت الوزراء، وان اسمه الكامل يقرأ على انه جمال الدين افتخار الملك ابا المعالي المؤيد بن محمد الجاجري، وعلى اساس هذا التحديد لهويته يتبين لنا ان ابا المعالي الجاجري هذا هو احد الشخصيات الادارية الهامة في خراسان من طبقة الصدور المرموقين خلال الرابع الاخير من القرن السادس الهجري، والفترة التي سبقت غزو جنكيز خان لما وراء النهر في 617هـ/1220، وانه كان من رجال الادارة الغزنوية قبل ان يربط مستقبلاً كلية بالادارة الغورية القائمة في باميان، مضطلاً بمهمة مسؤولة ديوان الاستيفاء للسلطان غياث الدين الغوري، لكنه كان على ما يبدو في خلفيته من طبقة الصدور الذين ينتسبون الى العلماء، وليس الى الكتبة المحترفين بمهنة الدنيا المعروفة.

اما مصنفه نكت الوزراء فهو من تأليف الجاجري دون شك، ويستحق نسبة الكتاب، بالرغم من ان عوفي لا يزودنا بمعلومات عن هذه المسألة، لانه لا يذكر اسم نكت الوزراء يخص به الجاجري، وبالرغم من ان البعض من فقراته حررت من قبل يد غير الجاجري نفسه، ربما احد تلامذته او مریده.

ومع ذلك، فأن نكت الوزراء لم يكن قد صمم من قبل الجاجري لكي يكون كتاباً موسعاً في حقل الادارة والادب بحيث ظل مجهولاً لمؤلفي الكتاب الذين جاءوا من بعده. ومرد ذلك يرجع الى ان مصنف الجاجري نكت الوزراء، لم يكن ذات اهمية بالغة بالنسبة لرجال الادارة العاملين انذاك في المشرق، فقد كانت المهام التي تقتربن بهم تتم وتنفذ عادة بلغة الادارة والبلاد الحالية، وكان التحول هذا قد حصل منذ زمن، وانيطت وظائف المراسلة والانتشار والاستيفاء وغيرها بعناصر ادارية بارزة كرشيد الدين الوطواط، ومنتجب الدين بدیع اتابک، وسدید الدين عوفي، وغيرهم الذين امنوا التوجه الاداري الجديد لاحوال الوزارة والديوان. وهذا يفسر لنا لماذا لا نجد مقتطفات من اقوال الجاجري عن نكت الوزراء وحقل الوزارة في المصادر المتأخرة لاهل المشرق، فهو اشبه ما يكون بمصنف لكتاب محدود التداول كثيراً، ولم يكن يقع ضمن الكتب التي كانت

تستقر فيها الحاجة الماسة كتلك المصنفات التي تختص علوم القرآن والحديث وغيرها من العلوم الدينية والشرعية المصنفة باللغة العربية، والتي لم يكن بالامكان الاستغناء عنها يوماً ما، حتى بعد حدوث هذا التحول الحاصل في مجالات الادب والادارة ونواحي الحياة الاخرى. لكنه كان ينفع فئة محدودة من الاداريين الكتاب لا يجدون مناصاً من تعلم العربية وادابها لاداء مهامتهم الادارية بشكل متكملاً وناجحاً، لفترة بقاء نفوذ الخلافة، او ما بعد الغائتها من قبل المغول.

الاكثر من ذلك، ان نكت الوزراء لكونه من اللوان كتب الادارة والوزراء، لا ينطوي على اهمية كبيرة من جهة صلته بسير الوزراء وسياستهم الادارية والماليه، لان خير ما يمكن ان يوصف به هو انه كتاب ثقافي، ادبي يجمع في محتوياته بين الادب والتاريخ على اكثراً ما يمكن من الابijaz والاختصار.

ان نكت الوزراء، كما يتعلق بالشرق، هو نمط جديد من التأليف لم يعهد له مؤلفو الادارة والكتاب من قبل، فقد كان التأليف في حقل كتب الوزراء وادبياتها من احتكار كتاب المركز، ابتداءً بالجهشياري والصاوي والصولي وغيرهم، وظل هكذا الى ايام الغزنوين والسلاجقة والقرخانيين عندما بدأ مؤلفون من غير المركز بتقديم اسهاماتهم لهذا الحقل، في البداية باللغة العربية، كالذي قام به الثعالبي في تحفة الوزراء، او ما قام به الفضل بن شاذان مسؤول الادارة السلو gioyia عن جغربي بك بمقره في بلخ، اما في هذا اللون، فان اقرب كتاب يشارك نكت الوزراء في الخصائص هو كتاب العتبى لطائف الكتاب لان نكت الوزراء هو في حقيقة الامر الواقع، من نوع لطائف الكتاب، ولابد ان الجاجرمي عند التأليف قد تأثر بما قرأه في مخطوطه اللطائف التي كانت تحت تصرفه لا محالة. ثم استقر التأليف بحقل الادارة طبقاً لهذا اللون على منحى آخر لان ادبیات الادارة والوزارة كانت دون شك تتبع التوجهات الادارية السائدة حينئذ من هنا، فان ما قام به هذا الصدر الكبير من تأليف كتاب نكت الوزراء، على رغم صغر المشروع الذي انجزه، يعد محاولة جرئية منه ولكن ما سهل له الامر هو ان مادة موضوعه والمصادر التي عول عليها كانت وبقيت باللغة العربية.

الا ان الجاجرمي في كل الاحوال اضاف الى حقل الوزراء والكتاب مصدراً ثقافياً خليطاً في معلوماته الادبية والتاريخية، بالنماذج التي جاء بها على شكل وثائق وملحوظات واقوال وتعليقات، على الرغم من ان المؤلف فرض قيوده

الشخصية والمهنية على تلك الامهات لرغبتة في الالتزام بالهدف الاساس من التأليف وفي جانبه الادي، فالكتاب بقدر ما يتعلق بالمؤرخ ينفع الى حد ما في الاطار الاجتماعي للدراسات الانسانية. وضمن الحالتين يعمد الجاجرمي الى ذكر نقولاته لكنه في كثير من الاحوال لا يحدد نهايات مثل هذه الاقتباسات مع ان هذه النقولات لا يسميها المؤلف في مدخل الكتاب ومقدمته، على نحو ما يعمل اجمالاً مصنفو كثير من المؤرخين المسلمين، او يذكرها في اماكنها من التراجم الواردة فيها، لكن المصنفات التي يذكر اسمائها صراحة ويعول على محتواها هي في كل الاحوال قليلة وتمثل بشخصيات الشعالي والعتبي والصولي فضلاً عن بعض الرواة الاداريين الذين يشكلون مصدر قراطيسه ومجموعاته الخاصة.

لقد كان الجاجرمي شخصية ادارية هامة، واحد منتسبي الدولة الغزنوية اولاً والغورية ثانياً، وهو كمصنف، ثبت اسمه بين مؤلفي كتب الوزراء والكتاب. فاذا كان له أي اهمية تذكر بهذا الشأن، فلا بد ان تقع في وضع مجموعاته من الصحف والدفاتر الخاصة تحت تصرف قارئه لنكت الوزراء، وفي توفير معلومات لمصادر لم تصل اليها، والتي يجب ان يميز فيها بين ما يخصه شخصياً وبين ما يمثل ملاحظات واقوال رواته ومصادره التي اخذ عنها، لأن البعض من هذه المعلومات كتلك التي تحمل تجريح بالعباسيين وخلفائهم على الاكثر، لا تمثل وجهة نظره، كما ان علينا الالغاء فيما قدمه من جديد عن موضوعه ضمن كتب الوزراء والكتاب، فهو محدود ولا يجوز تهويل قيمته وابعاده.

المصادر والمراجع :

1. ابن أبي الوفاء، عبد القادر، الجوادر المصيّة في طبقات الحنفية، ط١، مجلدان، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، 1913-1914.
2. ابن الأثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، بيروت : دار صادر، 1966، م. 12.
3. ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الاعيان وابناء الزمان، تحقيق احسان عباس عباس، بيروت: دار صادر، 1977 م. 4.
4. ابن العماد، شذرات الذهب في اخبار من ذهب، بيروت : دار المسيرة، 1979، م. 5.
5. ابن قطلو - بغا، ابو العدل، تاج التراجم في طبقات الحنفية، بغداد:مطبعة العاني، 1962.
6. ابن النديم، الفهرست، بيروت : دار المعرفة، 1978.
7. اقبال، عباس، وزارت در عهد سلطانين سلاجقة، ترجمة احمد حلمي، الكويت : ذات السلسل، 1980.
8. الباخري، ابو الحسن، دمية القصر وعصره اهل العصر، تحقيق سامي مكي العاني، جزءان : بغداد والتجف : المعارف والنعمان، 1973-1971.
9. ثابتی، مؤید، اسناد ونامهای تاریخی، طهران : جا بهانه طهوری، 1346/1967.
10. التغالبی، ابو منصور، یتیمة الدهر فی محسان اهل العصر، تحقيق محي الدين عبد الحميد، ط. 2، 4 اجزاء، القاهرة : مطبعة السعادۃ، 1951-1956.
11. الجاجرمی، ابو المعالی، نکت الوزراء، تحقيق نبیلہ عبد المتنعم داود، بغداد: مركز احیاء التراث العلمی العربي، 1984.
12. جوزجانی، منهاج سراج طبقات ناصري، تحقيق عبد الحی حبیبی، جزءان، کابل: انجمن تاریخ افغانستان، 1964-1963.
13. حاجی خلیفة، مصطفی، کشف الظنون عن اسامی الكتب والفنون، مجلدان، استانبول : المعارف، 1941-1943.
14. خواند میر، غیاث الدين، دستور الوزراء، تحقيق نفیسی، طهران : جاب - خانة اقبال، 1317.
15. الراوندی، محمد، راحة الصدور وآية السرور، تحقيق محمد اقبال، لندن: مؤسسة جب، 1921.
16. الصولی، ابو بکر، ادب الكاتب، القاهرة : المطبعة السلفية، 1341.
17. عقیلی، سیف الدین، آثار الوزراء، تحقيق محدث، طهران، 1959.
18. العماد الاصفهانی، تاريخ دولة ال سلجوقي، باختصار البنداري، بيروت : دار الافق، د.ت.
19. عوی، سیدید الدين، لباب الالباب، تحقيق میرزا محمد قزوینی، لندن، 1903-1906، م. 1، م. 2.
20. ——، جواجم الحکایات ولوامع الروایات، تصحیح کریمی، طهران: داوریناه، 1352 هـ.
21. اللکلکی، ابو الحسنات، الفوائد البهیة فی تراجم الحنفیة، تصحیح النعسانی، بيروت : دار المعرفة، د.ت.
22. المنشی الكرمانی، نسائم الاسمار، تحقيق محدث، طهران : جابجانه دانشکاه، 1378.
23. نظام الملک، ابو علي الحسن سیر الملوك او سیاست - نامه، تحقيق هیوبرت دارک، طهران : بنک ملي، 1962.
24. یاقوت، ارشاد الاریب الى معرفة الادیب المعروف بمعجم الادباء تحقيق الرفاعی، بيروت: دار احیاء التراث، د.ت، ج 19-20.
25. ——، معجم البلدان، بيروت : دار صادر، 1977، م. 4.

26. Barthold Turkestan Down to the Mongol Invasion. Tr. By H.A.R. Gibb. 2nd ed. London : Gibb Memorial, 1928.

27. Bosworth. C. the Ghaznavids. Edinburgh : University Press, 1963.

28. Sourdel, D. Le Vizirat Abbeside, 2 Vols. Damas : Imprimerie Cathlique, 1959.

في النسب الفاطمي

النسب الفاطمي⁽¹⁾ موضوع مثير للجدل، منهجياً، ولا يمكن القطع بصحته من عدمه للإشكالات الكثيرة التي تدخل في "مدرج" النسب من جانب الفاطميين، الاسماعيليين ومن مخالفتهم سوية منذ ان أخذوا شكل الدولة الفاطمية في بلاد افريقيا اولاً ومصر ثانياً في 297هـ / 909م و 358هـ / 969م، ومن أجل ذلك أنقسم المؤرخون والمصنفون حول هذه المسألة الى فريقين متعارضين: فريق يندد بالنسب الفاطمي وبصدقائه، ويذهب الى ان هؤلاء الحكام الجدد الذين يمثلهم في المهدية المسمى عبيد الله المهدى (ت 322هـ / 934م) هم في حقيقة الامر الواقع ليسوا سوى مبتدعة، وان أصولهم ما هي الا فرع من الديصانية ذات الاصول الخرميّة، وهم منسوبون الى ديسان بن سعيد الخرمي، والقداحية اليهودية المنحدرة من ميمون القداح ، اليهودي الاصل، ولذلك ينكرون نسبه ويقولون انه واحد من ثلاث هم : عبيد الله بن الحسين أو عبد الله بن أحمد، أو علي بن الحسين، وهذه الواجهة تمثل رأي العباسين وانصارهم من الامراء ومن علماء وأئمة العام الاسلامي ، وفريق آخر يؤمن بصحة النسب الفاطمي ويرجح صدقائه ، وبأن الخلفاء الفاطميين الذين تحدروا من صاحب الثورة، الذي جاء بالفاطميين الى الحكم، ما هم الا افراد من

(1) الدراسات حول النسب الفاطمي والمشاكل التي ترتبط به كثيرة وبلغات متعددة بعضها ينتمي الى اصول اسماعيلية مثل :

De Sacy , Wausten Feld Beckers, De Goeje. B. Lewis, Madlung, Ivanow, H F.al.Hamadani,M. Canard, "Fatimids", EI.2, VolIII, 850-862.

وانظر ايضاً، حسن ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر (القاهرة : الاميرية، 1932)؛ عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط.4، (القاهرة: دار الفكر العربي، 1994). ان معظم المصنفين، بسبب من مواقفهم السياسية والدينية وموالاتهم للعباسيين عدوا الفاطميين أدعية كفرة، واحتفظوا بذلك بمعلومات معادية للقضية الفاطمية لا يعول عليها، انظر.

J. A. Assad, The Reign of Al-Hakim Bi Amr Allah (Beirut : The Arab Institute, 1974, p.13.

البيت العلوي، وان من يريد معرفة اصولهم ما عليه الا ان يبحث في نسب وخلفيات الابن الاكبر للأمام جعفر الصادق، اسماعيل، الذي يذهب اتباعه ومریدوه الى انه هو صاحب الامامة، وليس أخاه الصغير موسى، بعد وفاة والدهما جعفر الصادق، وان عبيد الله المهدى، في قول صاحب تاريخ القیوان، هو عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وهذا القول يمثل وجهة النظر الفاطمية الاسماعيلية ودعاتها⁽¹⁾. في هذا المحتوى ساهم الفاطميون بشكل مفرط في تعقيد المشكلة وخصوصيتها.

فالفاطميون، مثلما قلنا، يرجعون اصولهم الى اسماعيل، الابن الاكبر لجعفر الصادق، الذي يربط نسبهم بعلي وفاطمة بنت الرسول (ص)، اما الذي جاء بالفاطميين الى الحكم في المهدية خلفاً للغالبة فهو عبيد الله المهدى، مؤسس الدولة وامامها، اذا صح هذا، فلماذا بقي النسب الفاطمي غامضاً ومستوراً ولم يثبت بمدرج على عادة البيوتات ذات الاصول العريقة ؟ في اعتقادنا ان أئمة الدعوة بين وقت محمد بن اسماعيل وظهور عبيد الله المهدى في (رقاده) اما ظلت في الخفاء شخصيات مستورة غير معروفة التسميات، وظلت هكذا بمحض شهادة وتزكية المذهب الفاطمي تعمداً، ومن قبل الفاطميين أنفسهم حتى وقت انتقالهم الى القاهرة، ربما نقول لدرء خطر وتهديدات الولاة العباسيين لحياة أمتهم في فترة العمل السري اثناء انتقالهم من الشام ومكة واليمن والنزول بأفريقية بين زعماء كتامه وقبائلها.

كانت الدعاية العباسية بشأن المبتدعة الفاطميين رخيصة جداً تتحى على طريقة العرب القدية الى ربط أي شخصية مجهولة ذات شأن سياسي كبير بأصول يهودية المنشأ، وهذا المنحى هو أصل الدعوى في ان عبيد الله المهدى اما شخص دعي النسب يرجع الى ذرية من اولاد ميمون القداح اليهودي (ديسان بن سعيد الخرمي)، وهي دعوى متأخرة نشرت من قبل العباسيين في محاضرين⁽²⁾، يعودان الى عقود القرن الخامس الهجري / الحادى عشر الميلادى،

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. (القاهرة : كوستاسومس، بلا ت)، ج.3، ص.72-76

(2) يرد كلا المحاضرين في ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم 0 حيدر آباد : دائرة المعارف، 1358م)، 7، ص 255-256؛ 583 ص 154-155؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ (بيروت : دار صادر، 1966)، 8، ص 236، م 9، ص 591. الاخير يكتفي بالاشارة الى خلاصة للمحاضر ولا يقتبس وثيقة النص مثل ابن الجوزي الذي يورد المحاضر كاماً.

أي سنة 402هـ / 1011م وسنة 444هـ / 1052م، وذلك ما يساوي مضي أكثر من قرن ونصف من العقد على قيام الدولة الفاطمية في إفريقية، والاهمن ان هذه الدعاية لم تنجح في الحط من قدر الفاطميين بين عامة المسلمين، وفي ترويج الدعوى بأن هؤلاء الفاطميين هم ادعية مبتدعة لا صلة لهم بالبيت العلوي، بآل اي طالب، رغم أنهم سعوا لايصال محاضرهم هذه لمختلف الاصقاع والبلدان التابعة لسيادتهم⁽¹⁾.

لم ينجح العباسيون، خلافاً لرغباتهم، في عمل أي شيء يؤذى الفاطميين سوى اللهم تأخير اجتياحهم لمصر مؤقتاً على يد قوات عبيد الله المهيدي لدفعتين في 302هـ / 914م وسنة 306هـ / 918م من قبل قائد الخليفة المقتدر مؤنس المظفر⁽²⁾، على العكس من ذلك قد حصل، وهو ما نجح الفاطميون من تحقيقه في تهديد العباسيين حتى انهم هددوا مركز الخلافة العباسية ببغداد لما يقرب من عام (450هـ / 1058م) عندما حول قائد الجيش ابو الحارث البصيري (ت 451هـ / 1059م) ولائه للخليفة الفاطمي الثامن المستنصر بالله (427هـ - 487هـ / 1094-1035م)، واعلان الخطبة باسمه بعد الخطر الذي خيم على مستقبله من جراء دخول السلاجقة لبغداد بدعوة من الخليفة العباسى القائم بأمر الله (422هـ - 467هـ / 1031-1073م)، كما ان دعوة الخليفة السلاجقة للقيام بما لم يكن بإمكانهم عمله، وهو التخلص من الدولة الفاطمية وإزالتها كيانها من الخارطة السياسية لم يتحقق ابداً على يد طغرل السلجوقي (او خلفه الـ ارسلان) المتولى الجديد لشئون العباسيين، او اي سلطان آخر، ولم يعد

(1) الاستثناء في الحالات السياسية مثل موقف السلطان محمود الغزنوي (0452هـ) والسلطان طغرل السلجوقي (ت 455هـ) الاول في كتاب الخليفة الفاطمي الحاكم الذي خرقه وبصق في وسطه واعدم رسوله، طغرل "انه يريد الحج واصلاح طريق مكة والمسيير الى الشام ومصر وازالة المستنصر العلوي صاحبها"، وكرر الرغبة السلطان الـ ا - ارسلان (ت 465هـ)، انظر بالتتابع ابن الجوزي، المنتظم، م 7، ص 263؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، م 9، ص 609.

C.E. Bosworth, "The Early Ghaznavids" In The Cambridge History of Iran, by R.N. Frye. London : Cambridge University Press, 1975, Vol.4, p.178 ; also Bosworth "The Political and Dynastic History of the Iranian Word", ed. Boyle , Cambridge : Cambridge University Press, 1968, Vol.5, pp.45-46

(2) مسکویه، تجارب الامم وتعاقب الهمم (القاهرة : شركة التمدن، 1974)، ج 1، ص 36؛ ابن الاثیر، الكامل في التاريخ، م 89، ص 94-95؛ تقی الدین المقریزی، اتعاظ الحنفی في اخبار الائمة الفاطمیین الخلفاء، تج: جمال الدین الشیال، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1948/1367)، ص 99-100، ص 104-103؛ وانظر عبد المنعم ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط 4، (القاهرة : دار الفكر العربي، 1994/1411)، ص 89.

للسلاجقة الرغبة في التحدث به وإزالة الحكم الفاطمي بعد تأمين استقرارهم في بغداد، وتراجع الخليفة القائم ونديمه على دعوتهم، ولم يأت الانفاذ للعباسيين من هذا المنافس القوي الا على يد صلاح الدين، مؤسس الدولة الايوبية في 567هـ/1171م، عندما وقع اخيراً امر تصفية والغاء الخلافة الفاطمية، وكل الذي عمله العباسيون حقيقة هو التنديد ليس الا بالفاطميين كقوة هرطقية متحكمة في شؤون العالم الاسلامي الغربي، وكمرrog كبير للمذهب الشيعي المعادي للعباسيين، وذلك من خلال المحضرین اللذین تم اعلانهما من دیوان الخلافة ببغداد عامی 402هـ/1052م، وتضمنت الدعاوى الرخیصۃ التي یصعب تصدیقها من قبل المؤرخ المحترف، وسنبداً اولاً بدراسة اشكالات وملابسات النسب الفاطمي.

اشکالات وملابسات النسب الفاطمي :

هناك اشكالات وملابسات بشأن مصداقية النسب الفاطمي لوجود اقوال متباعدة تركها لنا المصنفوں الاسلاميون الاوائل دون تحيص نذكر منها الاتي : الاولى تخص هوية المدعو عبيد الله المهدي، رأس ديباجة النسب الفاطمي، والذي جاء بالفاطميين الى الحكم في افريقيا، فالمثبتون لصحة النسب يقولون انه ابو سعيد عبيد الله المهدي (297-322هـ/909-934م)، ابن احمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، فطبقاً لهذا المدرج يعود نسب عبيد الله المهدي الى فاطمة بنت الرسول (ص) والى آل اي طالب من جهة الامام السادس جعفر الصادق، لكن هناك رواية للشريف اخو محسن، احد رجال القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي، تقول ان عبيد الله المهدي ما هو منحدر نسباً الا من ميمون بن ديسان، الذي يتنسب اليه الثنوية، وان ابن ميمون القداح هو عبد الله (عبيد الله)، جد الخلفاء الفاطميين⁽¹⁾، مما يبرر القدر في النسب الفاطمي عامه، في هذا المحتوى بين الروايتين، يرى المرحوم حسن ابراهيم حسن الى ان نسب الخلفاء الفاطميين لحد ما صحيح، لكنه لم يصل الى أي قطع عن نسبتهم فيما اذا كانوا الى اسماعيل بن جعفر الصادق او الى ابن ميمون القداح، مع ان

(1) حسن ابراهيم حسن، الفاطميون في مصر (القاهرة : المطبعة الاميرية، 1983)، ص 79 الذي يقتبس رواية الشريف.

رأيه يحمل على الظن ان القرامطة، الذين يدعون الصلة بالتشيع، ائمًا مالوا الى
الاسماعيلية وعطقوها على مذهبهم لاغراض سياسية⁽¹⁾.

ثمة اشكال آخر يتعلق بموضوع فيما اذا كان الخليفة الفاطمي الثاني ابو
القاسم محمد القائم (322-334هـ/934-954م)، هو ابن عبيد الله المهدي حفأً
واي نوع من العلاقة بين عبيد الله، الخليفة الاول، ومحمد هذا؟ مثلاً لاحظنا ان
عبيد الله استخدم لقب المهدي في الواقع (الرسمية)، فيما يحمل القاسم اسم
محمد الذي يكون بموجب الرواية هو محمد المهدي. فهل أن عبيد الله اعتبر
نفسه حقيقة بأنه المهدي المنتظر، ولديه خصوصيات هذه الشخصية الروحية؟
وربما لم يكن القائم هو ابن عبد الله اصلاً بقول موريس كانار⁽²⁾، بالرغم ان عبيد
الله اعتبر القائم محمد خليفة في الحكم، وابنه دوماً بموجب قاعدة انتقال الامامة
من الاب الى الابن، اما مصنف "غايات المواليد" لخطاب بن الحسن (القرن السادس
الهجري / الثاني عشر الميلادي) فكان القائم هو ابن الامام الرابع المستور علي بن
الحسين، الذي لا يرد اسمه في قائمة الائمة⁽³⁾.

صعبية اخرى تبع من حالة التناقض بين النسب الرسمي وبين ذلك الذي يربط
الفاطميين عموماً بيمون القداح، فمثلاً، حتى في زمن الخليفة الفاطمي الرابع المعز معد
(341-365هـ/952-975م)، جرت محاولات من لدن قادة الحلقات الاسماعيلية المتطرفة
لتوحيد النسبين لعبد الله بن محمد بن اسماعيل بن جعفر من النسب الفاطمي بعد
الله بن ميمون القداح، الذي يسمح عندئذ بدخول عنصر غير علوي الى النسب، كما ان
هناك مشكلة تثيرها العقائد الفاطمية تكمن في أي من هؤلاء المستورين هو الامام المستقر
"واي منهم هو المستورد"؟ وغيرها.

ومن الجدير بالذكر ان مجموعة الائمة المستورين التي سبقت عبيد الله
ليست جميعها نفس الشخصيات ولا تتوافق الاسماء مع بعضها، حتى ان اسم عبيد
الله يأتي بصيغ متعددة، وواحدة من الروايات تقدمه كابن لشخص باسم احمد
وليس حسين⁽⁴⁾.

(1) يعرفه بأنه ابن حسين بن احمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح، المصدر ذاته، ويستنكر
ابن خلدون ذلك في تاريخ ابن خلدون، (بيروت : مؤسسة الأعلمي، 1391/1971)، م، 4، ص 31.

(2) *Fatimids, E I.2 , Vol.II, 851*

(3) *Ibid.*

(4) *Canard, "Fatimids : EI.2, II, 851*

ان العباسين في التحليل النهائي عمدوا الى تشویه سمعة الفاطميين عن طريق القدح بنسبهم وترويج الدعاية بين المسلمين عنهم على انهم ادعیاء كفرة لا يجوز متابعتهم وذكر الخطبة باسمهم، لكن اشكالات النسب الفاطمي وتعقيداتها لا تتسبب جميعها بفعل اجراءات العباسين ودعایتهم، بل ساهم بها ايضاً افراد من شخصيات شيعية في نكران نسبهم والتنديد بخلافائهم مشاركة مع العباسين.

لماذا اقدمت الخلافة العباسية على التنديد بالفاطميين، وهل الاختلاف حول

نسبهم مفتعل ام له ما يبرره ؟

ان التنديد العباسى بالفاطميين، ونسبتهم الى اصول هرطقية سببه بلا ادنى شك سياسى يدور حول من يمثل عامة العالم الاسلامي، الخلافة العباسية، مدعية الحق الشرعى بتمثيل المسلمين ام متحديها الجديد للزعامة، ائمة البيت الفاطمي-العلوى، ففي ضوء العمل الفاطمي-السرى، كان لا يوجد اسهل من مهاجمة الفاطميين من خلال النسب، فقد كان وضع الخلافة العباسية وسمعتها السياسية قد وصلت الى ادنى مستوى لها سياسياً وعسكرياً، حتى انها غزيت في عقر دارها بتأثير من اجراءات الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله المنصور (386-996هـ/1020م)، الذي لعب دوراً كبيراً في اضعاف الوضع السياسي الداخلي للخليفة القادر، وفي تحريك تمرد الاطراف المعترضين بسيادة الخليفة العباسى على ولاياتهم واعمالها بسحب الاعتراف وتبعيتهم للخلافة، الاولى عن طريق حادثة مهمة تعرف بفتنة "مصحف ابن مسعود بين الشيعة من اهل الكرخ والسنّة من اهل باب البصرة والشاعر والقلائين، والثانية من خلال اعتراض امير الموصل معتمد الدولة قراوش العقيلي (ت442هـ/1050م)، بالسيادة الفاطمية على بلاده واعمالها في الانبار والكوفة⁽¹⁾".

فالحادثة الاولى وقعت سنة 398 رفع فيها الشيعة من مؤيدي الفاطميين شعار "حاكم يا منصور" اثارها بعض مؤيدي الخلافة الهاشمين بالتعاون مع فئة من القصاصين اودت بالاعتداء على فقيه الشيعة ومقدمها ابن المعلم، وقد

(1) انظر ابن الجوزي، المنتظم، م7، ص 237-238، ص 248-250؛ وحول كره العباسين للفاطميين وتبيرات الطعن فيهم انظر ماجد، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها، ص 147-148.

حصل خلالها احرق قرآن لنسخه من جمع ابن مسعود بتحريض من قاضي بغداد ابو محمد الاكفاني (ت 405هـ/1014م)، وابو حامد الاسفرايني (ت 406هـ/1015م) كبير الاشاعرة في بغداد، وقد اجتمع الشيعة منتصف شعبان عند مشهد الحائر اثناء زيارة المهدى في كربلاء متدينين يقتل رجل من الشيعة من اهل النهروان لانه دعا على من احرق المصحف وسبه، وكان هذا وحده كافياً لاندلاع القتال بين اهل الكرخ واهل باب البصرة والشعير والقلائين من اهل السنة، الذين تمكروا من اهل الكرخ بايقاع الخسائر الفادحة بهم بمساعدة دار الخلافة، وانتهت الحادثة بنفي مقدم الشيعة ابن المعلم عن بغداد، الذي لم يعد اليها الا بواسطة من الامير ابن مزيد، احدى الشخصيات الهامة من الحلة المزيدية، وفي عودة كبير الاشاعرة ابو حامد الاسفرايني الى داره بعد الاعتداء الشنيع الذي حصل له، وكذلك في السماح لمثيري الفتنة من القصاص بمارسة نشاطهم الوعظي شريطة ترك التعرض للفتن⁽¹⁾.

في الحادثة الثانية قام امير الموصل ذو الميول العلوية قراوش العقيلي في (401هـ/1010م) بالدعوة على منابر الموصل والاعمال التابعة لادارته مثل الانبار، والكوفة والمدائن للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله والخطبة باسمه بدلاً عن الخليفة العباسي القادر بالله، الذي يعني ولو مؤقتاً انتشار النفوذ الفاطمي داخل بلاد الخليفة العباسي وحدوده الادارية، وقد حفظ لنا ابن الجوزي نص الخطبة الاسماعيلية التي أقيمت آنذاك والتي اكدت صلة النسب الفاطمي بال أبي طالب، ومما جاء فيها :

اللهم صل على وليك الازهر وصديقك الاكبر علي بن ابي طالب، ابي الائمة الراشدين المهتدین، اللهم صل على السبطين الطاهرين الحسن والحسين، وعلى الائمة الابرار، الصفوة الاخيار، من اقام منهم وظهر، ومن خاف منهم واستتر، اللهم صل على الامام المهدى بك، والذي بلغ بأمرك واظهر محبتك ونهض بالعدل في بلادك، هادياً لعبادك، اللهم صل على القائم بأمرك، وعلى المنصور بننصرك الذين بذلا نفوسهما في رضاك وجاهدا اعداؤك، اللهم صل على المعز لدينك، المجاهد في سبيلك، المظهر لأياتك الخفية والحججة العلية، اللهم صل

(1) ابن الجوزي، المنتظم، م، 7، ص 237-238؛ ايضاً ابن الاثير، الكامل في التاريخ، م، 9، ص 208 (بتفاصيل أقل).

على العزيز بك الذي مهدت به البلاد وهديت به العباد، اللهم اجعل قوافي
صلواتك وزواكي بركاتك على سيدنا ومولانا امام الزمان وحسن الامان، وصاحب
الدعوة العلوية، والملة النبوية عبده ووليك المنصور اي علي الحاكم بأمر الله امير
المؤمنين...⁽¹⁾. وقد انزعج الخليفة القادر⁽²⁾ كثيراً لما حصل.

ان هذه الوثيقة الفاطمية، بلا ادنى شك، ازعجت الخليفة العباسي القادر كثيراً،
الذى طلب من المسؤولين في الادارة البوئية التأثير على قراوش ورشوته بالمال من
اجل كسب العباسين لولائه مجدداً، واعلان اعتذاره والتراجع عن هذا التأييد المطلق
للفاطميين، وفي ضوء هذه الخلافة وحدها لحال تقهقر نفوذ الخلافة بين شيعةبني
العباس نظمت دار الخلافة في السنة التالية المحضر الشهير لسنة 402هـ الذي قدح
بالنسب الفاطمي وانكر بشهادة من اعلام البيت العلوي واهل العمائم من السنة،
الصلة المزعومة بين بيت عبيد الله المهدي وأآل اي طالب.

ان المحضر الذي نظم ببغداد في تلك السنة من قبل الخلافة العباسية هو، في
حقيقة الامر الواقع-اجراء اداري- سياسي مضاد يستهدف استقطاب موقف العناصر
الشيعية المتعاونة مع بني العباس، بشكل خاص الرموز العلوية المنضوية تحت
نقابة الطالبيين لقضية الخلافة، التي وصلت حينها نقطة حرجة من التدهور، معززة
بدعم من علماء السنة بفرقهم ومذاهبهم العاملة ببغداد لهذا الموقف، الذي لم يعد
فيها الاحتلال البوئي يعمل شيئاً بعد محاولة ع ضد الدولة⁽³⁾، ثم ان المحضر ما هو
 الا وثيقة رخيصة نجح محررها في ملئها بحالات من الوهم والاختلاف والتصحيف
بحملة من الاكاذيب والدعاوي الباطلة بشأن الأئمة الفاطميين ونسبهم منسوبة في
اقوالها الى اعيان بغداد من الطالبين اللذين تتقدم اسمائهما دليلاً على المحضر، ماذا
شهد هؤلاء بخصوص حكام مصر الفاطميين؟، مرة اخرى ابن الجوزي مؤرخ دولة
الخلافة- العباسية- يحفظ لنا بمقتضيات من فقرات الوثيقة.

(1) ابن الجوزي، المنتظم، م7، ص250، ولجميع ما ورد في النص انظر ذاته، م7، ص249-251.

(2) ذاته، م7، ص251 : "وورد على الخليفة من هذا ما ازعجه"

(3) علماً ان ع ضد الدولة احتفظ بعلاقات جيدة مع العزيز الفاطمي كما يقول عبد المنعم ماجد، ظهور
الدولة الفاطمية وسقوطها، ص139، اعتماداً على ابن تغري-بردي.

يرى الموقعون على المحضر :

"ان الناجم بمصر - وهو منصور بن نزار المتلقب بالحاكم- ابن معد بن اسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد- فانه لما صار الى المغرب تسمى بعد الله ويلقب بالمهدي، ومن تقدمه من سلفه الارجاس- الانجاس، عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين ادعية خوارج لانسب لهم في ولد علي بن اي طالب ولا يتعلقون معه بنسبي. وان الذي ادعوه من الانساب اليه باطل وزور، وانهم لا يعلمون ان احداً من اهل بيوتات الطالبين توقف عن اطلاق القول في هؤلاء الخوارج انهم ادعية" وقد كان هذا الانكار لباطلهم ودعواهم شائعاً بالحرمين، وفي اول امرهم بالغرب منتشرأً انتشاراً يمنع من ان يتدلس على احد كذبهم، او يذهب معهم الى تصديقهم، وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه، كفار وفساق، فجار ملحدون زنادقة معطلون، وللاسلام جاحدون، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون قد عطلاوا الحدود واباحوا الفروج واحلوا الخمور وسفكوا الدماء وسبوا الانبياء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية"⁽¹⁾.

وقد ادى المحضر احدى وعشرين عيناً من اعيان بغداد، يتقدم بينهم في الاسماءخمسة من الشخصيات الطالبية الامامية، فيما يمثل البقية فقهاء وعلماء المذاهب الفقهية الاربعة، وهؤلاء الخمسة هم كل من الشريف المرتضى ذي المجددين (ت436هـ/1044م)، والشريف الرضي ذي الحسين (ت406هـ/1015م)، نقيب الطالبين ببغداد، ابن الازرق الموسوي، ابن البطحاوي العلوى، ابو عبد الله ابن النعمان (ت413هـ/1022م) فقيه ومقدم الشيعة الامامية، ثم احيى العمل بهذا القدح في نسب العلوين المصريين مرة اخرى سنة (ت444هـ/1052م) خلال خلافة القائم بأمر الله والصلاحقة كانوا على وشك الدخول ببغداد بدعوة من الخليفة نفسه ظاهرياً من اجل التوجه نحو الشام ومصر لازالة حكم الخليفة الفاطمي حينئذ المستنصر بالله⁽²⁾.

ان المحضر بالنسبة للموقعين العلوين يشير بعض الشكوك وعدم المصداقية ولا يمكن ان يكون الاشراف قد بصموا توقيعهم ومن مؤيدي الرأي الذي نشر

(1) ابن الجوزي، المنتظم، م7، ص 255-256، ونوه عن المحضر ايضاً ابن الاثير الكامل في التاريخ، م9، 236، الذي يسميه "القدح في نسب العلوين المصريين"، عن المحضر كذلك انظر تقى الدين المقرizi، اتعاظ الخلفاء، ص45-46.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، م8، ص154-155؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، م9، ص591.

في المحضر، بمعنى ان هؤلاء الخارجيين ينعتون انفسهم بالفاطميين، العلوين ليسوا سوى ادعية كفرة- زندقة- وليس لهم صلة ببيت الله اي طالب، على الاقل بالنسبة لواجهة الموقعين الشريف الرضي، فهذا الشريف ذي الحسين له آراء معروفة لا تغيب عن اذن احد بالنسبة لنسب البيت العلوى الفاطمي الحاكم بمصر، وحتى في موقفه من شخص الخليفة العباسي القادر بالله مثلما يتوضّح من الآيات الشهيرة التي تقرن بأسمه:

مقول قاطع وأنف حمي وبمصر الخليفة العلوى ي اذ ضامني بعيد القصى س جميعاً محمد وعلي ⁽¹⁾	كم مقامي على الهوان وعندي البس الذل في ديار الاعادي من أبوه أبي ومولاه مولا لف عرقى بعرقه سيد النا
--	---

سببت هذه الآيات النوعية التي تعرف بصحة النسب الفاطمي ازمة كبيرة بين الخليفة القادر الذي يشار اليه بالبعيد القصى من جهة، وبين بيت الشريف الرضي من جهة اخرى، لم تنتهي بصالح الخليفة القادر، في البداية استدعا القادر والده الرضي الشريف الطاهر (ت 400هـ/1009م) لايقاع العتاب عليه لفعل والده الرضي بحق الخليفة ومطالبته باتخاذ اجراء ما يلزم بشأن ولده، متوقعاً تراجعاً عن الآيات المنسوبة اليه هذه، لكن الشريف الرضي بكل اصرار رفض طلب والده في اعلان التبرئة من هذه الآيات، ورفض الاعتذار لل الخليفة عن ما وقع منه بقصد الخليفة وما كان قد كتب من امر صاحب مصر، واخيراً رفض الاذعان والاستجابة لوالده رغم تهديده بأنه في حالة اصراره على موقفه، سوف لا يقيم (والده) معه في بلداً⁽²⁾. مع ذلك، فقد آل الامر الى انفاذ القاضي الاشعري اي بكر الباقلي ومقدم الاشاعرة ابو حامد الاسفرايني لاخذ اليمين على الرضي في انه لم يقل الشعر المنسوب اليه ولا يعرفه⁽³⁾، ولكن دون جدوى ،

(1) ابن الجوزي، المنتظم، ج 7، ص 281، ابن خلدون ان "للذين شهدوا في المحضر فشهادتهم على السماع، وهي ما علمت" تاريخ ابن خلدون، م 4، ص 31؛ وعن حياة الشريف الرضي انظر مقدمة عبد الفتاح

محمد الحلو، ديوان الشريف الرضي، ط 1، بغداد: وزارة الاعلام، 1977، ج 1، ص 9-12.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، م 7، ص 282.

(3) المصدر ذاته.

ويعلق ابن الاثير على موقف الرضي هذا بالقول بأن : "امتناع الرضي من الاعتذار وفي رفضه من ان يكتب طعناً في نسب الفاطميين، مع الخوف دليل قوي على صحة نسبهم، مضيفاً بأنه سأله جماعة من العلوين في نسب عبيد الله المهدى" فلم يرتابوا في صحته⁽¹⁾، ويوافق على رأي من يذهب القول بصحة هذا النسب، ومن ان العلماء ممن كتب اسمه في المحضر اثما كتبوا خوفاً وتقية، فيما لا يصح، في الوقت نفسه شهادة من لا علم عنده بالانساب⁽²⁾.

ومن الجدير بالذكر ان ابن الاثير، مؤرخ الخلافة واحد شيخ الشافعية الكبار يسمى الخليفة الفاطمي بال الخليفة العلوي والبيت العلوي⁽³⁾، ويعتقد بصحة نسبهم وفي انتمائهم للبيت العلوي، لكنه في تدوين الحوادث يورد التهمة كتاريخ يوجب التدوين والاحاطة وفي عرض وجهة نظر العباسين، بعكس المصنف ابن الجوزي، احد كبار الحنابلة البغداديين، يظل يطعن في النسب الفاطمي وينتصر لوجهة نظر الخلافة العباسية بموجب الصلة القوية القائمة بين قوة الحنابلة ودار الخلافة.

ان العلاقة بين الخلفاء العباسين والعلوين العباسين لم تكن ودية⁽⁴⁾، ولا سلمية الا ظاهرياً ، ولم يوقع العلويون الشيعة الخمس على محضر القدح بالخلفاء الفاطميين ، وهم كل من الشريف المرتضى والشريف الرضي وابن الازرق الموسوي، وكل من ابن البطحاوي العلوي ، وابو عبد الله بن النعمان الا تجنبأً للإجراءات السياسية التي يقدم على اخذها الخليفة القادر بحقهم (اقلها الاقامة الجبرية وعدم الخروج في المناسبات والاعياد، والتي قد يعارضها

(1) الكامل في التاريخ، م، 8، ص 26.

(2) ذاته، م، 27، ولا يوافق ابن الاثير على ادعاء الامير عبد العزيز من آل باديس الموالون للعباسين، مصنف تاريخ افريقيا والمغرب في ان "نسب (عبد الله)، معرق في اليهودية" ، ذاته، م، 27. اما ابن خلدون فيرفض من حيث المبدأ من يذهب هذا القول ويقول : ولا عبرة من انكر هذا النسب من اهل القиروان وغيرهم بالمحضر الذي ثبت ببغداد ايام القادر وبالطعن في نسبهم، وشهد فيه اعلام الائمة" انظر تاريخ ابن خلدون، م، 4، ص 31.

(3) لكن ليس دوماً.

(4) بعد مجيء العباسين الى الحكم، ودخولهم في صراع سياسي مع العلوين، جرى التمييز بين شيعةبني العباس وشيعة علي، فالعباسيون يستخدمون لفظ شيعي للدلالة على اتباعهم العباسين، اما الهاشميون فتغير يضم البيت الطالبي والعباسي لأن نسبة الهاشميين تعني جميع ذرية هاشم بن عبد مناف، عم الرسول، بما فيهم الطالبيون، وعن جدوى هذه المحاولة العباسية يقول ابن خلدون، تاريخ، ص 31: " وقد كان نسبهم ببغداد منكراً عند اعدائهم شيعة بني العباس منذ مائة سنة، فتلون الناس بمذهب اهل الدولة، وجاءت شهادة عليه، مع انها شهادة على النفي.

المسؤولون البوبييون او يغضوا النظر عنها تجنبًا لازعاج الخليفة وتحاش الاصطدام
معه).(

وفيما عدا ذلك، فإن هذه الرموز مثل الشريف الرضي كان لها آرائها المعروفة
بني العباس حتى انهم يعتبرون انفسهم احق بالخلافة من البيت العباسي الذي
يرث شؤون المؤسسة الى يوم الدين.

ومن هنا، فإن احجام المصادر عن تدوين معلومات عن تلك العلاقة الخفية
 يولد صعوبة واضحة للمؤرخ في تحرير وفهم خصوصيات الشهادة ومصاديقها مثلما
 جاءت في المحضر على لسان العلوين، فمثلاً، رغم ان كلا من الشريف الرضي
 والشريف المرتضى انيطت بهما مهام ووظائف جليلة في الدولة العباسية مثل نقابة
 الطالبين ببغداد وولاية الحج⁽¹⁾. وغيرها، الا ان كلا الاخوين لم يكونا على ود ووئام
 مع الخليفة العباسي دوماً، فعندما مدح الشريف المرتضى الخليفة القادر عند تستمه
 امور الخلافة في (381هـ/991م) ذكره بقوله في البيت الاتي :

الا الخلافة ميزتك فانني انا عاطل منها وانت مطوق

ويقال ان الخليفة القادر عندما سمع ذلك منه قال له : "على رغم انف الشريف⁽²⁾ وما
 كان من تباھي الشريف الرضي بالانتساب فهو اعظم واجل، فقد اعترف صراحة بانتسابه
 للخلافة الفاطمية التي يتصل نسبه بها، بل ذهب ابعد من ذلك عندما قاس جلوسه في کنف
 الخليفة العباسية- بلاد الأعادي- بحالة الذل والهوان. فيما يحكم اقربائه الفاطميون-
 العلويون بلاد مصر وما حولها.

ومن الجدير بالذكر ان نسبة العلوی تطلق على جميع اولاد علي بن ابي
 طالب، فيما تطلق نسبة الفاطمي على ولديه الحسن والحسين وحدهما لانهما من
 نسل فاطمة بنت رسول الله (ص)، زوجة علي بن ابي طالب، وهذه النسبة لم
 تشهر في القرون الاسلامية الاولى، لكنها اشتهرت - بدلالات مختلفة- بعد ظهور
 الدولة الفاطمية، مع انها كانت معروفة آنذاك- وكان اولاد فاطمة يتمتعون بمكانة
 مميزة بين المسلمين لصلتهم بالرسول (ص)، لاسيما ان الحسن والحسين هما حفيديه
 الوحيدين⁽³⁾.

(1) ابن الجوزي، المتنظم، م، 7، ص282.

(2) ديوان الشريف المرتضى، ج، 1، ص.6.

(3) ابن الجوزي، المتنظم، م، 7، ص281.

ومن الآراء المهمة التي ترى صحة النسب الفاطمي وتهاوي الدعوى العباسية، فيما عدا ابن الأثير (ت 630هـ/1232م) ولاحقاً تقى الدين المقريزي (ت 845هـ/1442م) رأى العلامة ابن خلدون، أحد كبار مؤرخي المغرب الإسلامي للقرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، المشهور بتاريخه كمؤرخ وفيلسوف⁽¹⁾.

لقد كتب ابن خلدون (ت 808هـ/1405م) ملاحظاته عن النسب الفاطمي بعد زوال الدولة الفاطمية وتصفيه البيت الفاطمي من قبل صلاح الدين لقرون، انه يتميز في كونه مؤرخ تونس، مقدر الاغالبة وابنها البار وتحت تصرفه مسموعاته الخاصة ومعلوماته عن النسب فضلاً عن منهجية الفلسفة المعتمدة في تحقيق الحوادث ومعرفة مصاديقها.

يرى ابن خلدون ان النسب الفاطمي هو نسب اصيل لا غبار عليه، وان الخلافة العباسية استغلت اخفاء النسب الفاطمي عن خلفاء مصر لما جرت به العادة من اول امام لهم، وهو محمد بن اسماعيل، جد عبيد الله المهدى، والذي سمعته شيعته بالملكتوم⁽²⁾، فهم لاسباب سياسية، اختاروا اخفاء نسبهم منعاً لمطاردة العباسيين لهم، طبقاً لما جرت به العادة بأمر دعوتهم القائمة على كتمان وستر نسب الامام، اخفاء لشخصيته من الاخطار المحتملة بعمله السياسي ونشاطه بين الدعاة الفاطميين، ويذهب ابن خلدون الى ان الخلافة العباسية استغلت اخفاء النسب هذا لما ظهر من عجزها عن مقارعة الفاطميين في الشام ومصر والحجاز واليمن، وحتى العراق، فقالت بهذا الرأي انتقاماً من عداوتهم لها، فهذا ما اشتهر ببغداد "بقول ابن خلدون" التي كانت غالبيتها من شيعةبني العباس (رعايا بنى العباس)؟ فنقله الاخباريون كما سمعوه ورووه حسبما وعوه⁽³⁾.

ولا يفصل ابن خلدون بين مسألة النسب ونشأة الدولة الفاطمية في القريوان قبل توجهها شرقاً نحو مصر في (358هـ/969م)، اذ يرى الترابط بينهما قائماً، مبتدأ بالكلام عن خروج عبيد الله المهدى "وابنه" ابو القاسم

(1) عزيز العظمة، ابن خلدون وتاريخه (بيروت : دار الطليعة، 1981)، اطروحة دكتوراه منشورة.

(2) مقدمة ابن خلدون (بيروت : دار الكشاف، بلا ت)، ص 22؛ انظر كذلك ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص 30.

(3) مقدمة ابن خلدون، ص 23.

القائم، المطلوبين من قبل الادارة الاغلبية بأمر من الخليفة العباسي المعتمد بالله احمد (279هـ-892م) للقبض عليهم، حيث صدرت الاوامر لواليه على مصر عيسى النوشي، والى الاغلبية على القironan وامراء سجلماستة من بنى مدرار لتعقب الاثنين وللقبض عليهم، حيث تم لامر سجلماستة اليشع اعتقالهم ارضاء للخليفة العباسي المعتمد، حتى وقت نجاح الشيعة الاسماعيلية في انهاء حكم دولة الاغلبية⁽¹⁾، وقيام الدولة الاسماعيلية الجديدة، وفي تقاسمهما الممالك والاقاليم مع بنى العباس، ويتسائل ابن خلدون كيف يقع هذا - عليه - لدعى في النسب يكذب في انتحال الامر⁽²⁾ ليس في ظهور كلمتهم وحتى في مكة والمدينة ادل شيء على صحة نسبهم⁽³⁾. ثم يذكر ابن خلدون قراءه بالنظر الى حال القرمطي (حمدان قرمط، سعيد الجنابي) كيف تلاشت دعوته ! ولو كان امر العبيدين كذلك لجين، ولو بعد مهلة، فيما يجدد ابن خلدون اعتباراته للعامل الزمني كحقيقة في الحساب عند معالجة موضوع النسب الفاطمي من خلال طول مكوث الدولة الفاطمية التي استمرت تحكم البلاد نحو مائتين وسبعين عام⁽⁴⁾.

من هنا يرى ابن خلدون ان فساد المعتمد ليس بمعيار لدفع النسب عنهم والطعن فيه مثلما نحا القاضي الاشعري ابو بكر الباقلاني⁽⁵⁾ (403هـ/1012م) هذا المنحى عندما شهد ببطلان مرسوم الخلافة العباسية حول المذهب والنسب الذي يمثل الخلفاء الفاطميين في مصر⁽⁶⁾، وبهذا النقد والتحليل يظهر لنا ابن خلدون بطلان الادعاءات العباسية في النسب الفاطمي لعلوي مصر، وما روجت له مع شيعتها من بنى العباس في الطعن فيه.

ان الدراسات عن النسب الفاطمي كثيرة وفي لغات متعددة لكن هذه الدراسات ظلت منقسمة على نفسها بشأن النسب هذا ومصداقيته لأن المشكلة

(1) المصدر ذاته، ص21، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م4، ص31 : "فإن كتاب المعتمد إلى ابن الأغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماستة يغيرهم بالقبض عليه [على عبيد الله] لما سار إلى المغرب شاهد بصحة نسبهم".

(2) مقدمة ابن خلدون، ص22.

(3) مقدمة ابن خلدون، ص22.

(4) تاريخ ابن خلدون، ص31.

(5) مقدمة ابن خلدون، ص22 (تاريخ سنة 460 وليس 402 هـ غير صحيح)

(6) الذي صنف كتاباً في الرد على الباطنية.

الاساسية منهجياً وتاريخياً ان الفاطميين وابنائهم لم يتركوا لنا كتاباً او مدرجاً يحتفظ فيه نسبهم ويؤشر الى اصل البيت الفاطمي واسماء اولاده من الذكور الفاطميين لفحص هذا النسب وتقويمه، مما سبب في رفض صحيفة نسبهم وفي اختلاف كبير حول حقيقة علاقتهم بآل اي طالب وفاطمة مع ترجحنا بصحة انتسابهم الى اسماعيل بن محمد - بن جعفر الصادق، ولماذا وقع الطعن اذاً في نسب الفاطميين وهوبيتهم ربما نستخلص هنا سببين لطعن العباسيين بالنسبة الفاطمي، الاول، هو ان الاسماعيلية انفسهم اخروا محمد بن اسماعيل الامام، جد عبيد الله المهدى، وسموه بالملكتوم خوفاً عليه من العباسيين واعدائهم الاخرين مما سهل الطعن بالنسبة واظهاره للملأ كحقيقة واقعة دون تردد، والثاني هو تقبل الرواة والمؤرخين لهذا الطعن ونقله وتدوينه في كتبهم غفلة منهم في قول ابن خلدون، عن التفطن لشواهد الواقعات وادلة الاحوال التي اقتضت خلاف من ذلك في تكذيب دعواهم⁽¹⁾.

ان اعداء الفاطميين كثيرون من امويي الاندلس واغالبة وغيرهم، لكن يأتي على رأسهم العباسيون، اكبر المنافسين للخلفاء الفاطميين على حكم وزعامة العالم الاسلامي طيلة فترة استمرارهم في الحكم، فهؤلاء بدئوا منذ مفتاح القرن الرابع الهجري سلسلة من الاجراءات تستهدف الطعن بأصل الفاطميين وتشويه سمعتهم وتکفير عقيدتهم الدينية، ومع ان العباسيين ساهموا بقدراتهم السياسية والدينية في وضع الروايات المروجة لهذه الاکاذيب والاتهامات والترويج لها من خلال عمالهم وصنائعهم، الا انهم حقيقة غير مسؤولين عن المشاكل التي يثيرها موضوع صحة النسب الفاطمي من عدمه، بالاحرى ان مسؤولية هذه الدعوى تقع في كثير من جوانبها والنتائج المترتبة عليها على النظام الداخلي للدعوة الفاطمية واشكالية العلاقة بين الامام ودعاته، وعلى وضع الامام المستقر والمستودع في الدعوة الاسماعيلية ونظمها الداخلي.

على ايه حال، لم تأت هذه المحاولات العباسية بثمارها الا في وقت متاخر من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي عندما ازال صلاح الدين الخلافة الفاطمية وصفي اعضاء البيت الفاطمي اخيراً، وهو حدث كبير في

(1) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص23.

تاریخ و مجریات النزاع العباسی-الفاطمی، فرغم جسامته، لم تتناطح فيه عنزان بقول
"شیخ المؤرخین العراقيین ابن الاثير"⁽¹⁾:

لقد جاء الفاطمیون الى الحكم في افريقيـة عن طريق الثورة بنجاح سـريع،
قضوا من خـلالها على حـکم دـولة الـاغالـبة ليتوسـعوا فيـما بـعد بـاتجـاه مصر سـنة
358هـ تماماً مثلـما جاء العـباسـيون قبلـهم لـحكـم العـراق والـعـالم الـاسـلامـي بشـورـة ضـد
الـامـوـيـن والـحلـول محلـهم فيـ حـکـم البـلـاد من خـلال التـأـكـيد عـلـى قـرـابـتهم من آل
الـبـیـت. لكن مـجيـء خـلـفاء مـتأـخـرون صـغـار كالـخـلـیـفة العـاصـد - من بـین اـمـور كـثـیرـة -
أـوجـد الـظـرـوف الملـائـمة لـصـلاح الدـین لـلـانـقلـاب عـلـیـهم وـتصـفـیـة حـکـمـهـم لـصالـح دـولـة
جـدـیدـة هيـ السـلـطـنة الـأـیـوـبـیـة.

(1) المـصـدر ذاتـه، صـ21.

1. ابن الاثير، عز الدين، الكامل في التاريخ، بيروت: دار صادر، 1968، م 8، ج 9.
2. ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، 1359، م 7، ج 8.
3. ابن تغري بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة : كوستاتسوماس، بلا ت، ج 3، .4.
4. ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، بيروت : دار الكشاف، بلا ت.
5. —، تاريخ ابن خلدون، بيروت: مؤسسة الاعلمي، 1391/1971، م 4.
6. حسن، حسن ابراهيم، الفاطميون في مصر، القاهرة : المطبعة الاميرية، 1932.
7. ماجد، عبد المنعم، ظهور الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر، ط 4، القاهرة : دار الفكر العربي، 1994.
8. مسكويه، علي، تجارب الامم وتعاقب الهمم، القاهرة : "شركة التمدن، 1974، ج 1.
9. المقرizi، تقي الدين، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح : جمال الدين الشيال، القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1367 / 1948.
10. Assad , A. Sadik, *The Reign of Al-Hakim Bi. Amr Allah*, Beirut : The Arab Institute, 1974.
11. Bosworth, C. E. "The Early Ghaznavids" In the Cambridge History of Iran, London, Frye ed. Comson, Cambridge University Press, 1975, vol.4.
12. Bosworth , C. E. , "The Political and Dynastic History of the Iranian word, "in the Cambridge History of Iran, Boyle ed. London : Cambridge University Press, 1968, vol.5.
13. Canard , M. Fatimids" , EI.2, II, 850-862

عماد الدين زنكي

وسياسة الجهاد تجاه الصليبيين

يأخذ عماد الدين زنكي اسمه في التاريخ العربي-الإسلامي من دوره في تكوين دولة وراثية في الموصل والجزيرة وبلاد الشام خلال النصف الاول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي بأسم ((الدولة الاتابكية)), ومن جهوده في مقاومة الامارات والممالك الصليبية الاربعة التي تكونت في اعقاب الحملة الصليبية الاولى في بلاد الشام (1097-1098/490-491) في كل من الرها وانطاكية وطرابلس والقدس، الذي جعل منه ومن سيرته بطلًا من ابطال الاسلام بدون منازع : فالزنكي يرجع الفضل في معالجة حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي كانت تسود مناطق الجزيرة والشام في اعقاب سقوط مملكة تتش السلاجوقية والحكم الفاطمي، التي كانت سبباً في تمكن الصليبيين من ممثلي السلاجقة والانتصار عليهم بسهولة بالغة لم يكن يتوقعها حتى الصليبيون انفسهم، واليه يرجع الفضل في تطوير حرب الجهاد المقدسة بدوره فيها (كغازي) و (مجاهد) لا يقهـر، والذي مهد لظهور تلك الشخصيات المعاصرة لتاريخ الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة، يقصد بذلك شخصية كل من نور الدين محمود، ثاني اولاد زنكي، وصلاح الدين الايوبي الشهيرتين... ولم تكن انجازات زنكي هذه من المسائل العادية التي يمكن لاي حاكم من حكام السلاجقة او تابعيهم من تحقيقها، بموجب اخفاق المحاولات السابقة التي قام بها عددٌ من الشخصيات الاسلامية الحاكمة هناك، قبل ان يربط زنكي مستقبله بحرب الجهاد، وبموجب الخطر الصليبي الناجم عن وجود وتوسيع الامارات الاربعة على امتداد بلاد الشام، بعد اختفاء مجتمعات اسلامية كاملة وحلول مجتمعات فرنجية محلها.

وبسبب هذه الانجازات المهمة، فقد حظى عماد الدين زنكي بأهتمام بالغ من قبل المهتمين بالدراسات الصليبية والمتخصصين فيها من مستشرقين

ومفكرين عرب، فدرسوا سيرته الذاتية ودولة الاتابكة وتاريخها السياسي، وبعض النظم والمؤسسات المرتبطة بها، بما في ذلك دور (الزنكيين) في مقاومة الصليبيين كالمقالة التي خصصها المستشرق الراحل هملتون كب (H. Gibb)، للوضع السياسي الذي عاشه عماد الدين زنكي بين وقت ظهوره وسقوط امارة الرها⁽¹⁾، ودراسة عماد الدين خليل الممتعة عن حياة وتشكيلات دولة هذا الاتابك⁽²⁾، وما تقدم به شاكر ابو بدر عن الحروب الصليبية والاسرة الزنكية⁽³⁾، او رسالة السيدة علية عبد السميع عن امارة الرها ودور زنكي في سقوطها⁽⁴⁾، اضافة الى ما اعتمدت عليه هذه الدراسات من مساهمات لعدد كبير من المختصين الاولئ في هذا الحقل⁽⁵⁾.

وبالرغم من فائدة هذه الدراسات في زيادة معلوماتنا التاريخية عن عماد الدين زنكي وتاريخ الدولة الاتابكية التي اسسها، وعن جهوده في محاربة الصليبيين ومقاومتهم، الا ان عماد الدين زنكي لم يدرس لحد الان كظاهرة تاريخية لاحداث الدولة السلجوقية التي سادت الموصل والشام خلال النصف الاول من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، بوجهه الخصوص لم يتوضّح لحد الان الخصوصيات التي تميّز بها شخصية زنكي، سواء كانت تلك التي تخص عمله السياسي والعسكري لأحد امراء السلاجقة ونتائج مؤسساته العسكرية، او تلك التي تخص اتابكيته والتي تساعده كليهما على تثمين دوره في تاريخ المنطقة والتاريخ الاسلامي ككل. ومن هذا، سوف نتعرف في هذه المقالة

(1) واحدة من مجموعة مقالات عن الحروب الصليبية نشرت في كتاب يحمل عنوان :

A History of The Crusades , ed. by K.M. Settom (2 vols.) Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1958, vol.2.

(2) هذه الدراسة في الاصل رسالة ماجستير منشورة بعنوان : عماد الدين زنكي (بيروت: الدار العلمية، 1971).

(3) بعنوان الحروب الصليبية والاسرة الزنكية (بيروت : الجامعة اللبنانية، 1972)، والكتاب يحتوي على معلومات نافعة.

(4) رسالة جامعية نشرت في : (القاهرة : مطباع سجل العرب، 1975).

(5) من بين ذلك ما ساهم به ستيفن راسمنان، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد الباز العربي (مجلدان : بيروت : دار الثقافة، 1967)؛ وما نشره سعيد عبد الفتاح عاشور وحسن حبشي؛ ورسالة محمد محمد مرسي الشيخ المنشورة عن : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها (الاسكندرية : دار الشغر، 1974)؛ وما كتبه رشيد الجميلي عن التاريخ السياسي لدولة الاتابكة في الموصل (بيروت : دار النهضة، 1970). وتجدر الاشارة الى ان تعبير (الصليبيين) الشائع الاستعمال هو من التعبيرات التي لم تكن تعرف زمن عماد الدين زنكي، الذي يقابلها في المصادر العربية (الفرنج) او (الافرنج)، اي المجتمعات الكاثولوكية التي تكونت في قلب بلاد الشام من اوروبا الغربية وقد استعمل تعبير الصليبيين هنا لما يقابل هذه المجتمعات الفرنجية. عن هذا التعبير شيوخه راجع :

Cl. Cahen (Crusades), EL. II, 63-66.

المختصرة على ظاهرة ارتقاء عماد الدين زنكي على مسرح الاحداث في الموصل والجزيرة والشام خلال الربع الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي، والظروف التي مهدت لظهوره، ودوره في تكوين الدولة الاتابكية، ثم نحلل بوجهه الخصوص سياسة عماد الدين زنكي في الجهاد ضد الصليبيين من حيث طبيعة هذه السياسة والخصائص المرتبطة بها، والتي توجت بانتصار زنكي في الرها على جوسلين الثاني سنة 539/1144. فقط انذاك يصبح بأمكاننا توضيح بعض القواعد التي استقر عليها عمل عماد الدين زنكي ونثمن دوره وشخصيته كبطل من ابطال الاسلام ومجاهديه. والآن ما هي الظروف التي مهدت لظهور عماد الدين زنكي وارتقائه الحكم على ولاية الموصل وكيف استفاد منها في تكوين اتابكته ؟

كان صعود عماد الدين زنكي للحكم في 521 / 1127 وبقائه على رأس الدولة التي كونها الى وقت مقتله في 541 / 1146 حدثاً مهماً وانجازاً كبيراً لشخص الاتابك : فقد كانت الموصل والجزيرة والشام قبيل ظهور زنكي تعيش حالة من الفوضى وعدم الاستقرار لا يوجد ما يشبهها في مناطق العالم الاسلامي كله⁽¹⁾ ، فكانت بأحوج ما يكون الى قائد ي العمل على وضع حدٍ لحالة الفوضى هذه، وكان الحل يكمن في شخص عماد الدين زنكي الذي كان يبحث عن مركزٍ مهم وثبتت لتعلقاته، بعد حالة الضجر التي ظلت تنتابه من جراء تحرك قواته الدائمة داخل دولة الخلافة، التي كانت تخضع لاشراف والي الموصل آق سنقر البرسقي وتوجيهاته وتضطلع بهمات عديدة وعاجلة ضمن مناطق نفوذ السلطة السلجوقية⁽²⁾ .

ترتب حاله الفوضى في المناطق الشامية والموصل بظاهرة تعدد حكام وولاة السلاجقة، فهي تسود معظم، ان لم نقل كل، المدن الشامية التي تخضع لحكمهم، ولو بالاسم وحده. ويرجع السبب في ذلك الى ان هذه المنطقة لم تشهد

(1) انظر :

M.G.S. Hodgson, *The venture of Islam* (Chicago : The University of Chicago Press, 1974)
, vol.2 , p.264.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، م 10، ص 588، 604، 622. وكان السلطان محمود قد اصدر اوامره بوضع وحدات من جيوش امراء الاطراف تحت اشراف والي الموصل آق سنقر البرسقي، وكان زنكي، بسبب تنقل القوة التي يرأسها قد ضاق ذرعاً بها كما يظهر من حواره مع قادة الوحدات التي تتبعه : ((كل يوم للموصل امير جديد ونريد خدمه، وقد رأيت ان اسير الى السلطان فأكون معه)), انظر المصدر ذاته، م 10، ص 623.

منذ انتهاء عهد السلاجقة⁽¹⁾ زمن ملکشاه قيام اية سلطة مركبة واحدة تخضع لها الولايات والمدن الشامية المتعددة وتلتزم بأوامرها. ومع ان هذا السلطان كان قد نجح في توحيد مناطق الموصل والشام تحت حكم السلاجقة مؤقتاً، الا انه هو الذي ازال باسم السلطة المركزية مجموعة الامارات والدول التي كانت تحكم بأسقراره ولايات المنطقة ومثلها، كالامارة العقيلية في الموصل وحلب، والدولة المروانية في ديار بكر⁽²⁾. وقد نجح الملك تتش بشكل مؤقت ايضاً في اعادة عمل اخاه ملکشاه في توحيد مناطق دمشق وحلب والموصى وديار بكر من بين مناطق اخرى الى مملكته، الا ان ذلك لم يدم طويلاً، اذ فوت عليه فرصة حكم مثل تلك المملكة في اثناء نزاعه على السلطنة مع ابن ملکشاه الكبير برکياروق، الذي نجح في التخلص من عمه تتش عشية الغزو الصليبي للمنطقة. وهكذا توّزعت مملكة تتش بين ولديه واتابكتهم: دقاق ورضوان وطغتكين، وعدد من امراء البيت السلاجقي ومن امراء الجيش من طبقة المماليك والغلمان⁽³⁾.

وما يختلف وضع الموصى عن ولايات ومدن الشام في ظاهرة تعدد الحكام ايضاً بعد زوال حكم العقيليين العرب عنها. وقد حانت لها فرصة من الاستقرار اثناء ولاية قسيم الدولة آق سنقر البرسقي والمكلف بمتابعة الحرب ضد الصليبيين. ولكن هذه الفرصة ضاعت ايضاً عندما تمكنت جماعة مكلفة من الباطنية (الاسماعيلية) باغتيال هذا الامير في قلب الموصى نفسها سنة 520 / 1126⁽⁴⁾. وكان والي الموصى يكلف من قبل السلاجقة بمتابعة حرب الجهاد التي كانت تتطلع بها حالياً دمشق بشخص الاتابك طغتكين.

وبالرغم من ان هؤلاء الامراء كانوا يمثلون السلطان السلاجقي في ولاياتهم ويعرفون بسلطته عن طريق الخطبة له، الا انهم كانوا على حالة لا يحسد عليها

(1) الذين حلو محل الفاطميين.

(2) قام بأداء هذه المهمة كل من فخر الدولة بن جهير، وزير الخليفة المقتدى في حينه وابنه عميد الدولة ووالد زنكي المدعو قسيم الدولة آق سنقر، من بين كثير من الاشارات راجع ابن الاثير، التاريخ الباهري في الدولة الاتابكية، ص5؛ العماد الاصفهاني، تاريخ دوله آق سلجوقي، ص76.

(3) راجع ابن الاثير، الكامل، م10، ص 244-48.

(4) وهو احد الشخصيات المتحكمة بسلطنة محمود، وكان مسؤولاً عن جملة من امراء السلاجقة من بينهم زنكي وقتل على يد الباطنية في جامع الموصى. ولم يكن ابنه مسعود، الذي كلف بمتابعة حرب الجهاد مع الصليبيين، بمستوى والده وكفائه. راجع عن آق سنقر البرسقي وسيرته ابن القلانسي، ذيل تاريخ مدينة دمشق، ص214؛ ابن الاثير، الكامل، م10، ص 34-633.

من الاستقلال والتصرف بعد تأمينهم الواردات للسلطان. وبسبب ذلك فقد سيطرت حالات الحسد وروح المنافسة والنزاع على موقف هؤلاء الى حد انها كانت تقرر نوع مواقفهم في قضية مثل حرب الجهاد وتحالفاتهم ازاء هذا الامير او ذاك، ثم التغير بسرعة فيما بعد، رغم ان حرب الجهاد لها خصائصها العامة المشتركة، مثلاً، كان والي الموصل الجديد مسعود يتحمل مسؤولية حرب الجهاد، الا ان ما كان يتطلع اليه وراء المشاركة فيها هو تملك المناطق الشامية الخاضعة لحكم طغتكين كما يشير الى ذلك ابن القلانسي⁽¹⁾. ويشتهر امراء التركمان بمثل هذه الخصائص من انهم كانوا يشكلون احد العناصر الرئيسية المشتركة في حملات الجهاد، وقد قدموا من اجل ذلك منتهى التضحيات اللازمة خلال سير هذه الحملة، ولذلك لا توجد ادنى دهشة في تلاؤ اميرها بتقديم المساعدة الازمة الى غريميه عند تعرضه لخطر خارجي⁽²⁾، كالتحدي الكبير الذي جاءت به الحملة الصليبية الاولى الى بلاد الشام في 490 / 1197، وبالنجاح الذي ادى الى تكوين الامارات الصليبية الاربعة، بالرغم من ان خصائص الوضع بين الصليبيين لم تكن تختلف عن الخصائص السائدة بين حكام المدن والولايات الشامية، اي حالات الحسد والمنافسة القائمة بين لورادات الصليبيين وباروناتهم، وبين الفرنج منهم والبيزنطيين من جهة اخرى وانعدام تمثيلهم بدولة قوية واحدة⁽³⁾. ولذلك سرعان ما اثرت الخصائص السياسية لمنطقة الشام على تصرفات الصليبيين ومواقفهم السياسية والمشاكل التي تترتب على ذلك من محالفات وغيرها.

وقد قلب عماد الدين زنكي بصفته اتابك وحاكم على الموصل والجزيرة والشام هذا الوضع بنجاحه في تكوين (دولة الاتابكة) من بين تلك المدن والولايات المجزأة. والاهم من ذلك في عدم سماحه بتكرار حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي عاشتها المنطقة مرةً اخرى، الى حد انه عندما حدث اغتياله

(1) لاحظ ما يقوله ابن القلانسي في ذيل دمشق، ص 17-216: ((انه [اي مسعود] عازم على النتأهب والاحتشد لقصد اعمال الشام ولللعبث فيها والافساد. فعزم ظهير الدين اتابك [اي طغتكين] على الاستعداد لقصده في عسكره.. فيوقع بعسكره ويشفي غليله بالفتنه بحزبه)).

(2) ويتوقع هؤلاء الامراء زوال الخطر دون ان تقع لهم اية كارثة.

(3) راجع ملاحظات هوجسن في : Venture of Islam, vol.2 , p.265

في 1146/541 لم يصب الدولة الفتية من الاضرار الا مبدئياً، بالرغم من ان اعداء الاتابك حاولوا اقتسام ممتلكاتها، وسرعان ما قام ابنه الموهوب نور الدين محمود بتكميله العمل بنجاح... فكيف حدث هذا واي من العوامل والمتغيرات ساعدت زنكي على تحقيق هذا الوضع الجديد للمنطقة؟

كان عماد الدين زنكي قبل قيامه بدور الاتابك لولدي⁽¹⁾ السلطان محمود وبده ولايته على الموصل في 1127/521 قد خدم ضمن تشكيلات الجيش السلاجوقى وتدرج في الرتبة العسكرية الى وقت وصوله رتبة امير في الجيش. وكانت علاقته مبنية بشكل خاص مع امراء الموصل ممن كانوا قبل ذلك اما زملاء في العمل مع والده قسم الدولة آق سنقر⁽²⁾ او ضمن تشكيلات قوته كالامراء من ولاة الموصل كربوقا وشمس الدولة جكرمش ومودود بن التوتين. الا ان نقطة التحول في حياة زنكي جاءت عندما ارتبط بآق سنقر البرسقي⁽³⁾، الذي كان يكلفه بشتى الواجبات والاعمال داخل العراق ابان اشغاله لولايته الموصل وشحنة العراق خلال حكم السلطان محمود كأعمال ولايته واسط والبصرة، وبعض المهام الحربية ضد عدد من الامراء المتمردين كدبيس امير

(1) وهما كل من الملkin آل-ارسلان وفرخشاه المعروف بالخفاجي، راجع ابن خلkan، وفيات الاعيان، 2، ص238؛ العماد الاصفهاني، تاريخ آل سلجوقي، ص188؛ قارن مع ابن الاثير، الباهر، ص71، بشأن هوية كل منهما وفهرد الخفاجي على نائب زنكي في الموصل في 1144/539.

(2) يجب التمييز بين قسم الدولة آق سنقر والد عماد الدين زنكي وبين الامير آق سنقر البرسقي، والي الموصل قبل زنكي بقليل بسبب وقوع الخلط بينهما، (انظر مثلاً محمود ياسين التكريتي، الديوبون في شمال الشام والجزيرة، ص23، هـ5، كما لم يكن زنكي ابناً لجركمش راجع رنسمان، مرجع سابق، م2، ص178. عن السيرة الذاتية لقسم الدولة آق سنقر والوظائف التي تقلدها وعن مكانته بين امراء السلطان ملكشاه راجع ابن الاثير في كل من الكامل، م10، ص33-232، الباهر، ص15. ويدرك ابن تغري-بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، م5، ص541، ان من بين القاب قسم الدولة لقب (الاتابك)، وهذا مما لا يرد في المصادر الرئيسية كابن الاثير وابن العظيمي، الذي يقتبس منه ابن خلkan في ترجمة عماد الدين زنكي، راجع وفيات الاعيان، م2، ص327-28. اما عن سيرة عماد الدين زنكي (477-541هـ)، فمن الضروري لایه دراسة هستيريوغرافية من القيام بمقارنة عامة بين ما يورده ابن الاثير عن زنكي وبين تلك التي يخص بها ابن القلانيسي في ذيل دمشق (مع اضافة ابن العظيمي اليهما)، لأن الاثنين يمثلان وجهات نظر متضاده. ولا ينفع ابن الجوزي في المنتظم من متابعة سياسة زنكي في الجهاد، الا انه مهم فقط من ناحية تمثيله لوجهة نظر الخلافة و موقف زنكي منها، الذي كان يتذبذب طبقاً لصالحه؛ كذلك ما يورده ابن كثير في البداية والنتهاية. واذا اردت مفصلاً لحياة عماد الدين زنكي فراجع عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ص31-45، ص87-169 ولكن يجب الا ينظر الى زنكي في محتوى غير النظم العسكرية السلاجوقية ومؤسساتها.

(3) راجع ما ورد قبلـاً، هـ7، هـ11.

الحالة، وتوليته العاجلة لشحنة العراق بعد عودته من دركاه السلطان⁽¹⁾. وكانت هذه المهمات وحدها كافية لأن تؤهل زنكي لاشغال أي منصب مهم ضمن اعمال السلطنة السلجوقية من تلك التي تستدعي رضاً وموافقة السلطان. الا ان تطلع زنكي كان موجهاً نحو اشغال ولية الموصل التي يرتبط بولاتها بأوثق الصلات.

يدين عماد الدين زنكي بمنصب ولايته على الموصل الى سمعة والده آق سنقر المتميزة، وهو الامير الذي يعترف بفضله في خدمة السلطنة السلجوقية بشخص السلطان ملكشاه، والى شخصية زنكي وقدراته العسكرية والسياسية المرتكزة على المناورة والتروغة مع الادارة السلجوقية، فكان من السهل عليه مثلاً التخلص من منافسه الضعيف على هذا المنصب وهو اخ صغير للامير الراحل مسعود لولا وجود جاوي المستأثر بالحكم بوصايته عليه. ولذلك لم تصبح الولاية من نصيب عماد الدين زنكي الا بعد ان أمن وفده مؤلف من ثلاثة اعضاء⁽²⁾ كان قد ارسلهم زنكي الى بغداد للتتفاهم مع انوشروان بن خالد، وزير السلطان محمود آنذاك هو لترشيح زنكي حيث تقرر ان يقدم الوزير هذا الترشيح مقابل معطيات مالية مجزية يتقدم بها زنكي لادارة السلجوقية والسلطنة، وبعد ان ضمن الثلاثة بدورهم مراكز عالية في ادارة زنكي الجديدة⁽³⁾ ويشمل ذلك منشور⁽⁴⁾ التولية، الذي صدر في رمضان 1127/521 على (الموصل والجزيرة ونصيبين وما كان بيد البرسقي)⁽⁵⁾ ضمن بلاد الشام.

كان عماد الدين زنكي مؤمناً بتكون دولة يتزعّمها، يطلق عليها ابن الاثير (الدولة الاتابكية) لخدمة طموحاته التي كانت موجهة لمعالجة مشكلة الصليبيين بالدرجة الاولى.. الا ان تكوين هذه الدولة كان يعني التوسيع على حساب الامراء المحليين، الذي لم يجد زنكي ترددآً فيه لأن سياسته تجاه الامراء والحكام

(1) هناك تفاصيل كثيرة عن هذه المناصب والتعيينات قام بدراستها وتصنيفها وتنسيقها عماد الدين خليل. انظر اعلاه، هـ 16.

(2) وهؤلاء هم كل من الامريين صلاح الدين الياغسياني، (امير حاجب) البرسقي سابقاً، والذي حل بنفس منزلته السابقة عند زنكي، ثم صهر الياغستاني، نصير الدين جقر، والقاضي البارع بهاء الدين الشهربوري. راجع عن دور هؤلاء الثلاثة في ولية زنكي : ابن الاثير، الكامل، م 10، ص 643-44، وانظر ابن تغري-بردي، النجوم الزاهرة، م 5، ص 541؛ ابن كثير، البداية والنهاية، م 11، ص 221.

(3) راجع ابن الاثير، الكامل، م 10، ص 644-45؛ وايضاً الباهر، ص 32.

(4) نص منشور التولية لا يرد في المصادر، ولكن ما ثبت مأخوذ من ابن الاثير الباهر، ص 12.

(5) ابن الاثير، المصدر السابق، ص 12.

المنافسين مركزه كانت تستقر على الاعتقاد بأن المعارضة المحلية ضمن منطقة حكمه والمناطق التي تحيط بها يجب ان تجتث وتقطع⁽¹⁾، بغض النظر عن ردود الفعل التي سيثيرها هؤلاء الامراء تجاه محاولته المرتبطة. ففي التوسع الجغرافي، كان ذلك يعني توجّه حملات زنكي نحو المناطق التي تخضع لحكم الارتقين التركمان في ديار بكر وجزيرة ابن عمر، ونحو مخلفات مملكة تتش في دمشق وحلب برئاسة طغتكين، وما الى شمالها وجنوبها من مناطق خاضعة للصليبيين والبيزنطيين. ولم يضيّع الوالي الجديد وقته منذ صدور المنشور بولايته للعمل على تكوين نواة اتابكيته.

بدأ زنكي بالقوة التي تحت امرته بحملة من الحملات السريعة المفاجئة، فأنهى اولاً خطراً جاوله بتعويضه منطقة الرحبة مؤقتاً، ثم قام بنفس السنة 1127/521 من مد نفوذه على جزيرة ابن عمر ونصبيين وسنجار وحران. وجاءت نقطة التحول في حملاته سنة 1128/522 عند عبور عماد الدين زنكي الفرات لأخذ حلب، التي كانت مهددة بالسقوط بيد الصليبيين والتي كانت في حالة تامة من الفوضى، لم يغب عن بال زنكي استغلال اوضاعها لصالح نجاح مهمته، اعقبها في 1129/523 بأخذ حماه التابعة لدمشق بحجّة الجهاد ضد الصليبيين⁽²⁾. وقد كانت هذه المناطق كافية لتكوين نواة الاتابكية التي عمل زنكي على تثبيت اسسها بنجاح، ويلاحظ بأن توسيع زنكي كان محصوراً في المناطق العربية والتركمانية من الموصل والجزيرة وديار بكر وشمال سوريا لمحاذاتها لمناطق التوسيع الصليبي في الشام. ولكن يلاحظ ايضاً بأن عماد الدين زنكي لم يوجه حملاته صوب اذربيجان او فارس مثلاً، التي كانت تقرر مستقبل السلطة السلجوقية، لأن محور اهتمام زنكي كان باتجاه مناطق النفوذ الصبيغي ولم يكن مهتماً بقضايا النزاع التي تدور بين امراء السلاغقة حول السلطة الا بقدر ما يقرر هذا النزاع شأن اتابكيته.

وكان فهو دولة الاتابكية يعني تصميم عماد الدين زنكي على الاحتفاظ بوضعه الجديد مهما كانت الصعوبات، وذلك بعدم التساهل مع اي تغير قد

(1) يقتبس ابن الاثير قوله لزنكي نصه : ((ان البلاد كستان عليه سياج، فمن هو خارج السياج يهاب الدخول، فإذا خرج منها من يدل على عورتها ويطمع العدو فيها زالت الهيبة وتطرق الخصوم اليها))، وهذا يعكس جانباً من فلسنته السياسية في الحكم، انظر الباهر، ص 79.

(2) عن تفاصيل هذه الحملات راجع ابن الاثير، الكامل، م 10، ص ص 47-645، ص 649-51.

يسبب اقالة شخص الاتابك وهذا التغيير كان يتسبب نتيجة لغضب السلطان الشخصي عليه لصالح مرشح جديد للولاية، او بسبب حدوث شيء ما لشخصه نتيجة لفعاليات الباطنية⁽¹⁾ في المنطقة التي تخطط لاعمال الاغتيالات السياسية وتحترفها، رغم الضربات الموجعة التي وجهت اليها⁽²⁾. والمعروف ان زنكي كان كثير الحذر مثل هذه المحاولات وقد طور حرسه الخاص كوسيلة من وسائل هذا الاحتراز. بينما كان السلطان السلاجوقى يأمل من زنكي ومن غيره من الامراء ان يتقدموا بأداء صنوف الطاعة الى شخص السلطان وعدم العصيان عليه بارسال احد اولادهم من الذكور الى الدرakah كرمز لهذه الطاعة، اضافة الى تأدية ما يتربى على الامراء من شروط الخدمة من تلك التي تمثل بمساهمات مالية وعسكرية لازمة لحملات السلطان اما بالحضور شخصياً الى الدرakah او بارسال قوة عسكرية الى هناك لتمثيلهم برئاسة احد المقدمين من الامراء. ولم يخل عماد الدين زنكي بأداء هذه الواجبات طيلة وجود السلطان محمود على رأس السلطة مستفيداً من وضعه كأتابك لولدي هذا السلطان، وبالاموال الجمة التي كانت تحت تصرفه. ولكن علاقة زنكي بكل من السلاطين طغرل الثاني ومسعود ظلت تتارجح طبقاً لمصلحة الاتابك العليا والامراء الذين في معيته. وكان مسعود قد شهر العداء لزنكي واراد التخلص منه لانه كان ينسب الى الاتابك مسؤولة كل المشاكل التي يواجهها في سلطنته من الامراء. وبعد استقراره نهائياً في السلطة، توفرت لمسعود فرصة للتوجه شخصياً بحملة كبيرة الى الموصل لتصفية خلافاته مع زنكي، ولكن السلطان تخلى عن هذا المشروع بعد ان تقدم ببالغ مالية كبيرة لشخص السلطان⁽³⁾. وكان بأمكان زنكي من جانبه ان يبقى بعيداً عن مركز

(1) بالرغم من تحركه لم يمنع من الوقوع فريسة لاغتيال بيد رجال من حرسه الخاص. وكان زنكي على علم بسلسلة الاغتيالات التي قام بتنفيذها رجال الباطنية ضد سابقيه من ولادة الموصل والامراء والشخصيات السلاجوقية. عن هذه النقاط راجع ابن القلانسي، ذيل دمشق، ص 285؛ العماد الاصفهاني، تاريخ ال سلاجوق، ص 190.

(2) وكانت الباطنية قد اصبت بنكسة كبيرة خلال حكم زنكي على اثر الضربة التي وجهت الى قاعدهم في دمشق سنة 523 / 1129 بسبب اجراءات حاكمها تاج الملوك بوري، خلف طغتكين، راجع ابن الاثير، الكامل، م 10، ص 656-57؛ ابن القلانسي، ذيل دمشق، ص ص 221-23.

(3) كان السلطان محمود ميالاً للatabak ومعجبًا بشخصيته ويحتفظ بعلاقات جيدة معه، ولكن السلطان مسعود يقف على النقيض ويقول ابن الاثير بهذا الصدد بأن السلطان : ((كان قد تجهز لقصد اتابك زنكي، وبأنه كان قد حقد عليه حقداً شديداً بسبب ما ينسبه مسعود الى زنكي من اثارته لامراء الاطراف ضده)), راجع الكامل، م 11، ص 93؛ وانظر ايضاً ابن الاثير، الباهر، ص 65.

السلطنة متى ما اراد بحجية اشغاله بحرب الجهاد التي يترأسها الان عملياً. يضاف الى ذلك بأن علاقه زنكي بالسلطان كانت تتأثر بعامل جديد لم يكن يدخل في حساب واضعي السياسة السلاجوقية ايام عهد السلاجقة، وهو دور الخليفة في تحديد الاتجاهات السلاجوقية وفي تعين الولاية على اثر قيام الخلفاء العباسين بممارسة سياسة النهوض والاستقلال بالخلافة التي طور سياستها ثلاثة خلفاء من معاصري عماد الدين زنكي هم كل من المسترشد والراشد والمقتفي بالتتابع. وكانت هذه السياسة تستهدف طرد السلاجقة من بغداد ومبشرة الخليفة لمهام الامر بنفسه عن طريق احتفاظ الخليفة بجيشه خاص بها وقيادة الحملات شخصياً وتحقيق الاستقلال المالي، تلك السياسة التي حولت اهتمام السلطان صوب بغداد اكثر من اي شيء اخر كحرب الجهاد للحفاظ على امتيازات السلاجقة هناك⁽¹⁾. وكان زنكي في المنطقة التي يتحكم بها مصدر المشاكل بالنسبة لهؤلاء السلاطين والخلفاء بعد تمركزه في ولاية الموصل ونجاحه في تكوين دولة الاتابكة فيها. ولكن الاتابك كان قد ترك بالتدريج امر التدخل في شؤون السلطنة والخلافة لصالح مسألة حرب الجهاد التي يسعى متابعتها.

على اية حال، فقد اعطى الوضع الخاص بالسلطنة زنكي ما يتتوفر له من وقت لازم لان يقوى اسس الدولة الجديدة (التي تكونت بفضل حملاته العسكرية الناجحة)، من تكوينه جيش خاص بالatabka الى نظام مستقر للادارة على طريقة زنكي السياسية في الحكم. وكان زنكي شخصاً مهماً في تحرير امور السياسة السلاجوقية، ولكنه لم يكن مولعاً في ربط مصريه بمستقبل السلطنة⁽²⁾، بالرغم من ان صفة وضعه كatabk كانت تسمح له بالمنافسة مع بقية الامراء الكبار عن طريق ترشيح احد اولاد السلطان محمود لها، والسبب في ذلك يرجع الى ان زنكي كان في طريقه لان يصبح (سلطاناً غير متوجاً)، دون ادنى حاجة

(1) ينسب ابن خلكان قوله الى ابن العظيمي (الذي كان معاصرأً لزنكي والذي لم يصل جميع تاريخه الينا الا ما بقي منه محفوظاً في مكتبة المتحف العراقي، مفاده بان الخليفة المسترشد هو الذي رشح زنكي دفعاً لغريمه دبيس بن صدقه المزیدي، راجع وفيات الاعيان، م، 2، ص 328-329.

(2) كان زنكي في البداية واحداً من امراء السلاجقة المنغمسين في مسألة الصراع حول السلطنة، ولكنه تخل عن هذا الموقف خلال النصف الثاني من فترة ولايته (530-541هـ) لصالح سياسته الخاصة بالجهاد. عن تفسير اخر يغاير هذا الرأي راجع عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ص 227.

لمنزلة الاتابك لولا مقتله المفاجئ الذي جاء في اعقاب تحوله الى اهم شخصية في المنطقة على اثر انتصاره في الرها على الصليبيين. الا ان المعارضة الحقيقة لعماد الدين زنكي كانت تصدر دائمًا من جهة الامراء والحكام المحليين ممن كانت مصالحهم تهدد بالضرورة لسياسة زنكي في التوسيع والجهاد.

وواضح ان عماد الدين زنكي لم يتمكن في التخلص من كل القوى التي كانت تعارض تطلعاته من زاوية حرب الجهاد كالحادثة التي تسربت في مقتله عشية محاولته التخلص من احدى هذه الحلقات⁽¹⁾، فمثلاً، كانت دمشق، اهم تلك القوى المنافسة، تحكم من قبل افراد اسرة طغتكين وتتمتع من وجها نظر المسلمين والصلبيين بأهمية سياسية وستراتيجية كبيرة، ولكن زنكي لم يفلح في ضمها الى دولته رغم محاولته العسكرية والسياسية التي وقعت خلال سني 1135/529، 1138/532، 1139/534، 1140/540، وفي 1045/533⁽²⁾، كذلك في عدد من محاولاته مع امراء الاراقنة من الذين لم تؤثر فيهم حملات زنكي العسكرية او مصادرات الزواج التي عقدتها معهم كالمير حسام الدين تمرتاش، صاحب ماردین وحليف جوسلين الثاني، امير الرها وغريم عماد الدين زنكي، بالرغم من ان اسلوب المحالفات هذا كان مسموحاً به من قبل واضح السياسة الرنكية، زنكي نفسه.

يرجع اهتمام المؤرخين المسلمين بسيرة عماد الدين زنكي الى ما حققه هذا الاتابك في مجال حرب الجهاد (كغازي) و (بطل) من ابطال الاسلام العظام، بينما يرجع بغض الصليبيين له الى اجهازه الكبير عليهم في الرها، اولى الامارات الصليبية التي اختفت من خارطة بلاد الشام السياسية، التي بسببها جاء تنظيم الحملة الصليبية الثانية: فاذا كان العماد الاصفهاني ينص على ان عماد الدين زنكي هو (قطب يدور عليه فلك الاسلام)⁽³⁾، تتعذر بعض المصادر المسيحية، على

(1) عند محاصرة زنكي لقلعة جعبر التابعة للامير العقيلي سالم بن مالك، وعن الروايات الخاصة بهذه النقطة راجع ابن الاثير، الكامل، م 11، ص 109؛ ايضاً الباهر، ص 74-75؛ ابن القلانسي، ذيل دمشق، ص ص 348-385.

(2) وهي تتضمن الدعوة التي وجهت لزنكي من شمس الملوك ومشروع زواجه من زمرد خاتون، ثم محاولة زنكي لأخذ دمشق بالقوة عن طريق الحصار. وجاءت محاولته الاخيرة بعد انتصاره في الرها ولكن زنكي ارجأ المشروع ولم يتحقق كلياً. للمعلومات عن هذه المحاولات راجع ابن الاثير، الكامل، م 11، ص ص 20-21، ص 50، ص 69؛ ابن القلانسي، ذيل دمشق، ص 284.

(3) العماد الاصفهاني، تاريخ آل سلجوقي، ص 186.

عكس ما هو معروف عن الاتابك (بالجن) و (الغدر) لانه في هجومه على الراها ضيق واجهز عليها كزحف الشعابين على فريستها⁽¹⁾. واذا كان زنكي قد اراد من تكوين دولة خاصة به ان يكون هو على رأسها في الحكم من اجل تخصيص موارد وطاقات تلك الدولة لمحاربة الصليبيين واحتلال حصونهم وقلاعهم من الشام فلماذا كان مهتماً بحرب الجهاد وما طبيعة وخصائص سياسته بهذا الخصوص؟ سنستعرض اولاً وضع الصليبيين في بلاد الشام والمشاكل الرئيسية التي كانت مسؤولة عن هزائم المسلمين امامها، ثم نتعرف على طبيعة وخصائص واهداف سياسة زنكي في الجهاد حتى نتمكن من تقويم مساهمات زنكي في هذا الحقل.

لقد نجح الصليبيون قبل مجيء عماد الدين زنكي في تثبيت قواعد الحكم في الامارات الصليبية الاربعة التي تم تكوينها في الراها وانطاكيه وطرابلس والقدس بمساحة تمتد ما بين ماردين من الشمال الى العريش في الجنوب، بحيث لم يبق طبقاً لقول ابن الاثير مما يحتفظ به المسلمون من ولايات الا حلب وحمص ودمشق وبعض الاعمال والحسون التابعة لها⁽²⁾، كما مدوا سلطتهم على الموانئ الساحلية لبلاد الشام (باستثناء عسقلان)، للحافظ على خطوط مواصلاتهم الدفاعية مع اوربا، التي تحرسها وقدها اساطيل المدن الايطالية. واخيراً جَد الصليبيون في بناء عدد من القلاع الداخلية لاستعمالها لاغراض الدفاع والهجوم على مدن بلاد الشام والجزيرة بحيث اصبحت اعداد من المدن الامامية التي بقيت في حوزة المسلمين مهددةً بالسقوط، رغم دفع الفرائب المباشرة للصليبيين ورغم الاموال الجمة التي كانت تقدم لحكامهم بأمل الحفاظ على حياة ومتلكات سكانها⁽³⁾. وقد كانت هذه التغيرات بحد ذاتها كارثة كبيرة لسكان بلاد الشام، التي لم يدرك خطورتها المسلمين في مناطق العالم الاسلامي الاخرى الا تدريجياً، وبإجراءات عسكرية عاجلة لتهيئة خواطر المنكوبين وويلاتهم : فقد قمت تصفية مجتمعات هذه الولايات والمدن التابعة لها بمذابح جماعية لسكانها من العرب - المسلمين وحلت محلها مجتمعات كاثوليكية من

(1) راجع النص في الجنزوري، امارة الراها الصليبية، ص 386 وما بعدها، وهي لرسيس، بطريق الارمن.

(2) ابن الاثير، الباهر، ص 33.

(3) المصدر ذاته.

الفرنج مكونة من جماعات اللوردات والبارونات والقساوسة والتجار وعامة الناس، وتجمعت لديهم ثروات طائلة جداً لم يحلم الاوربيون بأمتلاكها في يوم من الايام بدون التصفية لحاجات وممتلكات سكان هذه المجتمعات.. وباختصار كان الصليبيون قبل مجيء عماد الدين زنكي يعيشون قمة انتصاراتهم، وفي وضع الهجوم، وبيدهم المبادرة في قيادة الحملات⁽¹⁾، التي لم تتوقف بالاندفاع نحو مدن الشام الداخلية.

وعلى العكس من ذلك، كان الوضع في المدن والولايات الاسلامية، الذي يتسم بالفوضى وعدم الاستقرار، كما نوهنا سابقاً، نتيجة ما اصابه من تفكك بعد سقوط مملكة تتش السلاجوقية، فكانت انتصارات الصليبيين باعثاً على اثارة الفزع والخوف في سكان المدن التي ظلت بحوزة الامراء المسلمين، بحيث نقرأ في المصادر عن هجرات كثيرة للفلاحين والمزارعين من قراهم ومدنهم وعن استغاثات لانقاذ سكان هذه المدن دون جدوى⁽²⁾. وكانت حالة الخوف من السقوط بيد الصليبيين واضحة بشكل خاص في حلب، التي كانت تحمل في نظر هـ جب ميزان التوازن بين الجماعات المسيحية والاسلامية، والتي عولجت من قبل عماد الدين زنكي مباشرة⁽³⁾. وكل هذا يدلل على ان مشكلة المسلمين الرئيسية ازاء الصليبيين كانت تدور حول افتقارهم الى قيادة ثابتة تقود سير حملات الجهاد ضدهم، والتي لم تنجح لحد الان في معالجة التوسع الصليبي واحتواه.

لم تكن المشكلة بالنسبة لحرب الجهاد مع الصليبيين اي نقص في عدد المقاتلة المسلمين او في تغلب الصليبيين عليهم بكثرة العدد، فقد كان للمسلمين سيل من المقاتلة والمتطوعة التركمان المتحمسين للجهاد بصفة خاصة، ما يغمر به الامارات الصليبية الاربعة مجتمعة، بالرغم من ان الامدادات البشرية من الفرنج كانت تصل باستمرار للصليبيين على شكل فرسان ومحاربين. كما لم تكن المشكلة ايضاً اي نقص في حماس الامراء الديني عند مواجهتهم لقوى الصليبيين او منازلة فرسانهم : فقد كانت هناك باسم الجهاد حملات اسلامية

M. Hodgson Venture of Islam, vol.2, p.265 (1)

(2) وقد استغلت الباطنية هذا الوضع لصالحها.

(3) وهي نقطة الاساس في مقالته راجع : Gibb (Zengi and the fall of Edessa), p.449

يوكل بها السلطان والى الموصل او نظيره من مال السلاجقة طالجة اعتداءات الصليبيين وتهديداتهم للمدن الشامية المستهدفة. ولكن هذه الحملات لم تتوقف في درء خطر الصليبيين عن المدن والولايات الاسلامية ولا حتى مؤقتاً، وكل ما ينتج من هذه الجهود في حالة الانتصار هو اخذ اعداد لا بأس بها من اسرى الصليبيين وامرائهم لادامة روح الحماس والتفاوض. اما في الحالات العامة فكثيراً ما كانت هذه الحملات تفضي الى هزيمة موجعة لامراء المسلمين المشاركون في الحملة بسبب الاختلافات التي تحدث بين امراء العسكر ومن حصل على نصيب المشاركة والتي قد تؤدي الى التحاق احد من هؤلاء الامراء الخارجين بالعدو الصليبي كما حدث في حملات سنة 505هـ و 508هـ لكل من رضوان وطغتكين وايلغازى، وكل ذلك بدون شك يعكس حالة التجزئة وفقدان القيادة الحازمة لسير هذه الحملات ونجاحها⁽¹⁾. وقد جهز عماد الدين زنكي بأتابكيته القاعدة الالزمة لتحقيق الاستقرار، وبشخصيته القيادة التي تتمكن من قلب الموازين لصالح المسلمين. فلا غرابة في عودة الاستقرار الى سكان المناطق المستهدفة تدريجياً وفي تحول زنكي من واجب الدفاع عن المدن الاسلامية الى الهجوم على مراكز الصليبيين الامامية، الامر الذي سبب في استعادة القلاع والمدن الشامية تدريجياً ابتداءً بحصن الاثارب في 524هـ/1130. الا اننا يجب ان نتبه الى ان هذا التحول في وضع المسلمين لم يأت نتيجة لجهود زنكي وحدها، واما يدخل في ذلك جهود عدد من الامراء المعروفيين في مجال محاربتهم للصليبيين ومقاومتهم قبيل استلام زنكي للمسؤولية.

لم يكن عماد زنكي اول حاكم بين حكام السلاجقة ممن نادى بسياسة الجهاد ضد الصليبيين وطلب تطبيقها ومتابعتها ضدهم لضمان نجاح المسلمين عسكرياً وسياسياً، فقد كانت هذه المسألة من الواجبات المفروضة على كل مسلم تابع لهذا الدين الحنيف. كما لم تكن عملية التطبيق والمتابعة هذه وفقاً على احد من الامراء دون غيره، بالرغم من ان الاوامر المرسلة لهم في هذا المجال كانت تصدر باسم الخليفة والسلطان معاً، فقد كان التركمان ورؤساؤهم من اخلص الامراء في محاربة الصليبيين، ولكن تحمل المسؤولية اصبح بالتدريج من

(1) التفاصيل يوردها ابن الاثير، الكامل، م 10، ص ص 509-513

مهام ولاة الموصل ودمشق وامراء التركمان بسبب اوضاعهم الستراتيجية والعسكرية والمالية التي يمثلونها، وبسبب قربهم من الصليبيين وتهديداً لهم بواسطة سياسة التوسع التي يمارسونها انطلاقاً من قلاعهم وحصونهم الامامية. ففي هذا الاطار ظهرت شخصيات لا تقل اهمية عن عماد الدين زنكي وسبقته في اداء واجب الجهاد على خير ما يجب، مثلاً، الامير طغتكين، حاكم دمشق، كان كرذبي اتابكاً ومجاهداً جيداً، فكان اهم شخصية في حرب الجهاد خلال سنوات الربع الاول من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي (ت 1128/522)، بالرغم من محالفاته الاولى التي عقدتها مع الصليبيين⁽¹⁾. وقد حدث هذا عند اضطلاع عماد الدين زنكي بأعمال ولاية الموصل، الذي عوض بظهوره عن عمل هذه الشخصيات ووفر القيادة الازمة لنجاح مهمة الحرب مع الصليبيين. ولكن هناك فرقاً اساسياً بين ما عمله عماد الدين زنكي في هذا المجال وبين ما انجزه سابقوه من الامراء في ان زنكي كان قد نجح في اثاره روح جديدة للمقاتلين تتناسب مع روح وطبيعة حرب الجهاد، وفي انه قلب المعاوزين على الصليبيين بواسطة اتابكيته التي ساعدت بأمكاناتها الكبيرة على اخذ زمام المبادرة من الصليبيين، بعد تخلصه الى حد ما من حالة التمزق المسؤوله عن اخفاق المحاولات السابقة. ويرجع السبب في هذا الى ان عماد الدين زنكي كان قد تهيأً لمواجهة الصليبيين منفرداً، فلم تكن تتوفر لهؤلاء الامراء الامكانيات التي توفرت لزنكي على شكل (دولة الاتابكة)، كما انهم كانوا يعترفون بحالة من التعايش مع امراء الصليبيين قادتهم فلم يكن في محاولتهم شيء من التسرع، بل كانت تعتمد على ما تسنح لهم الفرص من حملات لاستعادة ما فقد منهم في جولتهم السابقة بعد تحرشات الصليبيين بأحد المراكز التابعة لهم، بخلاف عماد الدين زنكي، الذي كان يرى بأن هذه المهمة تشكل الحجر الاساس في واجباته الحربية لأن زنكي كان قد ربط مصيره بحرب الجهاد، ولكنه كان مجبراً على التirth في المواجهة الى وقت استكمال الاستعدادات الازمة حتى لا يتعرض للهزيمة التي ميزت عمل سابقيه من الامراء ، وحتى

(1) راجع عنه ابن القلansi، ذيل دمشق، ص 218-220؛ واشارة ابن الاثير، الباهر، ص 38؛ وانظر :

F. Gabrieli, Arab Historian of the crusades, p.40

ومثل اخر في شخص واي الموصل آق سنقر البرسقي كما نوهنا سابقاً.

يتمكن من توجيه الضربات الموجعة لهم بنجاح، تلك الاستعدادات التي كانت تتطلب منه معالجة موقف الامراء المحليين اولاً الا اننا يجب ان ننوه ايضاً بأن استلام عماد الدين زنكي مسؤوليات حرب الجهاد لم يلغ من واجبات نظرائه من الامراء في تجهيز حملات مماثلة، عادية لمواجهة توسيعات الصليبيين في مناطق نفوذهم، مثلًـا الحملة التي قادها الامير بزاوش، مقدم العساكر الدمشقية ضد فرنج طرابلس الشام في 1137/531 بالتعاون مع جمع من المتطوعة والتركمان⁽¹⁾ ، او الهجوم الذي قام به التركمان قبل ذلك⁽²⁾ (1133/527)⁽³⁾ على طرابلس نفسها بحيث اوشكوا على اخذ قلعة بعرین الحصينة، الذي لم يتحقق الا على يد عماد الدين زنكي في 1137/531 ولكن ما هي الاسباب التي كانت تدعى عماد الدين زنكي الى الاهتمام بحرب الجهاد ومقاومة الصليبيين وما هي سياسته في هذا الصدد ؟

كما قلنا، كان عماد الدين زنكي قد ربط مصيره بحرب الجهاد وليس بمستقبل السلطنة، ولكنه كان يتريث في منازلة الصليبيين حتى تقرر قواعد حكم اتابكيته وحتى تستكمل مهمة تهيئة وتوسيع العسكر الذي يضطلع بمهمة الجهاد. وكان زنكي، بالطبع، اميراً متھمساً للجهاد ولا يتردد في اخذ الاجراءات اللازمة من اجل مقاومة الصليبيين ودرء اخطارهم ولكن زنكي كان يستعمل حرب الجهاد كوسيلة من وسائل التوسيع لدولته الاتابكية ايضاً، فقد كانت هذه الحرب بالنسبة لزنكي تفتح مجالاً للتوسيع في جبهتين متداخلتين :

1- المدن والقلاع التي كانت تخضع لحكم الامراء المحليين من الذين تصدوا لسياسة زنكي وتوسيعه في الشام، او من الذين رفضوا الاعتراف بسيادة زنكي عليهم من الاتابكة والتركمان وامراء العرب، كأتابك دمشق وبعض من امراء الاراقنة وبني منقد.

2- القلاع والمدن التي كانت في حوزة الصليبيين، كان سقوطها بيد زنكي يسبب سمعة كبيرة له كمجاهد و (غاز)، والتي تساعده بدورها على التخلص من

(1) ابن الاثير، الكامل، م 11، ص 50.

(2) ابن الاثير، المصدر السابق، م 11، ص 7؛ المصدر ذاته، م 11، ص 11-12. فموجز اخر بشخص شمس الملوك، الذي خرج لمواجهة الصليبيين مع حشد كبير من التركمان وغيرهم؛ وانظر كذلك، م 10، ص 684، بالنسبة لما عملوه في بانياس.

(3) المصدر ذاته، م 11، ص 51.

ضغط السلطنة عليه عن طريق الشهرة التي يحصل عليها والاموال التي تأتي بها نتائج هذه الحملات (مع ان السلب والنهب او الاثراء الشخصي على حساب الصليبيين لم تكن من صفات عماد الدين زنكي او لها دخل بحملاته كمجاهد)، ذلك ان حكام الولايات من الذين واجهوا خطر السقوط بيد الصليبيين كانوا يخشون قوة مثل تلك التي يمثلها عماد الدين زنكي بأن تأتي الى نجدهم، لانه في حالة دعوته لقوة من هذا النوع لتقديم المساعدة اللازمة لهم في مجابهتهم مع الصليبيين، فأن قوة زنكي هذه سوف تستحوذ على المنطقة التي دعيت اليها وتضمها الى ممتلكات سيدها الاتباك، بلا محالة فمثلاً، في 1130/524 ظاهر عماد الدين زنكي بجهاد الصليبيين فأستجاب له امليك بوري، حاكم دمشق، فما كان من زنكي الا ان اوقع به وملك حماة التابعة ادارياً لدمشق⁽¹⁾ .. ونفس الشيء يقال عن المخاوف التي لازمت زنكي عندما تقدم الى السلطان مسعود بطلب المساعدة العاجلة بعد التهديد البيزنطي-الصليبي الكبير لمدن الشام (حلب)، على اثر نجاح زنكي في اخذ قلعة بعرین من الصليبيين في 1137/531⁽²⁾، ولم يتخلص زنكي من تهديدات مسعود بالزحف صوب المناطق التابعة لزنكي (باسم المشاركة في الجهاد، الا بعد شراء عماد الدين ذمة السلطان ببالغ مجزية). الا ان زنكي كان محقاً في نوع الاجراءات التوسعية التي يقوم بتبنيها ضد الامراء المحليين لانهم كانوا مسؤولين عن تبلور شتى صنوف الخلاف بين جماعة الامراء من المشاركون في حملة الجهاد، وذلك في اللحظات الحرجة التي كان المسلمين يتوقعون تسجيل انتصار لهم على الصليبيين مثلاً. وكان زنكي يهاجم ممتلكات احد الامراء المحليين من يقف حجر عثرة بوجه توسيعاته او في استقرار اتابكيته بعد كل انتصار يحققه على الصليبيين. ولم يكن عماد الدين زنكي بغافل عن علاقة هذه الخلافات بهزائم المسلمين المتكررة قبله، فكان مصمماً، بهذه السياسة على عدم تكرار مثل هذه الحالات تحت زعامته وان كان في ذلك تهديد مباشر لمصالح الامراء المحليين وامتيازاتهم.

(1) راجع ما ورد قبلأ.

(2) ابن الاثير، الكامل، م 11، ص 95، تمعن في قول زنكي بعد انحسار الخطر : ((بأن لا يستصحب من العسكر احداً))، وفي رد السلطان : ((بأن العسكر قد تجهزوا ولا بد من الغزاة الى الشام)), وتعليق ابن الاثير: ((وم يعد العسكر الا بعد الجهد وبذل الخدمة العظيمة له (للسلطان) ولاصحابه)) !!

هناك لذن بعض التضارب في سياسة عماد الدين زنكي الخاصة بالجهاد: في بينما كانت هذه السياسة تتطلب منه ازالة العرقل التي تقف بوجه نجاح حربه مع الصليبيين، اي التجزئة وتعدد القيادة متمثلة بتلك القوى التركمانية والمحلية المجاورة لاتابكيته والتي تمكّن منها زنكي باستثناء حكم اسرة طغتكين وبعض الامراء من العرب والتركمان، كانت نفس السياسة تستقر على مبدأ الجهاد وتتتفع منه، التي تتطلب تلبية الامراء نداء الجهاد متى ما طلب منهم ذلك، وهم في هذه الحالة تحت قيادة زنكي الذي يدعوه هو الامراء عن طريق مراسلاتة الى الالتحاق به لغرض تحويل التزاماتهم الى موقف عسكري وسياسية ثابتة.

على اية حال، فقد كانت سياسة عماد الدين زنكي بمسألة الجهاد تقضي الضرب اولاً بشدة في تلك المناطق الصليبية المتاخمة لحدود الولايات الشامية والتي تشتمل على عدد من القلاع والمحصون الدفاعية-الهجومية كالاثارب وحاصرو وبعررين وغيرها (عادةً بواسطة قوة زنكي النظامية او بالحملات التي يضطلع بها امرأوه، وبواسطة تلك القوى التي تلبي واجب الجهاد من الذين يؤدون نداء زنكي اما اختياراً او خشية من بطشه)، ثم التحرش فيما بعد بمتلكات الامارات الصليبية الاربعة مباشرةً، خاصة تلك التي تخص امارتي الرها وانطاكية⁽¹⁾. ولكن عماد الدين زنكي لم يكن مولعاً من وراء حشد هذه الطاقات بتكونين جهة اسلامية كما تدعي دراسة عماد الدين خليل عن زنكي لأن مثل هذه الجبهة لم تكن قائمة ولا يوجد لها من اساس في سياسة زنكي، بالرغم من وجود بعض من الحقيقة لها في الفترة التي سبقت حكم الاتابك عندما كان سلطان السلاجقة محمد يدير حرب الجهاد⁽²⁾. صحيح ان الامراء المسلمين كانوا يحاربون من اجل قضية عامة مثل الجهاد، ولكن لم تكن هناك جهة بهذا الاسم زمن عماد الدين زنكي: فأتابكية دمشق، التي تلعب دوراً مهماً في سياسة المنطقة

(1) عن حملات الامير اسوار وتاريخها راجع ابن الاثير، الكامل، م 10، ص 685، م 11، ص 9-8. وكان زنكي يضطلع عادة بأداء امهات الرئيسة المستهدفة قلاع الصليبيين ومحصونهم، بينما كان اسوار يكلف متابعة الجهاد في مناطق حلب وقد قام اكثر من مرة بايقاف هجمات الرها والاذقية والقدس.

(2) هذا الرأي يتكرر في عدد من المصادر الثانوية المتداخلة، راجع مثلاً عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ص 165؛ محمد محمد مرسي الشيخ، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها، ص 300-301؛ محمود ياسين التكريتي، الايوبيون في شمال الشام والجزيرة، ص 135 (والمصدر التي يشير اليها. قارنه بما يذكره شاكر ابو بدر، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية، ص 69. وكان هدف زنكي تكوين امارة خاصة به وليس ايجاد جبهة اسلامية موحدة لان الجبهة من خصائصها المحافظة على حكم الامراء المحليين، بينما كانت سياسة زنكي تستهدف التخلص منهم تباعاً.

على مستوى الصليبيين والمسلمين سويةً، كانت لها وجهة نظرها في هذا الموضوع، وكانت سياسة عماد الدين زنكي تستهدف الاستحواذ على دمشق، وحملاته غير الموقفة لضمها والتي تعكس فيها هذه السياسة حتى اواخر ايام حياته، ثم ان الامراء التركمان كان لهم نشاطهم الخاص وميزاتهم الحربية الخاصة بهم، التي من اهمها عدم الاعتراف بقيادة ليس لهم ارتباط بها، كما كان زنكي يقوم بالتوسيع في اراضي امرائهم تدريجياً، وكان سلاجقة الروم لهم مشاكلهم ومشغولون في استعادة ما فقدوه للامبراطور يوحنا كومين، واخيراً كان الفاطميون في نظر السلاجقة هراطقة المسلمين وكانوا فرحين بالهزائم التي حلت بالسلاجقة على يد الصليبيين. وقد وجدت مثل هذه الجهة بين البيزنطيين والصليبيين عندما عرض عماد الدين زنكي ممتلكات امرائهم للخطر، كما تم اقتراح مثل هذه الجهة بين الفرنج والمغول عندما اضطُلَعَ المماليك البحريَّة بواجبِ الجهاد، الا ان عماد الدين زنكي لم يعمَل على تكوين مثل هذه الجهة وليس هناك في سياسته ما يؤيد ذلك، مع ان هذا لا يعني بأن الاتابك لم ينتفع من حربِ الجهاد ومن مواقف عدد من الامراء منها تلبية لنداءاته عند تعرضه للخطر او للهجوم، او في اثناء تعرض الاخرين غير زنكي للهجوم من الصليبيين وتلبية لدعوة السلطان بذلك.

وللتوسيح عملياً بامثلة نقول بأن اول انتصار لعماد الدين زنكي على الصليبيين كان في حصن الاثارب سنة 1130/524، مع ان هذا اللقاء لم يكن اول مشاركة له في حربِ الجهاد، التي تعود الى ايام واي الموصل مودود في حملته على طبرية⁽¹⁾. ويأخذ انتصار الاثارب اهمية متعددة: فهذه المعركة اختبرت قبل كل شيء قوة الدولة الجديدة التي اوجدها زنكي وقيادة مؤسستها الاتابك، كما ان هذه المعركة عرفت الفرنج (الصليبيين) بالقيادة الجديدة للمجتمع العربي- الاسلامي ضمن منطقةِ الجهاد المواجهة للصليبيين، والتي باشرت بعمليات هجومية ناجحة في الاثارب وحارم تفسر من قبل ابن الاثير على ان مشروع التوسع على حساب الاراضي الاسلامية قد انتهى⁽²⁾، فهو نقطة تحول في سير العمليات الصليبية للمسلمين والفرنج سويةً. واخيراً توضح هذه المعركة حالة

(1) ابن الاثير، الكامل، م 11، ص 112؛ وانظر ايضاً الباهر، ص ص 80-81.

(2) ابن الاثير، الكامل، م 10، ص 663.

الثنوية في سياسة زنكي المتمثلة في متابعة الجهاد من جهة واستغلال الانتصار من اجل التوسيع على حساب الامراء الآخرين من جهة اخرى كاستحواذه على سرجي ودارا من امراء التركمان وحسام الدين قرتاش وركن الدولة داود بن سقمان⁽¹⁾. وكان زنكي هو الذي قد بدأ الهجوم على الحصن لتهديده المباشر لمدينة حلب، الداخلة في اتابكيته، كما قام بضرب القوى الصليبية لحمايته بمتنه القسوة والعنف لانه اراد ان يوضح للصليبيين وامرائهم اي نوع من الشخصيات يعني عماد الدين زنكي⁽²⁾. ويلاحظ بان الاتابك لم يلتجأ الى استعمال اسلوب التمويه الذي قام باستخدامة فيما بعد عند اختياره اهدافاً صليبية لحملاته الحربية.

ثم جاء اختبار الصليبيين لزنكي سنة 1138/532 عندما قام البيزنطيون بحملة كبيرة على الشام (اقصد زنكي)، بقيادة الامبراطور يوحنا كومينين تلية للنداءات التي وجهت له من الصليبيين على اثر سقوط قلعة بعرین القرية من حماه بيد زنكي في 1137/531. توصف هذه القلعة بأنها (من امنع معاقل الفرنج واحصنهما)، كما اطلق على هذا الانتصار (بالفتح المبين) لان القوة الصليبية التي هُزمت كانت تشتمل على تجمع هائل (للفرنج ولملوكهم)⁽³⁾، وقد هدد البيزنطيون بحملتهم هذه اتابكيه زنكي، بصورة خاصة حلب عن طريق مهاجمة حصن بزاعة القريب منها. ولكن يلاحظ بان الامبراطور البيزنطي لم ينتخب زنكي هدفاً للمجابهة مع قواته، بل فضل اختيار عدد من الامراء المحليين (شيزر مثلاً متمثلة بأميرها ابن منفذ الكناني)، ممن طلبوا من الاتابك التدخل وتقديم المساعدة. واستغل البيزنطيون من جانبهم هذه الفرصة للاستحواذ على عدد من موانئ الصليبيين وقواعدهم⁽⁴⁾ اذ يجب التنبيه على ان للبيزنطيين خلافاتهم مع الصليبيين في مسألة تنظيم الحملات الصليبية ، وفي مسألة السيادة التي يمارسها الامبراطور على الامارات الصليبية الاربعة، تلك الخلافات التي اثرت في مجرى نتائج هذه الحملة البيزنطية . كما كان الصليبيون يعيشون

(1) المصدر ذاته، م، 11، ص664.

(2) كذلك، م، 11، ص 663 حيث قال زنكي : ((بأن هذا اول مصاف عملناه معهم، فلنذقهم من بأسنا ما يبقى رعبه في قلوبهم)).

(3) للتفاصيل راجع ابن الاثير، الكامل، م، 11، ص ص 51-52؛ انظر ايضاً الباهر، ص 59. وهي مذكورة باسم (بارين)، راجع ياقوت، معجم البلدان، م، 1، ص ص 320-21، ص 452.

(4) ابن الاثير، الكامل، م، 11، ص ص 53، ص 57، ص 58.

فترة من الخلافات ايضاً، التي ترجع الى ايام مجئهم الى بلاد الشام في بدء الحملة الصليبية الاولى، بالرغم من ان ابن الاثير ينسب تاريخ هذا الخلاف الى الحوادث التي اصابت الصليبيين في 527/1133، والى موت كبير (الفرنج) واقوى شخصية بينهم، بلدوين الثاني (ت 1131م)، ملك مملكة القدس، اكبر (الامارات) الاربعة واهمها نفوذاً⁽¹⁾. وكان عماد الدين زنكي يدرك، بدوره، خطورة الوضع الذي سببته هذه الحملة على اتابكيته ومناطق بلاد الشام الاخرى، ويظهر النداء الذي تقدم به زنكي الى السلطان مسعود بأن الاتابك كان يواجه موقفاً صعباً لا يمكن لزنكي من معالجته بنفسه، الا ان الغاء طلب المساعدة من قبل الاتابك بعد زوال الخطير البيزنطي وعدم موافقة السلطان على ذلك الا بعد تقديم عروض مالية كبيرة امر ممتع اياً، لأن السلطان مسعود كان عدواً مفتوحاً لزنكي، وله الاقوال المشهورة بحقه⁽²⁾. ولذلك وقف هذا السلطان موقف الصمت من طلب الاتابك ولم يأمر باعداد اي جيش للالتحاق بزنكي الا بعد توالي صيحات البغداديين ونداءاتهم. وأصر، بعد زوال الخطير عن زنكي، على وجوب توجيه الحملة الى بلاد الشام لتأدية واجب الجهاد بحجة ان الحملة كانت قد نظمت ولا يجوز الغاءها، ولم يتزحزح السلطان عن موقفه هذا الا بعد مساهمة زنكي المادية المجزية. وكان الاتابك يرى ضرورة ابعاد هذه القوة السلاجوقية عن اراضيه حتى لا تستقر هناك ويجبر على الدخول معهم في مواجهة عسكرية.

علي اية حال، فقد اثبت زنكي في هذه المواجهة البيزنطية-الصليبية قابليته في تحقيق انتصارات عسكرية وسياسية على الصليبيين مما لا يتمكن غيره من الامراء انجازه حتى من قبل تلك القوى التي تشتهر بشجاعتها المتميزة، فقد كانت بعرين قد هوجمت في 527/1133 من قبل التركمان دون نجاح، رغم الخسائر الكبيرة التي اوقعوها بقوة الصليبيين المدافعة عن الهدف⁽³⁾. واخيراً فأن ما حدث في الاشارت تكرر في بعرين والرها من حيث تصميم الاتابك على التوسع في قلاع وحصون الامراء المسلمين والصليبيين سوية⁽⁴⁾.

(1) المصدر ذاته، م 11، ص 8.

(2) كذلك، م 11، ص 93.

(3) كذلك، م 11، ص 8-7.

(4) للاطلاع على نماذج من حملات زنكي هذه راجع ابن الاثير، الكامل، م 11، ص 52، ص 98، من بين اشارات اخرى كثيرة.

كانت الراها (اورفة الحالية) المتاخمة لحدود الاتابكة الشمالية والتي تحكم من قبل جوسلين الثاني هي الاختيار الطبيعي لهدف حملة زنكي الكبى على الصليبيين في 1146/539 (سنتين قبل مقتل الاتابك). اما مملكة القدس، التي لها صلة القرب بالراها والتي تتزعم (الامارات الاربعة) من حيث مكانتها الدينية والسياسية ومن حيث تحرشها بين وقت وآخر بحدود اتابكية مباشرةً او عن طريق محالفاتها مع دمشق، فلم تشكل في يوم ما هدفاً لحملات الاتابك، لا بسبب المكانة التي تتمتع بها هذه المملكة وانما لعدم تمكن زنكي من انهاء حكم اسرة طغتكين في دمشق. وكان الاتابك يريد اخذ هذه المدينة بكل الوسائل والسبل الممكنة واستعمل معها الاسلوب العسكري والدبلوماسي مراراً⁽¹⁾. ومع ان الاتابك نجح في الاستحواذ على بعض الممتلكات التابعة لدمشق ادارياً، الا ان هدف زنكي الاساس في ضم دمشق الى اتابكته ظل حلماً غير محققاً، ولذلك بعد تأجيل محاولته على دمشق وجه عماد الدين زنكي اهتمامه نحو الراها⁽²⁾.

كانت محاولة زنكي على الراها عملية عسكرية ناجحة جداً فقد كانت (حصناً منيعاً للفرنج)⁽³⁾، مما حدا بالاتابك الى تخصيص كل الوسائل والسبل المتوفرة لديه من عدد وآلات ومهرة وفنيين ومن تلك التي تتعلق بعمليات الحصار والهجوم. وعملت مخابراته على اخفاء هدف الحملة مستعملاً كل وسائل التمويه وال Maraouga التي عرفت بها سياسته، خاصةً على امير الامارة المستهدفة جوسلين الثاني، الذي عبر الفرات بعد الاطمئنان على ان زنكي سوف لا يهاجم الراها. ولكن المدينة، بعد ثمانية وعشرين يوماً من الحصار الشديد، سلمت لزنكي، محققاً انتصاراً كبيراً يستحقه بكل جدارة⁽⁴⁾.

لم يبق الاتابك اكثراً من سنتين بعد الراها ليرى ماذا كان سيتم انجازه خلال السنوات المتبقية من حياته، التي لم يتمتع بها بعد الاغتيال الذي دُبرَ عليه من

(1) راجع ما ورد قبلـ 31 هـ.

(2) راجع ابن القلانسي، ذيل دمشق، ص 282، وما كتبه : B. Lewis, (Egypt and Syria), the Cambridge History of Islam (London, Cambridge University Press, 1979), Vol.IA, 200.

(3) ياقوت، معجم البلدان، م 3، ص 106، و تكتب (الراها)، وصفتها الجنزوري، مرجع سابق، ص 53 : ((بأنها جزيرة مسيحية وسط محيط من الاتراك المسلمين)).

(4) ابن الاثير، الكامل، م 11، ص ص 98-100؛ وايضاً الباهر، ص ص 77-70؛ ابن الجوزي، المنتظم، م 10، ص 112 (مقتضب).

قبل زمرة من حرسه الخاص يقودهم يرنقش الخادم⁽¹⁾، مع اننا نعلم بأن الاتابك كان ينوي خلال هذه الفترة تجديد مشروعه لأخذ دمشق ومحاجمة عدد من الامراء المحليين ممن تستوجب تصفيتهم لضمان الاستقرار في اتابكيته بعد حوادث الشعب التي قامت بها قوة من عسكر قلعة الموصل بالتعاون مع الملك السلاجوقى المتمرد فرخشاه، الذي يعمل زنكي اتابكاً له⁽²⁾.

ولكن انتصار زنكي في الرها ساعد بالطبع على توسيع حدود دولة هذا الاتابك الكبير وعلى ارتقائه الى مستوى لا يساويه في المنزلة اي من امراء وملوك المنطقة من المسلمين والصلبيين سوية، فلا يوجد بينهم حينئذٍ من ينافسه على زعامة المنطقة الا ان الاكثر من ذلك اهمية على المستوى الروحي هو وضع عماد الدين زنكي كقائد لحركة الجهاد ضد الصليبيين، فقد اتضح للمسلمين بأن سياسة هذا الاتابك تجاه الصليبيين قد نجحت وبأنه سائر بكل تأكيد نحو اجتثاث مناطق نفوذهم تباعاً ويمثل سقوط الرها في نظر المؤرخين الغربيين اول هزيمة كبرى للصلبيين⁽³⁾، وهو حكم صحيح في ضوء الاحاديث التي اعقبت هذا السقوط لانها تسربت في قيام الحملة الصليبية الثانية على الشام.

من اجل ذلك اصبح عماد الدين زنكي (بطلاً للمسلمين)⁽⁴⁾ واشهر شخصية بين معاصريه فهو الزعيم الجديد الذي لا غبار عليه وتوقف هذه الصورة الجديدة لزنكي⁽⁵⁾ ولزعمته وراء نظرية ابن الاثير في تفسير ظاهرة ارتقاء الاتابك وارتباطه بحركة الجهاد وهي ان اختياره لقيادة هذه الامة ولاخرجها من محنته مع الصليبيين كان اختياراً ربانياً، فالatabك بحكم هذا الاختيار كان من افضل الحكام المسلمين واعلامهم شأناً وهو لذلك يحظى بالتأييد الالهي وبدعمه، ومسؤول عن نجاحه مع الصليبيين⁽⁶⁾، وقد وجدت

(1) عن برنقش ودواجهه راجع ابن القلانسي، ذيل دمشق، ص ص 284-285؛ قارن بما ورد في العماد الاصفهاني، تاريخ ال سلجوقي، ص ص 190-189؛ ابن الاثير، الباهر، ص ص 74-75.

(2) عن ترد - فرخشاه راجع ما ورد قبلًا في هـ 15.

(3) انظر : B. Lewis (Egypt and Syria), in op.cit.vol.IA,P.200

(4) انظر :

C.E. Bosworth, the Political and Dynastic History of the Iranian World, in the Cambridge History of Iran, ed. By Boyle (Cambridge : the University Press, 1968), vol.5127.

(5) نتيجة لانتصار الرها حصل زنكي على القاب جديدة يوردها ابن القلانسي في ذيل دمشق، ص 284.

(6) ابن الاثير، الباهر، ص ص 33-34.

هذه النظرية استجابة لدى بعض الباحثين المحدثين فتبناها محتواها لتفسير ظاهرة عماد الدين زنكي ودوره في التاريخ الإسلامي .⁽¹⁾

ان اهم ما يميز عمل زنكي كظاهرة تاريخية هو ان هذا الاتابك منذ البداية كان قد ربط مصيره بحركة الجهاد، التي كان احد عناصرها الاساسية، فقد كانت سياسته بهذا الصدد مسؤولة عن شهرته ومكانته كبطل من ابطال الاسلام، اما سياساته تجاه السلطنة والخلافة فكانت دفاعية في طبيعتها، وكان وضعه مع الصليبيين يتطلب منه التريث لمعالجة الخطورة التي كان يثيرها ضده كل من السلطان والخليفة سويةً.. يضاف الى ذلك ان اهتمام عماد الدين زنكي ببلاد الشام وميله الى التوسيع على حساب الولايات التي تتكون منها كان امراً طبيعياً، وتفتضي بذلك نفس سياساته تجاه الصليبيين، الذين كانوا يتوسعون باتجاه حدود اتابكته والذين لم يغيروا في مسار هذا التوسيع الا بعد اختفاء عماد الدين زنكي. لكن هذا الاتابك لم يكن خالياً من التطلعات التي كانت تشغل بال امراء السلاجقة وقادتهم لانه كان يمثل نتاج السلاجقة ومؤسسات السلطنة السلجوقية، العسكرية منها خاصةً، فكان من اساس تطلعاته ان يرى من نفسه على رأس دولة يمثلها خير تمثيل اسلوبه السياسي والعسكري في الحكم كatabk سلجوقي مقتدر.

جمع عماد الدين زنكي في شخص قيادته بين النوعية العسكرية والسياسية للقائد⁽²⁾، مما لم يكن واضحاً عند كثير من سابقيه من الامراء: فصفاته العسكرية تفوق حد الوصف، فهو عسكري مقاتل من الطراز الاول ومتمكن من شتى صنوف القتال وفنونه وخاصةً القتال المرتبط بالقلاع والمحصون، الذي عرفته بلاد الشام، وفي المصادر اجماع عام على شجاعته وقابليته على المناورة واتخاذ القرارات وعلى الصبر والجلد في الحروب، وتحوي هذه الادبيات على شتى القصص والحوادث للتدليل على تلك القدرات المتميزة. كما ان الجيش الذي بناه الاتابك بنفسه يدل على تنظيم عسكري ناجح جداً بما في ذلك نوع الضبط والنظام الذي كان يمارسه على وحداته "كامير جبار".

(1) عماد الدين خليل، عماد الدين زنكي، ص10.

(2) كما يتضح من حكم ابن الاثير (يتبعه ابن خلkan) عليه : ((شديد الهيئة على عسكره ورعايته عظيم السياسة)), راجع الكامل، م111، ص111؛ ابن خلkan، وفيات الاعيان، م2، ص329.

ولكن على الرغم من سمعته كمحارب و (غازٍ) وسياسي، فإن زنكي لم يفلح في كسب ما قاده من حملات على مناوئيه من تلك التي استهدفت الخلافة ودمشق وبعض أمراء التركمان، فكان عندما لا يرى نصراً قريب الوقع، يسمح لنفسه بالانسحاب للاحتفاظ بجاء الوجه للمناسبة القادمة⁽¹⁾.

كما كان عماد الدين زنكي سياسياً وادارياً ناجحاً على خلاف كثير من امراء الجيش السلاجوقى ممن عاصره او ساواه في الرتبة والوظيفة. وقد ساعدته على ذلك صفاتـه الفسيولوجية والعسكرية التي تدخل في تركيب شخصيته والتي تثبتـها المصادر بأقوال مختلفة⁽²⁾ اساسـها عدم تعرفـ مناوئـيه العسكريـين والسياسيـين على نوايـاه واهدافـه وعدم التردد في اخذـ الاجراءـات الكـفـيلـة بـتحقـيقـها. فـكان من مظاهرـها نجاحـ الـاتـابـك في فـرضـ الـامـن والنـظـام على المـناـطـقـ الـتـي تـتـكـونـ مـنـ هـاـ اـتـابـكـيـتـهـ، خـاصـةـ في المـناـطـقـ الـتـي يـصـعـبـ تـطـبـيقـ مـثـلـ ذـلـكـ عـلـيـهـاـ، مـنـ ذـلـكـ مـثـلـ حـمـلـاتـهـ الـكـرـدـيـةـ⁽³⁾، الـتـي كـانـتـ تـرـتـبـتـ بـسـيـاسـتـهـ في عـمـارـةـ الـبـلـادـ وـفـلـسـفـةـ السـيـاسـيـةـ فيـ الـحـكـمـ الـتـي تـدورـ حـوـلـ مـفـهـومـ الـعـدـلـ وـالـاخـلـاـصـ فيـ الـوـاجـبـ.

لقد كان عماد الدين زنكي بدايةً لظاهرة سياسية جديدة في الموصل والشام، ولكنه لم يكتب له اتمام مهمته مع الصليبيين كما يجب، وترك الامر لابنه نور الدين لانجاز ذلك : فإن كان الخطر الصليبي مسؤولاً عن ظهور الـاتـابـكـ، فـزنـكـيـ هوـ الرـجـلـ المناسبـ لـعالـجـتـهـ، وـالـذـي لمـ يـخـلـ فيـ اـعـطـاءـ ماـ لـدـيـهـ مـنـ مواـهـبـ لـذـلـكـ. لكنـ عمـادـ الـدـيـنـ زـنـكـيـ زـالـ قـبـلـ انـ يـتـمـ الـكـثـيرـ مـاـ يـتـمـكـنـ مـنـ اـنـجـازـهـ، مـعـ انـ هـذـاـ لـاـ يـغـيـرـ مـنـ الـحـقـيـقـةـ الـوـاقـعـةـ بـأـنـ مـاـ عـمـلـهـ فيـ مـجـالـ الـجـهـادـ وـتـكـوـينـ الـاتـابـكـيـةـ قدـ اـسـهـمـ فيـ وضعـ جـدـيدـ لـلـمـمـلـكـةـ الـتـي خـلـدـ بـهـ اـسـمـ نـورـ الدـيـنـ مـحـمـودـ فـيـماـ بـعـدـ.

(1) مثلاً حصاره لحمـةـ فيـ 531ـهـ الذـي اـنـتـهـيـ بالـفـشـلـ، رـاجـعـ ابنـ الـاثـيرـ، الـكـاملـ، مـ11ـ، صـ51ـ : ((فاقـامـ عـلـيـهـ الـعـشـرـينـ مـنـ شـوـالـ وـرـحـلـ عـنـهـاـ مـنـ غـيرـ بـلـوغـ غـرـضـ))).

(2) رـاجـعـ مـثـلـاـ مـاـ يـقـولـهـ عـنـهـ الـعـمـادـ فيـ تـارـيـخـ الـسـلـجـوقـ، صـ187ـ).

(3) قـارـنـ مـعـ مـاـ يـذـهـبـ إـلـيـهـ : Bosworth in op.cit , vol.5, p.127

المصادر والمراجع :

1. ابن الاثير، عز الدين، الكامل في التاريخ (بيروت : دار صادر، 1966/1386)، م 10-11.
2. التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية، تحقيق عبد القادر طليحات (القاهرة : دار الكتب اتلحديثة، 1963).
3. ابن تغري بردي، جمال الدين، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، (القاهرة : المؤسسة المصرية العامة، 1963)، م 5.
4. ابن الجوزي، عبد الرحمن، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، (حيدر آباد : دائرة المعارف العثمانية، 1938/1357)، م 9-10.
5. ابن خلكان، شمس الدين، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تحقيق احسان عباس (بيروت : دار صادر، 1969)، م 2.
6. ابن القلانسي، ابو يعلى، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق امدروز (بيروت : مطبعة اليهودين، 1908).
7. ابن كثير، اسماعيل، البداية والنهاية (بيروت : المعرف والنصر، 1966)، م 11.
8. ابو بدر، شاكر احمد، الحروب الصليبية والاسرة الزنكية (بيروت : الجامعة اللبناني، 1972).
9. التكريتي ياسين محمود، الايوبيون في شمال الشام والجزيرة (بغداد : دار الرشيد، 1981).
10. الجنزوري، علية عبد السميع، امارة الرها الصليبية (القاهرة : مطبع سجل العرب، 1975).
11. خليل عماد الدين، عماد الدين زنكي (بيروت : الدار العلمية، 1971).
12. رنسيمان ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة السيد البازى العرينى (مجلدان : بيروت : دار الثقافة، 1967).
13. الشيخ، محمد مرسي، الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها (الاسكندرية : دار النغر، 1974).
14. العماد الاصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوقي، اختصار البنداري (القاهرة : مطبعة الموسوعات، 1900/1318).
15. ياقوت الحموي، شهاب الدين، معجم البلدان (بيروت : دار احياء التراث، د.ت، م 1، م 3).
16. Bosworth C.E. , The Political and Dynastic History of the Iranian world, in the Cambridge History of Iran, ed. By J.A. Boyle (Cambridge: the University Press, 1968), vol.5.
17. Gabreli Francesco , Arab Historians of the crusades (London : Routledge Kegan , 1969).
18. Gibb, H.A.R. (Zengi and the Fall of Edessa) in a History of the crusades , ed. By K.M. Setton (Philadelphia : University of Pennsylvania Press, 1958), vol.II.
19. Cahen , Clude (crusades) in EI.2, Vol.II; Hodgson M.G.S. the venture of Islam (Chicago : the University of Chicago Press, 1974), vol.2.

"The Use of Biography "

or "Biographical Dictionaries"

Biography, or biographical dictionary as a term of Islamic history belongs to the field of Islamic histography. It covers the " wafayāt al-a'yān⁽¹⁾ , of the Caliphate state. The term is a very open word, forbearing between two groups of notables or functionaries: a group was in charge of various department of the diwans and belonging to the kuttab class with relating institutions such as official viziers and sūdūrs, scribes and bell -letters all belong to successive generations.Those biographies take either the form of book of viziers such as the work of the secretary al Jahshayari⁽²⁾, (d. (331\ 942) entitled "al-wuzara wa al-kuttāb " or that genere of ma'ajim dictionary, such as seventh century

work of Yāqūt al-Rumi "s (d.626\ 1228)" Irshād al-arib ila marifat al-adib ", known as " m'ujam al-'udabā⁽³⁾This group also includes dictionaries involving poets, Grammarians, and Bell-letter writers such as the famous work of the Halabi Judge and vizier Jamāl al- Din al-Qifti (d.646 \ 1248), "whose work entitled" Inbāh al-riwāt ālā anbāh al-nuhāt⁽⁴⁾

(1) To mean records of eminent or deceased notables of the Muslims community

(2) Edition by al-saqqāf and others (cairo : al bab- al-halabi , 1938)

(3) In ten volumes(Bayrut: dār ihya al-turāth, 1936).

(4) Ed.by Abu al- Fadl Ibrahim in three voles (Cairo; dār al-kutūb, 1950-55).

The other group of functionaries are known as "ahl al am'aim", meaning "people of turbans ", on whom fall responsibility of keeping and writing down rules and regulations of the Muslim faith and ways of its interpretations. This group of biographies is larger than the first, both in content and implication, because each of the elements related to the principle of Islam and Islamic creed has its own share within those biographies, for instance there exists biographies of the Traditionists (al-muhaddithun and the Jurists (al-fuqahā) of the four schools of law, specially the Shāfiīs and the Hanbalis, and to a lesser extent the Hanafies,⁽¹⁾"1" also those of the Judges as well as Reciters of the Quran and the Sufi Sahaykhs. All those, to be sure, have their own related biographical works.

Element of those two groups comprises the a'yān of the Arab state and bureaucratic families in such urban cities as Baghdad, Basra, Wasit, Nishapur, and Ghazna of the mashriq and Dimashq, Qinisrin (Aleppo), and al Jazira of the Gharb-Caliphate.

And it is no secret that Muslims –Arabs are much concerned with composition of this type of work, because of its relevant to the Sira of the Prophet, further, it illustrates the importance of biographical dictionaries to the heritage of Islam and to its social, religious, and administrative institutions.

In this framework, biographical dictionaries are historical works arranged in alphabetical order, more or less containing the intellectual legacy of the umma through the accumulation of successive generations of tradition given by the people of the ama'im and sudur of the diwāns. some of

(1) That is Tabaqat al -Shāfiyya al -kubrā of Tāj al- Din al Subki (d.771\1369) ed. al Hulu and others , The Tabaqat al -Hanāblila and its Dhayl of al-Qādi Ibn Abi Ya'la (d.527\1132)(Cairo , 1952). And the Shami Ibn Rajab(d.795\1392) and finally The Jawāhir al-mudiyya fi Tabaqāt al-Hanafiya of Ibn Abi al-Wafa(d.775\1373) (Haydarabad, 1332).

them short lived notice within events of given year, while other materials take lengthy notes in character.

Naturally, this enormous and fabulous amount of biographical dictionaries are not easy to round up in all its histriographical characters, especially when we recall that this paper is dedicated only to the use and utilization of "tara jum"⁽¹⁾ historical writing covering medival Islam, the main goal of the paper for which we are gathered today in this remarkable school. We also leave aside the question of origin and what contributed to its development since it falls out of the scope of the study. Nevertheless, I shall concentrate on the common characteristics which unify these works of Wafayāt as commonly call, and define its various usage in modern, terms and of course analyze some of the problems which might raise as truly reliable tradition.

Methodologically, we must say first of all that those works in general terms are not easy to use in any process of writing, because they easily consist contradictory material and stories regarding the persons career and merits studied thus raising the problem of reliability immediately, and eventually the question of its true value judgment. The application of text comparison and inner criticisms to those traditions might help to reach result choice of preference, but it was not to give us correct method of writing, But what do those works have in common first ?.

The key to those works, in regular instances, is the opening statement of the compiler, in which it contains the introduction of the work involved usually with definition of the nature of the work and the approach of the

(1) That is, books of distinct (mashahir) for instance " wafayat al-ayan wa anba abna al zaman of Ibn khillkan(d.681\1282) ed Ihsan Abbas in eight voles (Bayrut :dar sader, 1977), also Ibn Shakir al-kutbi (d.764\1362) Fawat al-wafayat,"or al-safadi, al Wafi bi al-wafayat,all published texsts .

author adopted for the composition of its volumes and the arrangement of whatever booklet (*karāris*) may contain.

The example followed by the author of given tarajama when he usually set out to design its content (before depositing that tarjama to his draft work) may either copy early source material devoted to the mutarjam or it repeats his travel for the pursue of his study and pilgrimage, plus some saying and poems appreciating his career. But part of the answer to this problem is to be found in the tabulation devoted to some of the advantage of the biography for historical writing.

First of those advantage is that it preserves for us the affinity of family tree to a given pedigree, which falls in the line of genealogy, because it is compatible with the view of the biographers that the tarjama pointed out by the author should include name of all the ancestors line down to the fore father as preserved in the oneself pedigree. This is a principle among authors of the biographers as the Hanafi M. Ibn al- Sabiq al-Hamawi testifies in a chapter on the advantage of history (*fawāid al-tārikh*)⁽¹⁾, whether this individual was of an Arab origin or a mawla(muslim non - Arab).

In this context. Ibn al- Sabiq points out to preservation of name of the bayt (family) to which the figure concern belongs⁽²⁾ Through this we can also marks in form of texet the errors committed in conflicting reports on the merits and career of the individual concerned in the tarjamsa. This is very important matter in relationship to writing text of medival Islam from the standpoint of implication to required analysis and the outcome of concrete results.

(1) He wrote in 865\1452. see S. zakkar "s edition of Ibn al-Adim, *Bughyat al- talab fi tarikh Halab* (Bayrut:dar al-fikr ,1988),vol.I P.20-27 (the introduction).

(2) *Ibid*, I, P.23-25.

Given usage of these wide range of biographical works, coverage of genealogy of the notable individuals, through the pedigree of origin or lineage is quite apparent – Accordingly, every tarjama mentioned must have full name of the person, titles as well as nickname in which he was reputed, also the affiliation of his juristical school, his self-nisba to the city he belongs- place of his birth and living career, also his shaykhdom and profession.

A biographical text, then, in terms of definition is tarjama of given figure, usually one of a'yān or mashāhir of his belonging city. It offers information not so often to be found in the chronicle type, or to a lesser degree Bell-letter texts And those tarajum cover of course persons belonging to the ahl al-ama'im and Sudur with its various elements in the diwan and administration of the state. The implication of this is that they cover wide range of scholars, notables and dignitaries within the Muslim community. Within this, we find names from caliphs and sultans to amirs, also from given vizier to munshi of the sultanate or as later known katib al-sirr. This also applies to Qadis, shaykh al-Islams, nazirs of madrasa, sufi shaykhs and so on.

But to underline the significance of those elements of tarājum for writing efforts is not enough without showing its importance in the process of writing. How does the historian, rather professional historian, make use of those biographies in full?

One Way of doing this is to take advantage of historical approach in the process, that is by the employment of various historical writing method, such as the analytical, descriptive or the statistical method, depending on the nature of the problem discussed.

The choice, I believe, is to adopt sociological approach. This approach covers the activities of various class of the society, the interests of the nubalād and a'yan of the community, including the ashraf class. both of the

alawi and hashimi origin also to cover their mashahir and selective group from the ahl al- am aim and distinguished Sudur-functionaries.

By doing this, we can attach classification of their class and then follow up their role and activities in the community.

Nonetheless, this picture of the use of individual biograph through the implication of sociological approach is not without difficulty and yields no visible results without resolving first the historiographical problems which emerges from the usage of the text.

The obvious example in this case is the tabaqat works of the four schools of law, the Sháfi'i's, Hanbalis, Hanfis and the Malikis, which contains record of their Ulama.

Earlier, we have cited titles of those Tabaqat works, here, we only warn against their unmistakeable biasness to the career of those 'ulama' who belong to their scholl of affiliation⁽¹⁾. The example par- excellence in this instance, as we shallsee, is of course Tāj al- Din al-Subkis's tabaqāt al- shafi iya al- kubra.

On this basis, we advocate that the key for the use of those Biographical-dictionary of tabaqāt lies in the understanding of their terminology, the nature of which, without realizing their characterization will stay with little value.

Finally for utilizing those biographical dictionaries it is very important to notice the intellectual capacity which those authors possess and enjoy in the content of their compositions of those texts.

Some are certainly professional compilers, and possess methodological – spirit in assembling and integrating their Data, while others of their own

(1) Also , but to a lesser degree, the author of the ma ajim in their coverage of source-material , the place in which they show the ma athir and "fad ail " of their respect individuals.

fellows, follow and copy blindly efforts of earlier compilers on line similar to their own sectariean rules, still we find other compilers truly possess ability for applying inner -criticism, assessing source material and correcting earlier written data through introduction and usage of new sources of their own, considered first - rate material on the field.

The universal chroniclers of the cours, were not always well - informed about event and conditions of certain regions. Here lies the importance of local biographical works for the study of a region of which the auther was often an inhabitant. to illustrate this notion of biasness inherent in the works of *Tabaqāt* and devoted Biographical dictionary we refer to a very important example involving two sajuq but antagonist secretarian viziers, namely the famous *Shāfi'i* - Ash'ari vizier *Nizām al -Mulk*, author of the *Siyāsat-nāma*,¹ and his predecessor the Hanaf *Abū Nasr al-Kumduri*, both of whom served during the three saying Sultanate of Tughril-Beg, Alp -*Arslān* and *Malik -Shāh*. In this respects the value of the histories of Nishapur is prominent because it was here that *Nizam al-Mulk* as an example originated his policies toward the madhhabs (religious affiliation), and then applied them to other Saljuq domains. Two local histories of Nishapur written in Arabic by natives of the region are extants:- *Hakim*"s (d.405\1014) *Tarikh Nishabur*, the earliest, and "Abd al-Ghafir"s(d. 529\1134) *Siyaq li tarikh Nishabur*². Though the first part of the original *Siyaq* has been lost, a complete epitome of the *siyaq*, entitled *al- Muntakhab min siyaq tarikh Nishabure*, was made by *Ibrahim al-Sarifini*(d.641\1243), who preserved in a brief summary the lost part contained in the original *siyaq*.This being said, *Abd al-Ghafir* probably is one of the most reliable *Shafi'i* historians as far as

1 Ed. H. Darke (Teharn: bank-I milli, 1962).

2 .Bulliet in his published dissertation "The social History of Nishapur in the Elevnth century" or The Patricians of Nishapur (Cambridge, 1972).

Nizam al-Mulk is concerned since he appears free from the Ashari- Hanbali bias inherent in Ibn Asākir(d. 571\1175), Ibn al-Jawzi (d.597\1200)and Taj al-Din al-Subki(d.771\1369). All this is to say that the information of the Siyaq is indispensable intwo areas:- (1) -illustrating Nizam al-Mulk policy toward Shaafi" is and Hanafis, since some of Abd al-Gafir"s key terms are useful such as the issue of intolerance (taassub) in the Madhhāb between the Shafi" is, Nizam al-Mulk"s followers, and theiropponents, the Hanafi's those of the vizier's immediate predecessor`Abu Nasr al-kunduri(d.456\1063),(2)- underlining the nature and characters of the Saljug vizierate.. Given this overall description, what does the case of Nizam al-Mulk, as related to Biographical dictionaries, mean in academic historical writing ?.

First of all, the case of this celebrated vizier points out directly to the existing rival enemyty between those tow governing viziers, Nizam al-Mulk, and Abu Nasr al-kunduri, the first as distinguished follower of the Shafi'i –Ashari's, where as the latter was a non- religious Hanafi, whose administration was held responsible for the persecution of the Shafi i- Asharis, and who also held to this policy for nine years in the form of banishment to their religious figures and re- distribution of their religious, and Juristical posts. It was carried against three Sunni groups of Nishapur, in particular the Shafi i- Asharis, and executed by kunuri"s followers the leading Hanafi- Mutazilis of the same city. The rise of Nizam al-Mulk, then as a substitute for kunduri in the central vizierate of the Sultanate was in a way a turning point for the Shafi i –Asharis, since it marked a declaration of a new religious policy on their behalf based for almost three decades on the endorse ment of the Shafi i –Asharis, by the new viziers, eventhough, his superior the Sultan Alp-Arslan was inclined to a policy of no disciminatoin, among the recognized groups of the Sultanate, the Shafi is and the Hanafis.

Epistemologically, the case puts forward the traditional rivalry of professional kuttab dabirs, relating to high family background (buyutat or khandan)¹, in to resounding effect In this instance, both viziers i.e Nizam al-Mulk, and Abu Nasr al-kunduri were trained, and belonged to the Nishapui school of government, namely the administration of the eminent Imam Ibn al- Muffaq, the leading figure among the whole Nishapuris prominent families of kuttab, both were of dihqan origin, and serving high Saljuq hierarchy, kunduri serving, term with Sultan Tughril as vizier of the central government, Nizam al- Mulk serving king Alp- Arslan as local vizier of Marw. also both were linked with opposing religious groups of the time, Nizam al-Mulk with the Shafi i- Asharis, and kunduri with the Hanafi-Mutazilis. Since most historians of chronicles, and biographical dictionaries were Shafi i-Asharis, it was no surprise to observe Shafi i- Ashari historians, such as Ibn Asakir², and Subki³, praise highly Nizam al-Mulk giving him, while serving in his newly position as central vizier to Sultan Alp- Arslan all the esteem they can bestow upon him, in contrast to kunduri, who was condemned to death, and even presented him with disgrace, and herssy

unknown for any dismissed, and overthrown vizier down to his death. No other historian tried to correct this image and test its accuracy, including late Hanafi auther, such as Ibn Abi al-Wafa⁴ (d. 775\1373).. (3)- politically the case underlines the success, and downfall of a given vizier within the service of ruling Sultan. Kunduri was short lived in term of office, contrary to Nizam al-Mulk, who served continually for both terms as local vizier , from early rise of the Saljuq in ((433\1041) down to the end of Tughril

¹Ibn Funduq, Tarikh- Bayhaq,ed .Bahmanyar,p.73

² Tabayin kadhib al-mftari(Dimashiq,altawfiq,1347),p.108.

³ Tabaqat al-Shafi iya al-kubra 2nd,ed,(Bayrut, almarif,n.d),pp.134-145 (also, other references)

⁴ see his Jawhir al-mdi yya fi tabaqat al-hanafiya (2vols, Hayder-Abad. da irt al-ma arif ,1331)

Sultanate in (455\1063), and as central vizier from the death of kunduri in (456\1063), down to his assassination in (485\1092), both considered to be as one of the lengthiest terms in office ever served by a vizier.

In this Saljuq sultanate Nizam al-mulk was certainly a professional Saljuq, politican, pretending, when necessary, religious ethics and character, but he did not hestate to kill his opponent if local condition, and private interest of his own required from him the removal, and killing of such opponents, using military means or otherwise to do so. And in the case of kunduri it was Nizam al-mulk,who instigated the newly Sultane to issue order first of his removal, and confinement, and lateron of his execution, carried out by agents of the celebrated vizier.

All this indicates, in this example, that, without the use of data in Biographical dictionary, altogether, the assessment of those two rivals, as applied to their careers, is not suitable and useless.

SOME NOTES ON ITS IMPORTANCE AS A SOURCE FOR STUDYING

NIZAM AL-MULK'S CAREER

The Siyar al-muluk (Known as Siyasat nama) is a nasa'ih work composed by Nizam al-Mulk for Sultan Malik-Shah on statecraft for kings⁽¹⁾. It contains Nizam al-Mulk's theory of kingship and reflects the nature of his relationship to Malik-Shah. The work is not a theory of the Saljuq vizierate, although, in the view of Nizam al-Mulk, the character of the sultanate depends on the deeds and acts of the ruling vizier because of his access to government institution⁽²⁾.

Nizam al-Mulk's composition of the Siyasat-nama was prompted by his desire to fulfill an order by Malik-Shah in 479/1086-87, Whose wish it was to rule the Saljuq sultanate (mamlakat, lit., "Kingdom") in accordance with right order⁽³⁾, According to Malik-Shah's copyist Muhammad, Nizam

(1) Nizam al-Mulk, Siyar al-Muluk (Siyasat-nama), ed H. Darke (Tehran : Bank- i Milli, 1962), hereinafter referred to as Siyasat-nama; also Darke-(trans), The Book of Government or rules for Kings by Nizam al -Mulk (London Routledge and Kegan Paul, 1960), hereinafter referred to as Rules.

(2) For further details on the duties of the vizier see Nizam al-Mulk, Siyasat-nama, pp.30,114,154,218; Darke, Rules, pp.23-24,93,96,123, 178.

(3) Siyasat – nama, pp.3-5; Darke , Rules, pp.1-2.

al-Mulk first wrote thirty-nine chapters at an unknown date, submitted the manuscript to Malik-Shah, who approved its contents. Almost six years from the cited date, prior to a journey to Baghdad (484-85/1091-92), Nizam al-Mulk submitted a new manuscript to the copyist, expanding the old text and adding a new part comprised of eleven chapters, all derived from his experience as vizier and as a writer of political theory and statecraft. The copyist, as Nizam al-Mulk desired, made a clean copy of the manuscript but did not make it public until sometime during the sultanate of Malik Shah's son Muhammad citing the Batini disorder as the reason for the delay⁽¹⁾. There is internal evidence that the present Siyasat-nama is not a faithful copy of the original manuscript which Nizam al-Mulk deposited with Muhammad because it contains a number of passages with conflicting data and dates and favorable statements regarding the rival Abu-Nasr al-Kubduri that under no circumstances could have been written by Nzam al-Mulk⁽²⁾. One writer, F.H. Faizi, doubts that Nizam al-Mulk was the author of the Siyasat-nama on account of "chronological"

and "numerous discrepancies"⁽³⁾. But most scholars believe the Nizam al-Mulk is

(1) Nizam al- Mulk, *Siyasat – nama*, pp. 3-5, 307 (also Darke's introduction in *Ibid*, pp.18-20); Dark, Rules, pp. 1-2, 6, 252.

(2) *Siyasat –nama*, pp.4,10,190-200 (paras. 32-36),307; cf. Dark, Rules, pp.2,6,160-63,178,252. Malik-shah did not live to see the desired copy which the copyist had prepared for him during the sultanate of Malik-Shah's son Muhammad. Reference, then, to the deceased Malik-Shah and his successors as well as others are events that took place after Nizam al-Mulk's death and, therefore, cannot have been written by Nizam al-Mulk.

(3) "A peep into the Wasaya and Siyasat -nama of Nizam al-Mulk", *Islamic Culture*, XX (January-October), 391-407, especially 393; also S. Zakkar, "Biographie de Nizam al-Mulk de Kamal al-Din Ibn al-Adim". *Bulletin d-Etudes Orientales*, XXIV(1971), 227-29. Merly because Ibn al-Adim's *Bughyat al-talab* makes no reference to the *Siyasat –nama*, in the biographical notice which he devoted to Nizam al-Mulk, Zakkar to our surprise, concludes that the text owes nothing to Nizam al-Mulk.

the author of the text and that Muhammad is responsible for the discrepancies⁽¹⁾.

Although it is one of few surviving contemporary source, the Siyasat - nama's coverage of Saljuq contemporary events is marginal and limited to six references, five episodes concerning the sultanate of Alp-Arslan and one involving Malik-Shah⁽²⁾. Nevertheless, the Siyasat-nama, as applied to Nizam al-Mulk's Career, is important because it is his own work. First of all, we learn from it the military-political weakness apparent in Saljuk institutions during Nizam al-Mulk's vizieratesunder Alp-Arslan and Malik-Shah. In this light, H. Bowen is right in stating that the Siyasat -nama" is in a sence a survey of what he had failed to accomplish"⁽³⁾. Despite earlier claims that the sultanate was in good condition, Nizam al-Mulk later on in the Siyasat-nama speaks about the institutions which had fallen into disorder and links the decline with Malik-Shah's sultanate because of his deviation from Nizam al-Mulk's policy and sound judgement. But it should be remembered that the decline was partly caused by the Saljuq's adabtation of existing institutions to social customs⁽⁴⁾. Nevertheless, Nizam al-Mulk's

(1) Such a view is held by Barthold , Turkestan Down to the Mongol Invasion (2nd ed., London: Gibb Memorial, 1928), pp.25-26; = also by E.G. Browne, A Literary History of Persia, (4vols., Cambridge press, 1951-53), II, 210-17; I. Kafesoglu , "BÜyük TercÜmesi" TÜRKİYAT MECMUASI, XII (1955), 231-56, Where he has attempted in the light of Molla Ghelebi's copy to show the defects of the C.Shefer edition and its Turkish counterpart of M.S. Cavdaroglu; also J. Rypka in his book review of K. Schabinger's edition. OLZ (July- August 1961), 399-404.works available to us on the content of Siyasat-nama are numerous and we have not edited allowing to the original purpose of the article.

(2)Siyasat -nama, pp.88, 122-24, 162,169-70,1858-88,204-208; Darke, Rules, pp.74,99-101,127-28, 133-34,149-51, Nizam al-Mulk's main objective is to underline the duties of the sultan and the interrelationship between his court, the dargah and military, legal, and other institutions of the sultanate. It should be pointed out that in attributing deeds and actions to his own examples, Nizam al-Mulk actually spells out his own deeds.

(3) "Nizam al-Mul," EI I, III: 2,934.

(4) Barthold, Turkestan, p.306.

criticism is directed to the slave institution, the iqta' and tax system, as indicated by the decrease in the number of peasants, the use of the commander of the guard (amir-i haras), as an instrument of justice, disregard of the right of ancient families and sons of kings and the misuses of titles as a measure to honor Saljuq officials. This also is true of the employment of Khurasani secretaries in favour of the heretics of western Iran. Specifically, Nizam al-Mulk mentions amirs and the refusal of local Governors to obey court orders⁽¹⁾. It should be pointed out that many of the institution cited are under the jurisdiction of the dargah, rather than the diwan, Nizam al-Mulk's department.

As important as the discussion of the sultanate as an institution is Nizam al-Mulk's theory of kingship, which can be reduced to two main points; (1) the Saljuq sultan is chosen by divine decree; it follows that he must believe in God, rule with justice and look after the affairs of religion. both its institution and the personnel representing it. Moreover, since religion and kingship are twins, any decline in the affairs of religion would cause instability to the political institutions of the sultanate. In the view of Nizam al-Mulk, that religion must be either the Shafi'i or the Hanafi madhab⁽²⁾ because these are the only sound ones within the sultanate⁽³⁾. The shafi'I madhab is Nizam al-Mulk's choice because it represents his own religious affiliation⁽⁴⁾. His recognition of the Hanafi is prompted by his belief in that followed by the Saljuq sultan and other groups of officials. It

(1) Siyasat-nama, pp.16,28,133,168,172,179,198,303; Dark, Rule , pp.11-12,22, 106, 132, 135, 144, 161, 249.

(2) Barthold, Turkestan, p.306.

(3) Siyasat-nama, pp.13-18,74,81-82, 122-24; Dark, Rule, pp.9-13, 62-63-68, 99-101.

(4) See Taj a—Din al-Subki, Tabaqat al-Shafi'iya al-Kubra, es. 'A F. al-Hulu & Tanahi (7vols, Cairo: Isa al-Babi al-Halabi, 1383-88/1964-68), IV, 309-28; also Nizam al-Mulk's will entitled "Wasiyat-nama", in Mushti as Kharwar, ed. M.D.D Siyaqi (2vol., Tehran: Elmi, 1344-45), II, 343-48. This will does not carry a date, but internal evidence leaves no doubt that the will is genuine. Its content shows that Nizam al-Mulk was a Shaf'i-Ash'ari follower.

should be pointed out that this theory of interdependence between the sultanate and religion is not original with Nizam al-Mulk. Already his elder Ghaznawi contemporary Abu Naser al-Utbi (d.427/1036), author of an Arabic work on Mahmud's sultanate entitled *al-Tarikh al-yamini*, and Abu al-Fazl Bayhaqi (d.470/1077-78) stated the same thesis⁽¹⁾. While this precedent shows the influence of Ghaznawi training, it was Nizam al-Mulk who developed this theory of interdependence between the sultanate and religion on a large scale; (2) the sultan needs a sound judgment, so much so that it is more important to him than a powerful army. But Malik-Shah, Nizam al-Mulk contends, possessed judgment and powerful army, the former being provided by Nizam al-Mulk and other Faithful officials⁽²⁾. His emphasis on sound judgment is deliberate because this is the quality for which Nizam al-Mulk was known⁽³⁾.

(1) See respectively Jurbadaqani [Tarjama-yi] *Tarik-i Yamini*, ed., *Qawin* (Tehran: Chap-Khana-i M A Fardin, 1334/1955), p.11; Abu al-Fazl Bayhaqi, *Tarikh-i Bayhaqi*, ed. Ghani and Fayyaz (Tehran: Chap- Khana-i bank-i Iran, 1324-1949). P.582.

(2) *Siyasat-nama*, pp.109, 117; Darke Rules pp.90-91, 95-96.

(3) This claim is based on a variety of statements cited in the sources. See, for instance, Zahir al-Din Nishaburi, *Saljuq-nama* (Tehran: Chap-Khanah-i Khawar, 1332-1935), pp.29-30. For a summary of Nizam al-Mulk's theory of kingship see L. Binder, "The political theory of Nizam al-Mulk" Iqbal, IV, (January, 1956), 27-59, who has studied it as a political scientist in the context of three Muslim political theories; except for the relationship of the sultanate to the caliphate which he has examined in historical context ; also M.R. Hassan, "Nizam al-Mulk" A History of Muslim philosophy, ed. M. Sharif (2vols, Wiesbaden: Otto Harrassowitz, 1963-66), I, 747-769, who believes that the theory represents historical reality and can be called the premier Persian political theory (comprised of "the old Persian ideals" and the "Muslim political ideology"), as opposed to what he regards as "the constitutional theory" of the jurists, both of which differ in the subject discussed and approach. He also believes that Nizam al-Mulk's attention to religion reflects genuine faith in the "religious values of social life" rather than "mere political". But this contradicts his statement that religion : "is an instrument to preserve the state ..." See Nizam al-Mulk Tusi, I, 766. see also the interesting article by A. Lambton. "Quis custodiet custos: some Reflections on the Persian Theory of Government", *Studia Islamica*, V, (June, 1956), I, 130-32.

Another value of the Siyasat-nama is the data contains on the nature of Nizam al-Mulk's relationship to Malik-Shah, a delicate issue in studying the political history of the Great Saljuqs. Nizam al-Mulk's conflict with Malik-Shah goes back to a period to the composition of the Siyasat-nama, but he raises it in the text chiefly in the additional chapters of the second edition, when Nizam al-Mulk saw Malik-Shah abandoning his judgment in favour of trends set by newly rising secretaries⁽¹⁾. There are oblique references to the vicissitudes of Nizam al-Mulk's career as vizier under Malik-Shah from head of the central government denouncing the appointment of one official to more than one post probably refers to Taj al-Mulk, who held six posts and accordingly was in a position to dispute Nizam al-Mulk's fiscal policies. The provides good examples of Nizam al-Mulk's method of attacking his political opponents by raising general consideration of principles⁽²⁾.

In summary, the Siyasat-nama is an important source for studying Nizam al-Mulk's career but has been devalued because of the dispute about its authenticity. The Siyasat-nama in the main is Nizam al-Mulk's work and deserves recognition as a source within the limitations imposed by the purpose of the author. Nizam al-Mulk was not concerned primarily with historical accuracy but with the use of data as a framework to support his theory of kingship.

(1) Siyasat-nama, p.237; Darke, Rule, p.194. This view is common among Saljuq sources. However, in one episode of part one, Nizam al-Mulk diligently reminds Malik-Shah of his loyalty, see Dark, Rules, p.120.

(2) Siyasat-nama, pp.150,201-04,209-11,225,237; Dark, Rulse, pp.120, 163-65,170-71, 180, 194. see also below, pp.306. Another is the chapter regarding women's involvement in saljuq politics, which is directed against Malik-Shah's favorite wife Tukan-Khatun who was in dispute with Nizam al-Mulk about the choice of her child Mahmud as successor to Malik-Shah. See Ibid, pp.225,226-34;cf. Nizam al-Mulkm Siyasat-nama , pp.184,185-92.

كتابات في التاريخ

كتابات في التاريخ

هذا كتاب عن إشكالات النقد والتحليل في العمل الكتابي الأكاديمي من وجهة نظر منهجية، تتضمن مقالات تعود لحقول التاريخ السياسي والنظم وعلم التاريخ لدولة الخلافة والدول التي تفرعت عنها ، كتبت بموضوعية تامة، بعيدة عن التحيز أو أي هوى فكري أو عقائدي، والأهم إن الكتاب ليس بنظرية افتراضية في رؤية وكتابات المؤرخ بقدر ما هو تحصيل معري لأقوال المؤرخين عن المشكلات المنهجية والتاريخية الواردة في المصادر والمراجع واستخداماتها في العمل الكتابي الناجح .

مخطوطة الكتاب تتكون من سبع مقالات متداخلة منهجياً ، كلها اعتمدت التوثيق الدقيق وأحياناً التزمن كذلك في النقل للأفكار والنصوص المستخدمة ومساواها من ادعاءات غير معتمدة، الأولى تدور حول مصنف نكت الوزراء للجاجرمي، أحد الصدور الكبار أيام السلاجق الأواخر والفرع الفغوري الحاكم في باميان، والثانية تناولت تطاولات الوعظ والمصنف البغدادي الشهير ابن الجوزي على مؤرخ مرو وكبير بيت السمعاني أبو سعد المرزوقي، والثالثة في النسب الفاطمي وإشكالاته المنهجية، فيما تناولت الرابعة حالة الإدارة الحلبية وتطورات الوزارة الأيوبية المحلية أيام مملكة الظاهر غازي والعزيز محمد وحفيده الناصر يوسف سلطان الشام في تسميته اللاحقة، والخامسة تعالج الجهاد الذي تبناه الأتابك عماد الدين زنكي من أجل إنجاحه في التغلب على أولى الإمارات الصليبية الأربع التي قامت في بلاد الشام أيام الحملة الصليبية الأولى في ١٠٩٥هـ/. وهناك مقالتان في الإنكليزية عن أهمية وأصالة السياسات.

نضع الكتاب بمتناول أيادي أبنائنا الطيبة، ومتناول كل قارئ متبصر يهوى المعرفة والتعلم وحرف التاريخ، وأملنا بأن تعم الفائدة منه جميع المعنيين بالشأن الكتابي - التاريخي.

مكتبة عدنان
الطباعة والتوزيع والتوزيع



مكتبة
لله زارات والتوزيع

